

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

المقدمة

الحمد لله الذي خلق الإنسان في أحسن تقويم وأسند إليه مهمة الاستخلاف في الأرض ووظيفة الإعمار للكون وفق علمه سبحانه، فقال: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ البقرة: ٣٠ . وردَّ على اعتراض ملائكته فقال: ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ وبين بما لا يدع مجالاً للشك فضل بني آدم عنده وكرامتهم عليه فقال: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ الإسراء: ٧٠ .

وهذا من الوضوح بحيث لا يخفى على أي إنسان عاقل، وبالأحرى على كل مسلم موحد، فمظاهر التكريم واضحة وظاهرة، من حيث الخلق والتكوين ومن حيث التشريع كذلك.

والصلاة والسلام على سيدنا محمد إمام المتقين وسيد العابدين، وخير دليل إلى مقامات التمكين لهذا الدين، أما بعد .

فإن الإنسان هو المخلوق الوحيد الذي أسند الله إليه توفير قوته والبحث عن عيشه، ويمكن له من تحصيل ذلك، فوجب عليه أن يستفيد من عطاء الله له لينطلق في عمارة هذه الحياة يزرع، ويحصد، ويبني، ويصنع، ويبدع، ويبحث في كل ما هو نافع ومفيد؛ ليحصل له ولأبناء جنسه وغيرهم من الحيوانات النفع والخير، وبهذا يكون هو سيد هذا الكون الذي يسعى من خلال ما سخر له فيه إلى تحقيق ما يصلحه ودفع ما يضره مستفيداً مما منحه الله من مواهب وقدرات وما أودعه في الكون من موارد وإمكانات؛ ليصل إلى الاستخدام الأمثل لسنن الله المودعة في كتابه المنظور مهتدياً بما جاء في كتابه المسطور.

وقد منح الله سبحانه وتعالى فرصة استثمار الكون لجميع البشر دون تمييز أو استثناء، وجعل للكون سنناً حاكمة لا تعرف المجاملة، ولا المحاباة فمن أخذ بها واهتدى بهديها حصل له التمكين الذي يجعله مسيطراً على مقدرات الحياة ومسخرها لها وفق ما يريد، وإن لم يكن مهتدياً بهدي الله وشرعه.

وفي بداية الأمر كانت حاجات الناس يسيرة وبدائية، فدعاهم ذلك إلى أن يقوموا بأعمال وتحركات تلبى حاجة الإنسان البدائي، من غذاء وكساء ومأوى ..، وكانت هذه الأعمال بصورة مهن وحرف بدائية مناسبة لعصره، ثم تطورت هذه الحرف والمهن شيئاً فشيئاً مرتبطة بحاجات الناس ومتطلباتهم، وهذا التطور والتقدم في المهن والحرف هو بحسب تطور حاجات الناس وتعقيداتها.

ومع مرور الزمن تعقدت الحاجات البشرية، وتكاثرت، وتتنوعت إلى أن أصبحت في عصرنا الحاضر يصعب حصرها فضلاً عن تحصيلها على الوجه المطلوب والمكافئ.

ومع كل تطور حصل للإنسان في كل مرحلة من مراحل الزمن أرسل الله رسولا يبين وجوه الهداية ويوضح منهج الاهتداء بهدي الله في كل أمر من أمور الحياة، فيستفيد منه قوم ويعرض عنه آخرون، ولم تزل البشرية في رعاية الله بواسطة تلك المناهج المواكبة للحياة وأنماطها، حتى إذا وصلت إلى مرحلة من النضج في التقبل والتحمل والأداء أنزل الله لها منهاجا شاملا متكاملًا في كتابه: القرآن الكريم يبين أرقى التعاملات مع كل جوانب الحياة وكيفية القيام بواجب الاستخلاف والخلافة، وارتضى الله للبشرية دين الإسلام الحامل لذلك المنهاج الشامل.

ومن خلال القرآن الكريم تبين أن الله تعالى اختار الإسلام كدين خاتم شامل ليقوم الإنسان من خلاله بدوره في الاستخلاف الصحيح والشامل، ولذلك كانت الرسالة

عامة لكل البشرية، قال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ

أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (٢٨) سبأ: ٢٨. وهذا يقتضي تحقيق مقتضيات الرسالة

الخاتمة على مستوى كل البشر، وهذا الأمر هو في النهاية مهمة الأمة المسلمة التي

أنزل الله عليها هذا الكتاب والمنهاج.

وللمهمة من حيث قيام المكلف بها بعدان أساسيان:

الأول: العيش على الأرض والاستمرار في تشييدها وإعمارها، مع ما في ذلك من مشاق وتحديات، وهذا هو واجب الاستخلاف في مظهره الخارجي.

وهذا البعد يعبر عن الصورة الظاهرية للاستخلاف، فمن أجل تحقيقه أمد الله الإنسان بدوافع وغرائز وشهوات بدرجة من القوة والهبجان تدفعه الى إشباعها بفطرته وخلقته

ولا يحتاج معها الى أمر أو نهي ولا إلى توجيه أو تحفيز، وقد وصف القرآن الكريم

ذلك بقوله: ﴿ زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ

الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَّعُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ۗ وَاللَّهُ

عِنْدَهُ حُسْنُ الْعَمَالِ ﴿١٤﴾ آل عمران: ١٤. وقوله: ﴿ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴿٨﴾

العاديات: ٨. والنصوص هنا كثيرة.

وهكذا الإنسان مع حالة الاستخلاف تجده يكد ويكدح وينتقل من عناء الى عناء وكله تسليم ورضا، لما يناله من مردود يشبع دوافعه ومحفزاته. وهذا البعد يمثل الجسد الخارجي للاستخلاف.

ولكن لا يتم أمر الاستخلاف - بحسب المفهوم الذي بينه القرآن الكريم - حتى ينضم إلى البعد الأول، أمر آخر وهو:

والثاني: قيام ذلك وفق مراد الله تعالى المستخلف، بالاهتداء بهديه والعمل بأحكامه وسننه والتخلق بأخلاقه وقيمه، وهو عبارة عن الروح للجسد الظاهري من الاستخلاف.

وفي هذا الجانب يحتاج الإنسان الى البيان والدعوة والإرشاد والتوجيه.

وقد جاءت كل الديانات من أجل هذه المهمة بيانا وتوجيها وتوعية، وقام كل الانبياء والرسل عليهم السلام بهذه الوظيفة الجليلة.

وهذان البعدان يرتكزان على أرضية مشتركة، وهي كونهما صدرا من جهة واحدة وعن إرادة واحدة، فالمظهر (الجسد) يتمثل في الكائن من خلق الله والجوهر (الروح) يتمثل في المشروع من أمر الله ، وكلاهما خلق الله وأمره كما في قول الله تعالى:

﴿ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ ٥٤ الأعراف: ٥٤ .

ومن هنا فإن أهم أساس يقوم عليه بناء الاستخلاف في الأرض هو: إيجاد توازن حقيقي بين الجانبين، جانب الخلق وجانب الأمر، بحيث يؤدي كل جانب وظيفته تامة من غير إفراط ولا تفريط، وبما يحقق السمة الكبيرة لهذا الدين المتمثلة في الظهور الحضاري ، ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ ١٤٣ البقرة: ١٤٣ . وينبغي أن يكون حاضرا في أذهان الناس أنه ما دام أن الخلق خلق الله فإن الأمر هو أمر الله.

قال تعالى في جانب الخلق: ﴿ هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ ١١ لقمان: ١١ . وقال: ﴿ يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴾ ٦ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوِّدَكَ فَعَدَدَكَ ﴾ ٧ الانفطار: ٦-٧ . وقال تعالى في جانب الأمر:

﴿ إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ ٤٠ يوسف: ٤٠ . وقال: ﴿ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ ﴾ ٢٩ الأعراف: ٢٩ .

فكما أن الخلق مصدره الخالق فينبغي أن يكون الأمر مصدره الخالق كذلك، وله أن يأمر عباده بما يريد، وقد جاءت أوامر الله تعالى لعباده في إطار بيان ما ينفعهم ويصلحهم في جميع النواحي والمجالات، عدل كلها ورحمة كلها، كما كان الخلق معدلا سويا لا يشوبه نقص، وهذا ما تشير إليه الآيات السابقة.

وفي إطار العمل والحركة في الأرض بداعي القيام بمهام الاستخلاف أمر الله أوامر صريحة لم يأت مثلها بصيغتها أمر غيرها، فقال: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ

أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَّمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ﴿٥٨﴾ النساء: ٥٨ . وقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ

بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ ﴿٩٠﴾ النحل: ٩٠ .

وهذه الصيغة القوية بالأمر والتي لا تحتل إلا فهما واحدا، دليل اهتمام بها، فهي من أهم القيم التي لها تعلق بالعمل المهني وتحصيل المنافع والمصالح الإنسانية، فالعدل أم القيم وأساس المساواة البشرية، والإحسان دافع الإتيان ومنطلق الجودة في كل أمر، والأمانة إعطاء كل ذي حق حقه ماديا كان او معنويا وإن لم يطلبه. وإذا تأصلت هذه القيم في المجتمع ارتفع الظلم الذي هو أساس الفساد، ووجدت الثقة التي هي أساس النماء، وسادت المحبة التي هي أساس القوة، وبالتالي نتجاوز السلبية والتبعية، ونمضي نحو التقدم والبناء، وتحقيق المنهج السوي للاستخلاف في الأرض.

وقد اقتضت إرادة الله استمرار الحياة إلى أجل كتبه عنده، فلا يمكن تخلفه، لذلك فقد جعل دوافع بقاء الخلق في الحياة قوية وكثيرة ومتنوعة وواسعة، فهي فطرية وغريزية وذات انطلاق ذاتي، تحرك الناس بإرادة أو بغير إرادة، ولذا فهي تفوق دوافع إقامة الأمر؛ وذلك لأن تحصيل المطلوبات الغريزية مهم ولازم لبقاء الحياة والنوع البشري على الارض، وعدم تحقق ذلك يعني الفناء والانقراض، بخلاف قيام الأمر، فهو المنهج الأحسن والأسمى لتسيير تلك الحياة، وقيام المنهج الحسن والأحسن لا يرتبط ببقاء النوع، وإنما بتحسُّن النوع وتقدمه وقوّته ورخائه، وهذه أمور فارقة في نوع الحياة وليس في أصل الحياة.

ومن عدل الله تعالى أنه أقام الابتلاء والتسابق في الحياة على أساس المنهج، الذي هو الأمر، وليس على أساس أصل الحياة، الذي هو الخلق، وهذا ينبغي أن يكون منطلق فهم نصوص الابتلاء العام، من مثل قوله تعالى: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شُرْعَةً وَمِنْهَا جَاةٌ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَأَسْتَبِقُوا

أَلْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخَلَّفُونَ ﴿٤٨﴾ المائدة: ٤٨ .
 وقوله: ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوكُمْ فِي مَا
 آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٦٥﴾ الأنعام: ١٦٥ . وقوله: ﴿ وَهُوَ الَّذِي
 خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ
 عَمَلًا ﴿٧﴾ هود: ٧ . وقوله: ﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ
 الْغَفُورُ ﴿٢﴾ الملك: ٢ .

فالابتلاء في هذه الحياة هو في الأمر، ويحسن القيام به على وجه مقبول من الله تعالى، ومن هنا ندرك أن قيام الحياة الطيبة وإدراك النجاح في الابتلاء فيها إنما يكون بقيامها على أسس أصيلة من أمر الله وشرعه، فبذلك نحقق التقدم والنجاح في الدنيا والفوز والفلاح في الآخرة.

وبقيام الأمر يتحصل المرء على أعلى مراتب التمكين المادية كما يحقق أعلى مقامات التدين .

ولما كان الأمر هنا يعني الشرع الحنيف كله، فتنفيذ الأمر معناه القيام بواجبات الشرع، والذي منها السعي إلى التمكين لدين الله و معلوم أن كل أحكام الشرع جاءت لتحقيق مقاصد تدور كلها على المصالح والمنافع البشرية، كما هو معلوم من كل جزئيات وكليات الشريعة.

وفي نظر الشريعة أن مصالح الإنسان ومقاصده تتأطر كلها في كليات خمس تدور أحكام الشرع الحنيف كلها حول حفظها وتحصيلها على أكمل وجه، يبدأ ذلك بحفظ وتحقيق الضروري منها ويمر بما يدفع المشقة والعنت عن هذه الكليات ثم العمل على تطوير وسائلها والارتقاء بأساليب تحصيلها سعياً نحو الرفاهية والكمال. وهذه الكليات هي (حفظ الدين، وحفظ الحياة، وحفظ العقل، وحفظ المال، وحفظ النسل والعرض).

ويتم ذلك كله بتوفير المتطلبات على صورة سلع أو خدمات، مع ما يلزم لتوفير ذلك من حرف ومهنة ووظائف وصناعات، باستخدام ما خلق في الإنسان من قدرات وطاقات وما يجيد من أعمال ومهارات، مستفيدا مما سخره الله له في الأرض - برا وبحرا- من خيرات وبركات.

وينشأ عن ذلك تنافس وتسايق على المستوى الفردي والجماعي حتى يتجاوز إلى تنافس الدول والأمم، ومن يتميز في استخدام قدراته وطاقاته بشكل أفضل ويستخرج من خيرات الأرض وكنوزها ومعادنها، ويتعرف على معارف جوها وبحرها وبرها، ويسبق في إعداد وتصنيع المعدات والآلات والمصانع ويعمل على تأهيل وتدريب كوادره، من يفعل ذلك ينال السبق ويحقق الصدارة ويُسلم الآخرون له بالقيادة والريادة بدون منازعة أو ممانعة تُذكر، بل إنه يملئ عليهم ما يرى من القيم والأخلاق والعقائد، فإن كان لأمر الله عنده مكان صدر الرحمة والخير والرشاد، وهذا هو ما يتوقع من المؤمن، وإلا كان ما نراه اليوم في العالم من طغيان ثقافات وقيم لا تمت إلى أمر الله بصلة - في أغلبها أو كلها- إن لم تكن كلها كذلك.

وهكذا نرى نتائج جريمة التخلف وذنوب التقصير في عدم تحقيق أعلى المراتب والمقامات الحياتية، وما تسبب فيه هذا التخلف من صد عن سبيل الله، وتوقف أو ضعف كبير في الدعوة إلى الله، فضلا عن تحسين وسائلها أو تطويرها لتواكب العصر، حتى لقد صار المسلمون يعتبرون التذكير والوعظ والتواصي بالحق والصبر فيما بينهم دعوة، وهذا فهم قاصر - في نظري - فمفهوم الدعوة أعم وأشمل، واستعمالها في غير المسلمين أوفق.

وها هو المشروع الإسلامي اليوم أمام اختبارات صعبة والأنظار متجهة إليه من كل حذب وصوب، فهلا نُري الله من أنفسنا قوة، فنقدم هذا الدين للناس كما هو صالح مصلح نافع رافع.

أهمية الموضوع:

ومما سبق يمكن لنا أن نعرف مدى أهمية هذا البحث وخاصة في عصرنا الحاضر، الذي تعطى فيه المهن والحرف والصناعات أهمية كبيرة وألوية على المستوى الدولي، بل لها تأثير كبير في مسارات الحياة كلها. ومن الجوانب التي تتمثل فيها أهمية البحث، الأمور التالية:

١. تتأول البحث للحرف والصناعات ذات الصلة القصوى بحياة الناس ومتطلباتهم المتنوعة، وبيان جوانب تلك الصلة.
٢. أن البحث تطرق إلى قضية هامة على المستوى الاقتصادي والسياسي والاجتماعي.
٣. بيان البحث مسؤولية الإنسان عموماً والمسلم خصوصاً في خدمة البشرية وتطوير حياتها وتحسين معيشتها.
٤. بيان البحث جوانب من فقه المهن والحرف والصناعات وتعاملاتها وأخلاقيها.
٥. بيان البحث مدى ارتباط الحرف والمهن والصناعات بقضية الاستخلاف في الأرض.
٦. بيان البحث جانبا كبيرا من طرق ووسائل النجاح في مهمة الاستخلاف في هذه الحياة.

أهداف البحث:

وقد توخيت من بحثي هذا أن أحقق الأهداف التالية:

١. دراسة الحرف والمهن والوظائف وبيان معانيها وأنواعها وخصائصها وأهميتها.
٢. دراسة الحرف والمهن والوظائف وفق التقسيم المقاصدي ووفق التقسيم المعاصر المتمثل بالتشكيل الحكومي وإثبات أن التقسيم المقاصدي يوفر أعلي درجات الرفاهية.

٣. الإسهام في تصحيح بعض التصورات المغلوطة حول نظرة الإسلام إلى العمل والاحتراف وممارسة المهن المختلفة .

٤. تحفيز الملتزمين للخروج إلى ميادين الحياة، قياما بالواجب الكفائي والذي يمثل ٩٠% من الواجبات الشرعية، ورفع شعار ((داني على السوق)^(١) مع بيان أن التدين الحقيقي في ميادين المهن هو إتقانها والتزام أخلاقها.

٥. إيراد بعض الإجابات الفقهية عن بعض المسائل المستجدة في باب الحرف والمهن والصناعات وفقا لمقاصدها الشرعية ومصالحها الحقيقية، إذ الأصل في المعاملات البحث عن مصالحها ومفاسدها والحكم عليها من خلال ذلك إلا ما ورد النص بشأنه صراحة، وهو قليل جدا، مقارنة بما استجد من حرف.

٦. بيان بعض جوانب السنن الإلهية الثابتة، وبيان أن المسلم مطالب بالوصول إليها ومن خلالها إلى عمارة الأرض والقيام بواجب الاستخلاف.

٧. بيان أن التسابق والتنافس الحضاري اليوم هو مهني وحرفي وصناعي، فذلك معيار يقاس به تقدم الدول وتطورها.

مشكلة البحث:

لا يخفى على أحد ما يمر به العالم الإسلامي من مشكلات اقتصادية وغيرها، وهي مشكلات خطيرة على المستوى الفردي والجماعي والحكومي في المجتمعات الإسلامية خاصة، وكذلك عموم المجتمعات، ومن باب الإسهام في حلها وتوضيح الموقف الصحيح منها كان هذا البحث، ومن تلك المشكلات:

(١) هذا جزء من قصة حديث رواه البخاري في صحيحه، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فواد عبد الباقي)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ، كتاب: الصحبة، باب: كيف آخى النبي صلى الله عليه وسلم بين أصحابه (٦٩/٥) رقم: ٣٩٣٧، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه . في قصة عبد الرحمن بن عوف المدينة فأخى النبي صلى الله عليه وسلم بينه وبين سعد بن الربيع الأنصاري

١. التخلف الشديد في كل النواحي الاقتصادية في بعض المجتمعات العربية والإسلامية، والعيش تحت خط الفقر في كثير من المجتمعات، مع وجود الموارد والطاقات البشرية.

٢. طغيان النظرة المادية في المجتمعات المنتجة، وتأثير ذلك على المجتمعات المستهلكة.

٣. تفشي كثير من المشاكل الاقتصادية التي تقتل المجتمعات مثل: التضخم والبطالة والندرة.. وغيرها.

٤. التصور الخاطئ في فصل ممارسة الحرفة والمهنة عن الالتزام بالشعائر التعبدية وكأنه لا التقاء بينهما البتة.

٥. التصور الخاطئ لدى الكثير من المهنيين والحرفيين نحو بعض المهن وعزوفهم عنها وإسهام بعض كتب التراث الفقهي في ذلك.

٦. قصور الوسائل والآليات المتبعة عن تحقيق الطموحات الإسلامية الكبيرة وعن القيام بواجب الأمة وأداء مهمتها، لبعدها عن التزام السير السنني المطلوب من الإنسان كواجب عليه لتحقيق طموحاته على المستوى الفردي والجماعي.

الدراسات السابقة:

من خلال بحثي وقراءاتي المتواضعة لم أجد بحثاً يدرس علاقة الحرف والمهن بالواجب الكفائي المناط بها والتأثير الاقتصادي لها دراسة شاملة، وإنما هي معلومات متناثرة في بطون الكتب السابقة وفي ثنايا المسائل الفقهية أو دراسات لبعض جوانبها وذلك في زمن محدد أو نوع محدد منها، سواء قديماً أو حديثاً، ومن الكتب والأبحاث التي تناولت بعض جوانب من المهن والحرف، ما يلي:

١- كتاب " تخريج الدلالات السمعية عما كان في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحرف والصنائع والعملات الشرعية " للعلامة أبي الحسن علي بن محمد، المعروف بالخزاعي التلمساني المتوفى سنة: (٧٨٩هـ) طبع وزارة الأوقاف بجمهورية مصر العربية، سنة: ١٤١٥ هـ ، وهو حسب علمي من أول ما كتب في الموضوع، وقد سرد فيه المؤلف - رحمه الله تعالى - جُلَّ المهن التي كانت في عصر النبي صلى الله عليه وسلم.

٢- كتاب " الترتيب الإدارية والعمالات والصناعات والمتاجر والحالة العلمية التي كانت على عهد تأسيس المدينة الإسلامية في المدينة المنورة العلمية". لمؤلفه: محمد عبد الحَيِّ بن عبد الكبير بن محمد الحسني الإدريسي، المعروف بعبد الحي الكتاني (المتوفى سنة: ١٣٨٢هـ) تحقيق: عبد الله الخالدي، طبع: دار الأرقم - بيروت، الطبعة: الثانية.

٣- كتاب " الإدارة في عصر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم " لمؤلفه: حافظ أحمد عجاج (الكرمي)، وهو معاصر، والبحث عبارة عن رسالة ماجستير، من الجامعة الأردنية، طبع دار السلام - القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٧ هـ.

٤- كتاب " مهَن الفقهاء في صدر الإسلام وأثرها على الفقه والفقهاء " للدكتور محمد ابن عبد الله التميمي، تكلم فيها عن مهن الفقهاء في العراق في القرنين الثاني والثالث الهجري.

٥- بحث " السياسة الاقتصادية في إطار النظام الإسلامي، من إصدارات المعهد الإسلامي للبحوث والتدريب، ندوة رقم ٣٦، بعنوان: السياسة الاقتصادية في الإسلام، أقيمت في: سطيف، الجزائر (١٤-٢٠ مايو ١٩٩١م) تحرير: د/ منذر قحف. وقد ذكر فيه جانبا من العلاقات بين المقاصد الشرعية والحاجات الإنسانية.

منهجي في البحث:

اتبعت في بحثي المنهج الاستقرائي التحليلي فبدأت بجمع الأدلة في الموضوع ودراستها وتحليلها للوصول إلى النتائج المطلوبة من ذلك.

- وقد سلكت طريق الاختصار في الموضوع بصورة عامة، نظرا لطوله، فلم أفصل كثيرا من النقاط التي ذكرتها، وإنما اكتفيت بذكرها فقط، لأن استقصاء الموضوع وتفصيله سيجعله يطول جدا، وقد رأيت أن في المذكور غنية عن غيره. ومن أجل ذات الأسباب - أيضا - سلكت الخطوات التالية:

١. عزوت الآيات في أصل البحث.
٢. اعتمدت في تخريج الأحاديث والآثار والتراجم وتوثيق المعلومات كذلك على مرجع واحد، إلا ما ندر، مع توفر المعلومات في مراجع أخرى أحيانا كثيرة.
٣. عدم التعريف بالمشهورين من الصحابة والتابعين وكبار الفقهاء (كالخلفاء الأربعة، والمبشرين بالجنة، وأبو هريرة وابن عباس وعائشة، ومن ماثلهم في الشهرة، من الصحابة رضي الله عنهم، ومن التابعين: كسعيد بن المسيب وسعيد بن جبير،.. وممن بعدهم كالأئمة الأربعة، وابن تيمية وابن القيم وابن حزم..) وغيرهم ممن يشتهر كشهرتهم، سيما والأبحاث قد ترجمت لهم كثيرا.
- أداول أحيانا في الذُّكر بين المهنة والحرفة والصنعة، وأكتفي ببعضها عن بعض، لتساوي دلالاتها عند الإطلاق.
- لم أستقص كل المهن والحرف، لأن ذلك يطول وإنما تكلمت عن أمهات المهن والحرف، وتركت كثيرا من فروعها لصعوبة الاستقصاء ثم ليس ذلك من غرض البحث.
- ضبطت الكلمات التي تحتاج إلى ضبط في الغالب، وكذلك النصوص، والأقوال التي تحتاج إلى ضبط.

- قمت بتوثيق المراجع بحسب الآتي: الكتاب، ثم اسم المؤلف، ثم المحقق، ثم دار الطبع وسنة الطبع ثم مكان الطبع، ثم الجزء والصفحة.
- قمت بتوثيق الأحاديث والآثار بحسب الآتي: اسم الكتاب، والمؤلف، ثم عنوان الكتاب، والباب، ثم الجزء والصفحة، ثم رقم الحديث، واسم الراوي.
- كتبت الآيات بخط المصحف العثماني، ووضعتها بين أقواس من أقواس من أقواس المصحف.
- وضعت الأحاديث بين قوسين مزدوجين كبيرتين، هكذا: (()) . ووضعت الأقوال بين قوسين مزدوجين صغيرتين، هكذا: " " .
- قمت بوضع فهرس عامة، للآيات والأحاديث والآثار والأشعار والأعلام، وفهرس عامة للموضوعات.

خطة البحث:

وقد قمت بتقسيم البحث إلى مقدمة وخمسة فصول وخاتمة.

- المقدمة، وفيها: أهمية البحث، وأهدافه والمشكلة التي عالجها البحث، ومنهجيتي في البحث، وخطة البحث.
- الخطة وقد احتوت على خمسة فصول تحتوي على مباحث ومطالب على النحو التالي:

الفصل الأول : تعاريف.

وفيه المباحث التالية

المبحث الأول: تعريف الحرفة لغة واصطلاحا

المبحث الثاني: تعريف الصناعات في اللغة والاصطلاح

المبحث الثالث: تعريف المهنة لغة واصطلاحا

المبحث الرابع: تعريف الوظيفة لغة واصطلاحاً

المبحث الخامس: العلاقة بين المصطلحات الأربعة

المبحث السادس: تعريف مقاصد الشريعة لغة واصطلاحاً

الفصل الثاني: تطور الحرف والصناعات

وفيه المباحث التالية

المبحث الأول: نشأة الحرف والصناعات وتطورها

المبحث الثاني: أمهات الحرف والصناعات في الجملة وبعض ما يلحق بها من

المهن

المبحث الثالث: أهمية الحرف والصناعات وخصائصها

الفصل الثالث: المصادر الإسلامية وموقفها من الحرف والمهن والصناعات

وفيه المباحث التالية

المبحث الأول: موقف القرآن الكريم من الحرف والصناعات

المبحث الثاني: موقف السنة والسيره من الحرف والصناعات

المبحث الثالث: الاحتراف في الفقه الإسلامي

المبحث الرابع: من فقه المهن عند السلف

الفصل الرابع : قيم وأخلاق المهنة

وفيه المباحث التالية

المبحث الأول: مفهوم الأخلاق والقيم المهنية وأهميتها

المبحث الثاني: أنواع القيم والأخلاق

المبحث الثالث: أثر القيم والأخلاق في الواقع

المبحث الرابع: ضمانات مهنية

الفصل الخامس: علاقة الاحتراف بالمقاصد

وفيه المباحث التالية

المبحث الأول: أنواع المقاصد الشرعية

المبحث الثاني: تحديد المصالح الإنسانية

المبحث الثالث: الحرف والصناعات ودورها في تحقيق الاستخلاف

وفي كل مبحث من الفصول المذكورة عدد من المطالب اكتفيت بذكرها في الفهرس.

● **الخاتمة** وفيها ذكرت أهم النتائج والتوصيات التي توصلت إليها من خلال البحث.

● **الفهارس وفيها وضعت فهارس كالتالي:**

- فهارس الآيات القرآنية

- فهارس الأحاديث النبوية والآثار

- فهارس الأعلام

- فهارس المراجع

- فهارس الموضوعات

الفصل الأول

التعاريف والمصطلحات

الفصل الأول : التعاريف والمصطلحات

وفيه ستة مباحث

المبحث الأول: الحرفة والحرفي

المبحث الثاني: الصناعة والصناعي

المبحث الثالث: المهنة والمهني

المبحث الرابع: الوظيفة والموظف

المبحث الخامس: العلاقة بين المصطلحات الأربعة

المبحث السادس: تعريف مقاصد الشريعة لغة واصطلاحاً

المبحث الأول: الحرفة والحرفي

وفيه ثلاثة مطالب

المطلب الأول: تعريف الحرف في اللغة

المطلب الثاني: تعريف الحرف في الاصطلاح

المطلب الثالث: تعريف الحرفي ومواصفاته

المطلب الأول: تعريف الحزفة لغة

تأتي كلمة حِرْفَة وما يتصرف منها بعدة معان منها^(١):

- ١- الطَّرْف، فالْحَرْفُ من كلِّ شيءٍ طَرْفُهُ، وشَفِيرُهُ وَحْدُهُ.
- ٢- المكان المرتفع.
- ٣- واحدُ حُرُوفِ النَّهْجِي.
- ٤- والناقَةُ الضامِرَةُ، أو المَهْزُولَةُ، أو العَظِيمَةُ، وهذا من التضاد، والمراد التطرف في الأمرين (الهزال والسَّمَن).
- ٥- مَسِيلُ المَاءِ.
- ٦- ما جاءَ لِمَعْنَى لَيْسَ بِاسْمٍ وَلَا فِعْلٍ (وهذا عِنْدَ النُّحَاة).
- ٧- الوجه الواحد، كما في قوله تعالى ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ ﴾ الحج: ٣١ أي وجهٍ واحدٍ، وهو أن يَعْبُدَهُ على السَّرَّاءِ لا الضَّرَّاءِ، أو على شَكِّ، أو على غَيْرِ طُمَأْنِينَةٍ على أمرِهِ، أي لا يَدْخُلُ في الدينِ مُتَمَكِّنًا.
- ومنه حديث ((أَنْزَلَ الْقُرْآنُ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرَفٍ^(٢))) قيل: سَبْعَ لُغَاتٍ من لُغَاتِ الْعَرَبِ {وهي وجوه له} ، وقيل: مَعْنَاهُ أن يكونَ في الحَرْفِ الواحدِ سَبْعَةُ أَوْجُهٍ على الأكثر.
- ٨- الكسب، يقال: حَرَفَ لِعِيَالِهِ يَحْرِفُ كَسَبًا.

(١) لسان العرب، لمحمد بن مكرم بن منظور الأفرقي المصري، دار صادر - بيروت، الطبعة الأولى، (٢٢٠/٣) و(٤١/٩)، وتاج العروس من جواهر القاموس، لمحمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، الملقب بمرتضى، الزبيدي، تحقيق مجموعة من المحققين، ط/ دار الهداية، (١٢٨/٢٣) .

(٢) الحديث رواه البخاري في صحيحه، وغيره، انظر: الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه (صحيح البخاري) تأليف: محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ: . كتاب: في الاستقراض وأداء الديون والحجر والتفليس باب: كلام الخصوم بعضهم في بعض (١٢٢/٣) رقم: ٢٤١٩. من حديث ابن عباس وغيره.

يقال هو يَحْرِفُ لعياله وَيَحْتَرِفُ، وَيَفْرَشُ وَيَقْرَشُ، وَيَجْرُحُ وَيَجْتَرِحُ: بمعنى يَكْتَسِبُ^(١).

٩- وحرف الشيء عن وجهه: صرّفه إلى وجه آخر.

١٠- النقص، ومنه قولهم: حُرِفَ في مالِهِ، بالضمّ، حَرْفَةً: ذَهَبَ منه شيءٌ، بمعنى الفقر.

١١- الحَرْفَةُ، بالكسر: ما يشتغل به الإنسان لكسب رزقه.

١٢- الْمُحْتَرِفُ: مَوْضِعٌ يَحْتَرِفُ فِيهِ الْإِنْسَانُ، وَيَنْقَلِبُ، وَيَتَصَرَّفُ.

وكل هذه المعاني ترجع الى ثلاثة أصول، كما قال في مقاييس اللغة^(٢):

(حرف) الحاء والراء والفاء ثلاثة أصول: حدُّ الشيء، والعُدول والميل، وتقدير الشيء.

الأصل الأول: معنى الحد وحرف كل شيء حدّه، كالسيف وغيره. ومنه الحرف، وهو الوجه. تقول: هو من أمره على حرف واحد، أي طريقة واحدة. قال الله تعالى

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَهُ فِتْنَةٌ أُنْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ

خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴾ الحج: ١١. أي على وجه واحد..

والأصل الثاني: الانحراف عن الشيء. يقال انحرف عنه ينحرف انحرافاً. وحرفته أنا

عنه، أي عدلتُ به عنه، ومنه قوله تعالى: ﴿ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ

بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ البقرة: ٧٥ وقوله تعالى أيضاً: ﴿ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا

يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ ﴾ النساء: ٤٦^(٣).

(١) تهذيب اللغة، لمحمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م (٥ / ١٣).

(٢) انظر: معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، طبعة دار الفكر ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، (٤٢/٢).

(٣) تاج العروس (٢٣ / ١٣٥).

والأصل الثالث: المحراف، حديدة يقدر بها الجراحات عند العلاج...

ومن خلال المعاني اللغوية، نتعرف على ما يلي:

- الحرفة من ألفاظ الأضداد تدل على كسب وغنى وتدل على حرمان وفقر وتدل على وسع وضيق.
- الحرفة أوسع معنى من حيث الاصطلاح من المهنة والصنعة.
- الحرفة من حيث التوسع لا تحتاج إلى آلات كثيرة.
- قد تأتي الحرفة من الاحتراف وبالتالي فهي تدل على مهارة عالية في مجال العمل المحترف فيه.

المطلب الثاني: الحرفة اصطلاحاً

وقد جاء في معنى الحرفة من حيث الاصطلاح ما يلي:

- الحرفة - بكسر الحاء-: الطُعْمَةُ^(١) والصَّنَاعَةُ التي يُرْتَقُ مِنْهَا، وهي جَهَةُ الكَسْبِ، ومنه ما يُرْوَى عن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: إِنِّي لَأَرَى الرَّجُلَ فَيُعْجِبُنِي، فَأَقُولُ: هل له حِرْفَةٌ فَإِنْ قَالُوا: لا، سَقَطَ مِنْ عَيْنِي^(٢).

- وكُلُّ ما اشْتَعَلَ الْإِنْسَانُ بِهِ وَضَرِيَ بِهِ^(٣) من أي أمرٍ كان، فَإِنَّهُ عِنْدَ الْعَرَبِ يُسَمَّى صِنْعَةً وَحِرْفَةً^(٤).

- والحرفة وسيلة الكسب من زراعة وصناعة وتجارة وغيرها .

- وقيل هي: عمل يمارسه الإنسان إما لمصلحته أو لدى الآخرين، بحيث لا تحتاج إلى تدريب طويل المدى،.. وإنما تكتسب بمجرد النظر أو التدريب القصير^(٥).

- ونخلص من هذه التعاريف إلى أن الحرفة: وسيلة كسب ملازمة، يكتسبها الإنسان من غير عناء كبير في الأغلب.

والحرفة عمل محترم ولا تكون خسيصة إلا إذا وجدت فيها إحدى الصفات التالية:

١- إذا كانت في عمل محرم.

٢- إذا كانت تخالطها النجاسات من غير تحرز منها، ولا تطهر.

٣- إذا كان المحترف يؤديها بشكل بهيمي خال من الفكر، بحيث لا يكون له هدف فيها.

(١) الطعمة: أي مصدر الرزق والعمل، وهي بمعنى الحرفة. انظر: تاج العروس (٢٣/ ١٣٣).

(٢) المجالسة وجواهر العلم، أبو بكر أحمد بن مروان الدينوري المالكي، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، نشر: جمعية التربية الإسلامية (البحرين - أم الحصم) ، دار ابن حزم (بيروت - لبنان)، ١٤١٩هـ. (١١٧/٧).

(٣) أي: لازمه على الدوام. انظر: القاموس المحيط لمحمد بن يعقوب الفيروز آبادي ص ١٦٨٣، وغيره.

(٤) تاج العروس (٢٣ / ١٣٣).

(٥) انظر: أخلاقيات المهنة، محمد عبد الغني المصري، مكتبة الرسالة الحديثة، الطبعة الأولى ١٩٨٦م ص ٥٠.

٤- إذا كان في تعاطيها إهدار لكرامة الإنسان، كالخدمة المحضنة، وإراقة ماء الوجه
بالمسألة، أو تشويه الصورة^(١).

(١) معجم لغة الفقهاء، لمحمد رواس قلعي - حامد صادق قنبي، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع الطبعة:
الثانية، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م ص ١٩٥ .

المطلب الثالث: الحرفي وصفاته

الحرفي هو: الشخص الذي يكسب عيشه بالعمل في حرفة بصفة مستمرة ومنتظمة^(١).

والحَرِيفُ: المعاملُ في الحرفة. والمحترفُ: المكتسب لعياله من هنا ومن هنا^(٢).
والمُحْتَرَفُ : الصَّانِعُ.

ومن أهم الميزات التي يتميز بها الحرفي، ما يلي:

- ١- الاستمرار في العمل بنشاط وبصورة دائمة.
- ٢- أنه لا يخلو عن اكتساب، بمعنى أن استمراره في عمله يدر عليه الرزق وبالتالي فهو بعيد عن الفقر والحاجة .
- ٣- أنه لا يقع في البطالة مادام عاملاً.
- ٤- أنه يكتسب الثقة و الاحترام من المجتمع، ولذلك يستمر في عمله.

(١) المعجم الوسيط لإبراهيم مصطفى . أحمد الزيات . حامد عبد القادر . محمد النجار طبعة :دار الدعوة، تحقيق

: مجمع اللغة العربية (١ / ١٦٧).

(٢) تاج العروس (٢٣ / ١٣٧).

المبحث الثاني: الصناعة والصناعي

وفيه ثلاثة مطالب

المطلب الأول: تعريف الصناعة في اللغة

المطلب الثاني: تعريف الصناعة في الاصطلاح

المطلب الثالث: تعريف الصانع ومواصفاته

المطلب الأول: تعريف الصناعة في اللغة

(الصاد والنون والعين)، أصل صحيح واحد يدل على عمل^(١).

وتأتي كلمة "صَنَعَ" ومشتقاتها من ناحية اللغة بعدة معان^(٢):

- ١- الاختيار والاصطفاء: يقال: اصْطَنَعَهُ بمعنى: اتَّخَذَهُ، وقوله تعالى ﴿وَأَصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾^(٣) طه: ٤١ معناه: اخترتك لإقامة حُجَّتِي.. واصطفتيتك لوحىي ورسالتى^(٣).
- ٢- التربية الخاصة والإعداد الخاص^(٤)، بحيث لا يتساوى فيها كل الناس، وقد جاء في معنى الآية السابقة: أي ربيتك لخاصة أمري الذي أردته في فرعون وجنوده. ويقال: في تربية الفرس: صَنَعَهُ الفرس، أي حُسُنُ القِيَامِ عليه. وصَنَعَ فلان جاريته، أو صَنَعَهَا - بتثديد النون - إذا رَبَّاهَا لأنَّ تصنيع الجارية لا يكون إلا بأشياء كثيرة. وفلان صَنِيْعُهُ فلان وصَنِيْعُ فلان إذا اصْطَنَعَهُ وأدَّبَهُ وخرَّجَهُ ورَبَّاهُ. - ويقال فلان صنع المال، أي نمَّاه، وصنع الغنم أي سمَّنها.
- ٣- العطاء والتكريم: وهو افتعالٌ من الصنِيعَة، وهي العَطِيَّةُ والكرامة والإحسان، ومنه الرِّزْقُ وما يُصْطَنَعُ من خير ومعروف وبيد، وجمعها الصَّنَائِعُ.
- ٤- العمل والتجهيز: يقال اصطنع فلان خاتماً إذا سأل رجلاً أن يصنَّع له خاتماً، وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه: ((اصْطَنَعَ خاتماً من ذهب كان يجعل

(١) معجم مقاييس اللغة (٣/٣١٣).

(٢) انظر: لسان العرب (٨ / ٢٠٨). وكتاب الكليات، لأبى البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، طبعة: مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، تحقيق: عدنان درويش - محمد المصري، ص ٨٥٥.

(٣) لباب التأويل في معاني التنزيل، لعلاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن، طبعة: دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م، (٤ / ٢٧٠).

(٤) انظر: التحرير والتنوير، للشيخ محمد الطاهر بن عاشور، طبعة: دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، ١٩٩٧م (١٦/٢٢٣).

فَصَّهُ فِي بَاطِنِ كَفِّهِ إِذَا لَبَسَهُ فَصَنَّعَ النَّاسُ ثُمَّ إِنَّهُ رَمَى بِهِ^(١) أَيَّ أَمْرٍ أَنْ يُصَنَّعَ لَهُ،
وهذا كما تقول اكَتَبَبَ، أَيَّ أَمْرٍ أَنْ يُكْتَبَبَ لَهُ.

وفي الحديث - أيضا - قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((لا تُوقِدُوا بَلِيلَ نَارٍ -
ثم قال - أَوْقِدُوا وَاصْطَنِعُوا فَإِنَّهُ لَنْ يُدْرِكَ قَوْمَ بَعْدِكُمْ مُدَّكُمْ وَلَا صَاعَكُمْ))^(٢) قوله
(اصْطَنِعُوا) أَيَّ اتَّخَذُوا صَنْيَعًا، يَعْنِي طَعَامًا تُنْفِقُونَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَهُوَ مِنْ تَجْهِيزِ
الطَّعَامِ لِيَصِيرَ فِي حَالَةٍ صَالِحَةٍ لِلِاسْتِخْدَامِ.

٥- الحِذْقُ وَالْمَهَارَةُ، وَمِنْهُ يُقَالُ: رَجُلٌ صَنَّعَ الْيَدَيْنِ، وَامْرَأَةٌ صَنَّاعُ الْيَدَيْنِ: إِذَا كَانَ
لَهُمَا صَنْعَةٌ قَدْ صَارَتْ سَهْلَةً فِي أَيْدِيهِمَا وَحِذْقًا فِيهَا^(٣).

٦- الْبَيَانُ وَالْوَضُوحُ فِي الْكَلَامِ. قَالَ حَسَانُ بْنُ ثَابِتٍ^(٤):

أَهْدَى لَهُمْ مَدْحِي قَلْبٌ يُؤَازِرُهُ * فِيمَا أَرَادَ لِسَانٌ حَائِكٌ صَنَّعُ

(١) الحديث رواه البخاري في صحيحه، كتاب: الأيمان والنذور، باب: من حلف على الشيء وإن لم يحلف
(١٣٣/٨) رقم: ٦٦٥١. من حديث عبد الله ابن عمر رضي الله عنهما.

(٢) الحديث: رواه الإمام أحمد في مسنده، وحسنه شعيب الأرنؤوط، وقال: رجاله ثقات. انظر: مسند الإمام أحمد
بن حنبل، لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل
مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ -
٢٠٠١ م (٣٠٥/١٧) رقم: ١١٢٠٨. من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٣) انظر: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، أحمد بن محمد بن علي المقرئ الفيومي
طبعة: المكتبة العلمية، بيروت (١ / ٣٤٩) ولسان العرب (٨ / ٢٠٨) وغيرهما..

(٤) هو: حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام بن عمرو بن زيد مناة، الأنصاري الخزرجي، يكنى أبا الوليد، وقيل:
أبو عبد الرحمن، وقيل: أبو حسام، لمنازلته عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأمه الفريضة بنت خالد بن
خنس، الأنصارية: شاعر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، توفي قبل الأربعين في خلافة علي، وقيل: بل مات
سنة خمسين، وقيل: سنة أربع وخمسين، وهو ابن مائة وعشرين سنة، لم يختلفوا في عمره وأنه عاش ستين سنة
في الجاهلية، وستين سنة في الإسلام. انظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة، لأبي الحسن علي بن أبي الكرم
محمد بن محمد بن عبد الكريم، عز الدين ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، عادل أحمد عبد الموجود،
دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م، (٢ / ٦). والبيت لحسان بن ثابت من قصيدة
قالها بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما جاء وفد تميم. انظر: نهاية الأرب في فنون الأدب، أحمد
بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي التيمي البكري، شهاب الدين النويري، دار الكتب والوثائق
القومية، القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ (٣٦ / ١٨).

وفي صفة المرأة: وهي صانعٌ باللسان واليَد.

٧- التهيئة، يقال: تَصَنَعَتِ المرأةُ إذا صَنَعَتْ نَفْسَهَا وهيأتها.

٨- الإعانة على أمر، ومنه حديث: ((أو تصنع لأخرق))^(١)

وَأَصْنَعَ الرَّجُلُ إذا أَعَانَ أَخْرَقَ، وكأنه أسدى له صنيعا.

٨- الدعوة، ومن ذلك: اسْتَصْنَعَ الشيءَ دَعَا إلى صُنْعِهِ. والمَصْنَعَةُ الدَّعْوَةُ يَتَّخِذُهَا

الرَّجُلُ وَيَدْعُو إِخْوَانَهُ إِلَيْهَا.

٩- الرِّشْوَةُ، وهي من المصانعة. ومنها المداهنة والمجاملة، وفي المثل: من صانع

بالمال لم يَحْتَسِبْ مِنْ طَلَبِ الحاجة^(٢).

١٠- الخداع والزيغ والمسايرة عن غير قناعة، يقال: صانعه عن الشيء خادعه

عنه، ومنه التصنع وهو تكلف الشيء.

١١- وقد تطلق الصنعة على الحرفة والمهنة. وستبين حدود ذلك في مبحث

العلاقات بين المصطلحات، كما سيأتي.

١٢- ومما يشق من الفعل "صنع": الأمور التي يقع بها ومن خلالها الصنع، ولذلك

يقال^(٣):

- صِنَع - بكسر الصاد وسكون النون - للحوض يتخذ للماء، أو للخشبة يحبس فيها

الماء لمدة من الزمن.

- والمصانعُ أيضاً ما يصنعه الناس من الآبار والأبنية والحصون والقرى، وغيرها

(١) هذا جزء من حديث: رواه البخاري في صحيحه، كتاب: العتق، باب: الرقاب أفضل (٣/ ١٤٤) رقم: ٢٥١٨.

هو عند غيره كذلك. من حديث أبي ذر رضي الله عنه .

(٢) المستقصى في أمثال العرب لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري، طبعة: دار الكتب العلمية، بيروت ٢/

١٩٨٧م. (٣٥٦/٢)

(٣) لسان العرب (٢٠٨/٨) وانظر: تاج العروس (٣٧٦/٢١).

قال لبيد^(١):

بَلِينَا وَمَا تَبْلَى النُّجُومُ الطَّوَالِعُ * وَتَبْقَى الدِّيَارُ بَعْدَنَا وَالْمَصَانِعُ.

- ويقال للقصور أيضاً مصانع، وفي القرآن الكريم: ﴿ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴾ الشعراء: ١٢٩. المصانع في قول بعض المفسرين^(٢) هي الأبنية والقصور وغيرها من الآثار.

- والمصانع - أيضا- مواضع تُعزَلُ للنحل مُنْتَبِذَةً عن البيوت واحدها مَصْنَعَةٌ.
- والتصنيع جعل الأمة صناعية بالوسائل الاقتصادية ونشر الصناعة فيها^(٣).
ونستخلص من هذه المعاني أموراً يمكن أن تكون سمات مهمة في تحديد وضبط معنى الصناعة، ومن تلك الأمور ما يلي:

- ١- أن الصناعة فيها اختيار واصطفاء، وهذا يستشف منه العمق والتعمق لضمان سلامة الاختيار.
- ٢- أن الصناعة فيها جهد وعمل وبذل.
- ٣- أن الصناعة فيها ترقٍ وتطور من مرحلة إلى أخرى.
- ٤- قد يقع في الصناعة زيف وخداع، ولكن تبقى صناعة.
- ٥- يمكن أخذ المهارات الصناعية بحسن التدريب والمعاونة والتعلم.
- ٦- تحتاج الصناعة إلى أدوات بحسب التقدم الصناعي، والمصنوعات.

(١) هو: لبيد بن ربيعة بن مالك من الشعراء المخضرمين، أدرك الجاهلية والإسلام، ويعتبر من الفرسان الشجعان. قدم على الرسول صلى الله عليه وسلم في وفد بني كلاب؛ فأسلم وهاجر ونزل الكوفة أيام عمر بن الخطاب (رضي الله عنه). توفي بها آخر خلافة معاوية -رضي الله عنه- عن مائة وخمس وأربعين سنة، منها تسعون سنة في الجاهلية، وبقيتها في الإسلام. انظر: معجم أعلام شعراء المدح النبوي، لمحمد أحمد درنيقة، تقديم: ياسين الأيوبي، دار ومكتبة الهلال، الطبعة: الأولى ص: ٣١٥. والبيت من البحر الطويل وهو في ديوان لبيد ص ٤٥.
(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، تحقيق: هشام سمير البخاري، طبعة: دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية. ١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٣ م (١٢٢/١٣).
(٣) المعجم الوسيط (١ / ٥٢٥).

- ٧- الصناعة عرفت قديما وحديثا ولكن بحسب الأحوال والإمكانات.
- ٨- أن الناس بحاجة إلى الصناعات في كل زمان.

المطلب الثاني: التعريف الاصطلاحي للصناعة

ورد عدد من التعاريف الاصطلاحية عن جماعة من العلماء سنذكرها ثم نستخلص منها تعريفا جامعاً بحسب رؤية الباحث وذلك كما يلي:

عرف العلماء الصناعة فقالوا:

- الصناعة ملكة نفسانية تصدر عنها الأفعال الاختيارية من غير روية. وهذا معناه تمكن هذه الملكة في النفس حتى تصير الأعمال تصدر عنها بصورة تلقائية بحيث لا تحتاج إلى إعمال فكر.

- أو هي ملكة يقتدر بها على استعمال موضوعات ما على وجه البصيرة ليحصل غرض من الأغراض بحسب الإمكان، والمراد بالموضوعات آلات يتصرف فيها سواء كانت خارجية كما في الخياطة - مثلاً- أو ذهنية كما في الاستدلال.

- وقيل هي العلم المتعلق بكيفية العمل، الحاصل بمزاولة العمل^(١). أي أن هذه الملكة تتعلق بكيفية العمل، بمعنى اكتساب الملكة والمهارة في كفايات مخصوصة للأعمال عن طريق التعلم والتدريب.

- وقيل^(٢): هي كل علم مارسه الرجل سواء كان استدلالياً أو غيره حتى صار كالحرفة له.

- وقيل: كل عمل لا يسمى صناعة حتى يتمكن فيه ويتدرب وينسب إليه.

- وقيل: كل علم أو فن مارسه الإنسان حتى يمهر فيه ويصبح حرفة له^(٣).

(١) انظر التعريفات المذكورة في كتاب: التعريفات لعلي بن محمد بن علي الجرجاني، دار الكتاب العربي، بيروت ط ١/ ١٤٠٥ هـ، تحقيق: إبراهيم الأبياري ص ١٧٦. والتوقيف على مهمات التعاريف لمحمد عبد الرؤوف المناوي، دار الفكر المعاصر، دار الفكر - بيروت، دمشق ط ١/ ١٤١٠ هـ تحقيق د. محمد رضوان الداية ص ٤٦٣.

(٢) كتاب الكليات ص ٥٤٤.

(٣) المعجم الوسيط (١ / ٥٢٥).

وقد استخلص الباحث من خلال هذه الأقوال الأركان التي تقوم عليها الصناعات، وبالتالي يمكن من خلالها تعريف الصناعة، وذلك كما يلي:

- ١- العلم النظري، الذي تعرف به قواعد الصناعة والعمل وهو متعلق بالكيفيات الصادرة عن تجربة أو بحث.
 - ٢- التدريب العملي على استعمال الكيفيات وربط العلاقات بينها.
 - ٣- الممارسة والاستمرار في العمل، بحيث يعرف صاحبه به.
 - ٤- الأدوات التي يُعمل بها، وهي تتنوع وتتطور بحسب الحاجة.
- فإذا توفرت هذه الأمور الأربعة لأي عمل صار صنعة.
- ومن هنا نستطيع أن نقول إن الصناعة هي: ملكة علمية وعملية تتعلق بكيفية العمل، تحصل وتتطور بالممارسة من خلال أدوات مناسبة.

المطلب الثالث: تعريف الصانع ومواصفاته

الصانع هو من يصنع بيديه، ومن يحترف الصناعة بحيث يصير ماهرا فيها عارفا بكيفيات ما يصنعه. وإذا صار الصانع ماهرا يقال له: رجل أو امرأة صناع اليد أو اليدين بمعنى ماهر أو ماهرة في العمل بهما^(١).

وهنا نعرف أن الصانع هو من توفرت فيه الصفات التالية:

- الاحتراف للعمل، بمعنى أنه صار ملازما له^(٢).
- المهارة في العمل، إذ ليس كل من لازم عملا يكون ماهرا فيه.
- المعرفة بما يصنع من حيث الابتداء والمآل^(٣)، ولذلك قيل للنجار صانع ولا يقال للتاجر صانع؛ لأن النجار قد سبق علمه بما يريد عمله وبأسباب التي توصل إلى المراد من ذلك، والتاجر لا يعلم إذا اتجر أنه يصل إلى ما يريده من الربح أو لا، وإن كان قد خطط لذلك وغلب على ظنه تحقق الربح .
- وبالتالي فإن الصانع يحتاج إلى تحصيل صفات عديدة تنفرع إلى: صفات مهارية، وصفات معرفية، وصفات أخلاقية. كما يلي:

أولاً: الصفات المهارية، ومنها:

- التدريب والتأهل المستمر. بحيث يكون على مستوى من المهارة تجعله يقوم بالصناعة المطلوبة بسهولة ويسر وعلى أكمل وجه.
- تصنيع وحياسة الآلات المتطورة وتحديثها، والقدرة على التعامل مع المستويات المتطورة من الآلات والأنماط المتجددة من الصناعات.

(١) المعجم الوسيط (١ / ٥٢٥).

(٢) انظر: تاج العروس (٢٣ / ١٣٧).

(٣) انظر: الفروق اللغوية، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري، حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة - مصر، ص ٣٢٢.

ثانيا الصفات المعرفية، ومنها:

- متابعة المستجدات المعرفية على مستوى الصناعة التي يمارسها.
- معرفة المراجع التي تمده بالمعلومات اللازمة للتدرب على الآلات والمعامل الحديثة المناسبة للصناعة، ومعرفة ما استجد منها.

ثالثا: الصفات الأخلاقية، ومنها:

- التقيد بقوانين الصناعة التي يمارسها.
- الاهتمام بطلبات الآخرين من حيث التوفير والجودة.
- الاهتمام بالبيئة والمحافظة عليها، بحيث لا تؤثر المخلفات الصناعية على البيئة سلبا.
- ويمكن أن نجل الصفات الأخلاقية التي ينبغي توفرها للصانع في كلمتين رئيسيتين، هما: الأمانة والقوة .

المبحث الثالث: المهنة والمهني

وفيه ثلاثة مطالب

المطلب الأول: تعريف المهنة في اللغة

المطلب الثاني: تعريف المهنة في الاصطلاح

المطلب الثالث: تعريف المهني ومواصفاته

المطلب الأول: تعريف المهنة في اللغة

يقال: (م ه ن): مَهَنَ مَهْنًا مِنْ بَابِي قَتَلَ وَنَفَعَ- في التشابه الصرفي- ومعناه: خَدَمَ غَيْرَهُ، وَالْفَاعِلُ مَا هِنَ، وَالْأُنْتَى مَا هِنَتْ، وَالْجَمْعُ مُهَانٌ ... وَالْمِهْنَةُ أَخْصُّ مِنَ الْمِهْنِ مِثْلُ الضَّرْبَةِ وَالضَّرْبِ^(١). فالمهنة أوسع معنى من المهنة، وفي هذا دلالة على التخصص والعمق والخبرة الشاملة والدقيقة في المهنة.

و بجانب ما سبق فإن المهنة تطلق في اللغة ويراد بها:

١ - الخدمة^(٢) ولذلك يقال: مَهَّهْمَ بِمَعْنَى: خَدَمَهُمْ^(٣).

٢- التعمق في العمل، ولذلك تشمل في معانيها: بذل الجهد، والجذب بقوة، واستخراج الشيء^(٤).

٤- البراعة في العمل والحدق فيه^(٥).

٥- إصلاح المال^(٦)، ومنه يقال للمرأة: تقوم بمهنة بيتها: إذا أصلحته.

وهذه المعاني اللغوية التي تناسب ما قصدنا في البحث، من تعزيز المهنة وإظهار معانيها الإيجابية.

٦- وتأتي المهنة من الابتدال والامتهان^(٧).

(١) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي، المكتبة العلمية بيروت (٢ / ٥٨٣).

(٢) المعجم الوسيط (٢/٨٩٠).

(٣) كتاب العين لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، دار ومكتبة الهلال، تحقيق: د. مهدي المخزومي ود. إبراهيم السامرائي (٤/٦١).

(٤) انظر: القاموس المحيط (٣/٣٩٦).

(٥) المحكم والمحيط الأعظم لأبي الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي، تحقيق عبد الحميد هندراوي، دار الكتب العلمية، ط/ ٢٠٠٠م، بيروت (٤/٣٣٧).

(٦) المحكم والمحيط الأعظم (٤/٣٣٧).

(٧) المحكم والمحيط الأعظم (٤/٣٣٧).

- ومهين بمعنى: حقير، وضعيف، وقليل، والذي لا وزن له ولا قيمة من أي شيء^(١)

ونخلص من التعاريف اللغوية للمهنة إلى ما يلي:

أ - أن معاني المهنة اللغوية تتمحور حول ثلاثة جوانب رئيسية:

الأول: ما دل على عمل وتخصص، مع الحنق وبذل الجهد.

الثاني: ما دل على حقارة وضعف وقلة.

الثالث: ما دل على يسر وسهولة. بمعنى أن كلمة المهنة تطلق على العمل السهل بيد صاحبه، ومن لم يكن العمل سهل بيده فليس هذا العمل مهنته، ولا يقال له صاحب مهنة.

ب - أن المهن أنواع من حيث رواجها عند الناس واحتقارها.

ج - تطلق المهنة على عمل جزئي، وعلى عمل شامل، فيقال لمن يعمل عملا في جزئية من مهنة شاملة كالصيدلة في إطار المهن الطبية "مهني" كما يقال لمن هو أشمل منه عملا "مهني". ومن هنا قد تكون دلالة القلة أو الحقارة والضعف تدل على التخصص وليس على الجانب السلبي من معاني الكلمات المذكورة، بمعنى أن المهنة تكون في التخصص بجزئية من جزئيات العمل ولو كان يسيرا وضعيفا بالنسبة لما هو أشمل منه، فإن الإتيان يكون في الجزئيات أكثر، ومن هنا يكون معنى القلة والضعف في الجانب الإيجابي، ولكن الفرق في استخدام التعبيرات.

د - المهنة معروفة من قديم الزمان، ومن ذلك حديث: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، خطب يوم الجمعة فقال: ((ما على أحدكم لو اشترى ثوبين ليوم جمعته، سوى ثوب مهنته))^(٢).

(١) انظر: تاج العروس (٣٦/٢١٩، ٢٢٠).

(٢) الحديث رواه ابن ماجة في سننه، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، باب: ما جاء في الزينة يوم الجمعة (٣٤٨/١) رقم: ١٠٩٥. وقال محققه: إسناده صحيح ورجاله ثقات،

هـ - المهن كانت محصورة في أنواع معينة منها، بحسب معرفة الناس وحاجتهم.
و- ليست المهنة محتقرة بإطلاق عند العرب، ولكن ربما جاء ذلك من جهة اللفظ،
ومن جهة نوع ممارسة المهنة، فمن جهة اللفظ: نعرف أن أصل كلمة "مهن" تدل
على حقارة واحتقار، كما جاء في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ نَخَلَقُكُمْ مِنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ﴾^(١) المرسلات:
٢٠ أي حقير، ولكن ذلك لا يمنع من استعمالها للدلالة على العمل، بل على إتقانه
وإجادته ومصاحبته، فيقال للمتصف بذلك: صاحب مهنة، كما يطلق على المجيد في
عمله "مهني".

وأما من جهة نوع ممارسة المهنة، فإن بعض المهن ليست مرغوبة عند بعض
الناس، بخلاف البعض الآخر منها، وطريقة ممارسة المهن قد تدعو الى احتقارها.
ز- الذي لا مهنة له - بمعنى أنه لا يحسن عملا - مذموم ولذلك يقال للمرأة التي
ليست ماهرة في مهنة بيتها: امرأة خرقاء، كما يقال للرجل الذي لا مهنة له: رجل
أخرق، ومنه حديث: ((أو تعمل لأخرق))^(١) أي تعين من لا يحسن شيئا. والخرق
وصف للذم من جميع جهاته^(٢).

(١) الحديث: سبق تخريجه بلفظ: أو تصنع لأخرق وهما بمعنى. ولم أجد الحديث بلفظ: أو تعمل، فيما اطلعت
عليه من كتب الحديث.

(٢) انظر: معجم مقاييس اللغة (١٧٢/٢) ولسان العرب (٧٣/١٠) ..

المطلب الثاني: تعريف المهنة في الاصطلاح

يمكن لنا من خلال النظر إلى المعاني اللغوية لكلمة مهنة أن نُعرّف المهنة تعريفاً اصطلاحياً، فنقول:

هي نوع من الخدمات، تدل على مهارة وحذق، كما تدل على التخصص والتعمق والخبرة، نظراً للاستمرار في العمل لفترة طويلة.

وقد عرّف بعض الباحثين المهنة فقال^(١): المهنة عمل يشغله الإنسان لمصلحته لدى الآخرين... وهي تحتاج إلى دراسة نظرية و تدريب فني طويل.

ولا بأس بهذا التعريف، ولكنه يحتاج إلى بعض الإضافات الضابطة، فكلمة عمل عامة تدل على أي عمل يشغله ويعمله الإنسان لنفسه أو للآخرين، والتدريب غير منضبط بضابط معين إلا طول فترته، وقد يشغل الإنسان عملاً مهنيًا ليس لدى الآخرين، وهذه أمور تحتاج أن يستوعبها التعريف لضمان ضبطه وشموليته. ويمكن أن نعرف المهنة فنقول:

المهنة عمل خدمي متخصص، يقوم به صاحب خبرة، ويستمر فيه حتى يعرف به. وبهذا يشمل التعريف الأمور التالية:

العمل الخدمي، والتخصص، والخبرة المكتسبة بالتدريب والدراسة، والاستمرار الطويل، مع إطلاق مكان العمل.

وهذه أركان المهنة التي تقوم بها، بحسب اعتقادي.

(١) انظر: أخلاقيات المهنة ص ٤٩.

المطلب الثالث: تعريف المهني ومواصفاته

أولاً: تعريف المهني.

من خلال تعريف المهنة نفسها يمكن لنا أن نعرّف المهني فنعرّفه من هو، ومتى يقال للعامل مهني.

يقال للعامل مهني إذا صار ذا مهارة بعمله، كما مرّ في المعاني اللغوية. والمعاني الدالة على الحقارة والضعف ليست مرادة لنا، وإنما نقصد بالمهنة هنا ما دلت عليه التعاريف اللغوية في الجهة الإيجابية، وبالتالي فإنه يمكن لنا أن نعرف المهني، فنقول: المهني هو القائم بعمل خدمني معين، عن خبرة واستمرار.

ثانياً: صفات المهني المتميز:

إذا كانت المهنة تعني العمل الذي يقوم به الفرد والجهد الذي يبذله، في سبيل خدمة نفسه والآخرين، فإن هذا يحتاج من المهني أن يكون على مستوى رفيع من المهنية والجاهزية، ولذلك فإن من أهم ما ينبغي أن يلتزم به المهني، الأمور التالية^(١):

١/ التقيد بمتطلبات المهنة ومتطلبات العمل الذي يقوم به ويمارسه.

٢/ ضوابط إتقان العمل وجودة الإنتاج.

٣/ الوعي بمسؤوليته الأخلاقية والقانونية، فيما ينجم عن عمله.

(١) انظر: أخلاقيات المهنة ص ٥٠.

المبحث الرابع: الوظيفة والموظف

وفيه ثلاثة مطالب

المطلب الأول: تعريف الوظيفة في اللغة

المطلب الثاني: تعريف الوظيفة في الاصطلاح

المطلب الثالث: صفات الموظف الناجح

المطلب الأول: الوظيفة في اللغة

ذكر أصحاب اللغة معان عدة للفعل " وظف " ومشتقاته، فقالوا^(١):

(و ظ ف) : الواو والطاء والفاء أصل يدل على تقدير الشيء.

يقال: له وظيفة من رزق، أي شيء مقدر منه، وعليه كل يوم وظيفة من عمل، أي مقدار من العمل.

والوظائف جمع وظيفة، والوظيفة في كل شيء: ما يقدر منه. هذا معنى وظف وما يشتق منه وذلك من حيث اللغة بصورة عامة، ولكن يمكن لنا أن نستخلص منها

معان أخرى، هي:

١- المهمة الواجبة والشيء اللازم إنجازه.

٢- الجزء المقطع من الكل.

٣- التداول والتناوب.

٤- الاتباع والملازمة.

٥- الاستيعاب التام.

٦- العهد والشرط.

وهذه المعاني بحسب الاشتقاق من كلمة " وظف "، وهي بعمومها تدل على القيام

بمهمة مقدرة على جهة الإيجاب والاستمرار، من فرد أو أكثر.

(١) معجم مقاييس اللغة (٦ / ١٢٢) و انظر: تاج العروس (٢٤ / ٤٦٤) وغيره..

المطلب الثاني: الوظيفة في الاصطلاح

إذا بنينا التعريف الاصطلاحي للوظيفة على المعاني اللغوية، فإن الوظيفة هي:

عمل يشغله الإنسان لدى آخر، سواء كان الآخر فردا أو شخصا اعتباريا - أهليا أو حكوميا- ، وتكون في الغالب كتابية أو إدارية^(١).

والتوظيف: هو تعيين إنسان للقيام بعمل معين، وذلك تقديرا من الذي وظّفه أنه سيقوم بالعمل حق القيام.

كما أن التوظيف قد يكون عبارة عن تَعْيِينُ الوظيفَةِ نفسها، بمعنى بيان المهمة أو الجزء المطلوب عمله من شخص ما، يُقَالُ: وَظَّفْتُ عَلَى الصَّبِيِّ كُلَّ يَوْمٍ حِفْظَ آيَاتٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ^(٢)، ومعنى ذلك عينت له مقدارا من الآيات يقوم بحفظه، تقديرا مني أنه سيستطيع أن يحفظه.

وبناء على ذلك فيكون تعريف الموظف كما يلي :

الموظف هو : الشخص الذي تم اختياره والتعاقد معه من قبل المنشأة للقيام بعمل معين بشكل دائم مقابل أجر محدد بالعقد الموقع.

وهذا يعني انه لا بد للمنشأة من نظام ولائحة تنظم موضوع التوظيف وتراعي القوانين الرسمية للعمل وإلا فسيتم الفصل في الخلافات بين الطرفين وفقا لهذه القوانين .

(١) أخلاقيات المهنة ص ٤٩ .

(٢) تاج العروس (٢٤ / ٤٦٥) .

المطلب الثالث: صفات الموظف الناجح

اختيار الموظف الناجح يكون وفقا لمواصفات معينة ينبغي توفرها فيه، وأهم هذه الصفات صفتان أساسيتان، هما:

١- القوة، وتعني: (الكفاءة في العمل).

٢- الأمانة بمفهومها الشامل مع معنى الصدق والإتقان .

وهاتان الصفتان هما المذكورتان في قوله تعالى: ﴿ قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَجِرْهُ إِنَّكِ

خَيْرٌ مِّنْ أَسْتَجَرْتِ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ﴿٢٦﴾ القصص: ٢٦ .

"وهما شرطان لا بُدَّ منهما في الأجير: قوة على العمل، وأمانة في الأداء"^(١).

ويدخل في هاتين الصفتين ما جاء في سورة يوسف في قوله تعالى: ﴿ قَالَ أَجْعَلْنِي عَلَىٰ

خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾ يوسف: ٥٥ ، فالحفظ هو الأمانة، والعلم يعني

الكفاءة.

قال في المحرر الوجيز في تفسير الآية في بيان الصفتين أنهما:

"صفتان تعم وجوه التقيف والحيلة لا خلل معهما لعامل"^(٢).

وفي محاسن التأويل: أن قوله (حفيظ عليم) معناه: " أمين أحفظ ما تستحفظني،

عالم بوجوه التصرف فيه"^(٣) .

(١) تفسير الشعراوي، محمد متولي الشعراوي (المتوفى: ١٤١٨هـ) طبعة مطابع أخبار اليوم (١٩٩٧ م)، (١٧/١٠٩٠٩). ذكرها عند تفسير الآية سورة القصص.

(٢) المحرر الوجيز لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ (٣/٢٥٦).

(٣) محاسن التأويل لمحمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ (٦/١٩١)، وذكر القاسمي في تفسيره محاسن التأويل (٦/٢٤٤) صفات كثيرة لمن أراده الحكماء رئيسا للمدينة الفاضلة، يمكن لنا أن نأخذ منها بعض الصفات للموظف الجيد، منها: حسن التدبير، والثقة بالنفس، العفة، قوة الذاكرة، الاستعداد للعلم.. وقد استخلص ذلك من قصة يوسف ، فليرجع إليها..

ولا بد من تلازم الصفتين معا، فلا يصلح أميناً لا يستطيع تدبير أمر ولا يصلح مديراً بلا أمانة.

والكفاءة تتوفر بما يلي:

- ١- المعرفة الكافية بالعمل الذي يقوم به، وبمهاراته.
- ٢- القدرة الكافية على التعامل مع جوانب العمل ومستجداته.
- ٣- الترقى المستمر في المهارات والكفاءات.
- ٤- الاستعداد الجسمي والعقلي، والرغبة بالعمل الوظيفي.

والأمانة تتوفر بما يلي:

- ١- استقراغ الجهد المستطاع وتفعيل الطاقة كما يعرفها الموظف عن نفسه .
- ٢- الحرص التام على أمانة وظيفته، وحفظ أسرارها وأدواتها.
- ٣- المواظبة على أداء العمل بحسب العقد الموقع عليه.
- ٤- المسؤولية الكاملة عن العمل وما ينتج عنه.

وهاتان الصفتان تتصلان من جهة الموظف نفسه كما أن على المؤسسة أيضا مسؤولية في تحصيلهما في موظفيها ومسؤوليتها، وكلّ يكون تحصيله فيما يقدر عليه ويدخل تحت مسؤوليته.

فمهمة المؤسسة نحو الموظف يمكن أن أخصها بما يلي:

- الاختيار المناسب للعامل ووضعه في المكان المناسب.
- التدريب والتأهيل.
- الإعاشة الكافية والراتب المستحق بحسب الأعراف المهنية .
- المتابعة المستمرة من غير تعسف.
- عدم التكاليف فوق الطاقة.

ومسؤولية الموظف تتلخص بأن يلتزم بأداء وظيفته حسب ما تقتضيه، وفاء بعهده وعقده، قال تعالى: ﴿ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ﴾ ٣٤ الإسراء: ٣٤، وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ﴾ المائدة: ١.

كما أن عليه أن يوهل نفسه فيما يقدر عليه ويجتهد في ذلك، وأن لا يفرض بما هو قائم عليه وتحت حفظه؛ فذلك من الوفاء بالعقود.

المبحث الخامس: العلاقات بين المصطلحات الأربعة (المهنة والحرفة والصنعة والوظيفة)

من خلال معرفة معاني هذه الألفاظ ومفهوماتها يظهر أن هناك علاقات واضحة في كثير من الجوانب بين المصطلحات الأربعة، كما أن بينها فروق تدرك من خلال التأمل، وذلك كما يلي:

أولاً: جوانب الاتفاق والاشتراك بينها:

- الجميع فيها معنى التكسب وتحصيل الرزق.
- الجميع فيها معنى الحذق والمهارة، وقد لا يكون ذلك في الوظيفة بصورة كبيرة، أو في بعض الوظائف، حيث إن المهارة العالية لا تتراد لجميع الموظفين ولا لجميع الوظائف.
- الجميع فيها معنى السهولة واليسر على المشتغل بها، بمعنى أنه يمارسها بيسر وسهولة.
- تشترك كلها في أنها بحاجة إلى علم وحفظ وكفاءة، وهي شروط ضرورية لها.
- تشترك كلها في أن الناس يحتاجون إليها جميعاً، فلا يمكن لمجتمع أن يقوم بغيرها.

ثانياً: جوانب الإفتراق بينها:

- الصنعة: قيل هي أخص من الحرفة؛ لأنها تحتاج في حصولها إلى المزاولة المستمرة، والتعمق في المهارة، والحرفة والمهنة قد تطلق على الفعل العادي، والصنع أخص من الفعل لاقتضائه إرادة ومهارة.
- الصنعة فيها مهارة بالمحسوسات والمعنويات، فيقال: صنعة السيارات وصنعة الشعر، والمهنة والحرفة مهارتهما بالمحسوسات، والوظيفة تصلح أن تتعلق بالكل،

فيقال للمهني موظف وكذلك للحرفي والصنّاعي؛ لأنه يأخذ مقداراً من العمل يقوم به ويشغل عليه، وإن كان أصل الوظيفة مكتيباً.

- الحرفة والمهنة والصنّعة لا تنفك عن صاحبها ولو انقطع عن ممارستها فترة، وأما الوظيفة فإن ترتبط باستمرار العمل فقط، فلا يقال موظف لمن ترك عمله.

- الصنع أيضاً مضمن بالجودة، ولهذا يقال ثوب صنيع، وفلان صنيعه فلان إذا استخلصه على غيره، وصنع الله لفلان أي أحسن إليه وكل ذلك من الفعل الجيد^(١).

- المهنة تحتاج إلى تدريب طويل وكذلك الصناعة، بخلاف الحرفة، وأقل منها الوظيفة.

- ومن خلال الواقع: نجد أن توفير الوظائف هو مهمة الحكومات والمؤسسات وليس الأفراد. بخلاف المهنة والحرفة والصنّعة، فإنها مهمة فردية في تحصيلها والدافع إليها. وهذا فارق مهم، ولكن ينبغي على الدولة رعاية المهن والحرف والصنّاع، وإذا لم توجد في المجتمع، فلا بد من أن توجد الدولة حتى توفر منها للمجتمع والدولة ما يتيسر به العيش وتسهل به الحياة.

- المهني والحرفي قد لا يعرف كيفية تركيب ما يقوم به بعكس الصانع. والصانع قد يكون مساوياً للحرفي في حالة ما نقول أن الصانع هو من يصنع بيديه فقط، بمعنى أنه لا يحترف الصناعة.

(١) الفروق اللغوية، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري، تحقيق: الشيخ بيت الله بيّات، ومؤسسة النشر الإسلامي، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بـ «قم»، الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ ص ٣٢٢.

المبحث السادس : تعريف مقاصد الشريعة لغة واصطلاحا

وفيه خمسة مطالب

المطلب الأول: المقاصد في اللغة

المطلب الثاني: المقاصد في الاصطلاح

المطلب الثالث: الشريعة في اللغة

المطلب الرابع: الشريعة في الاصطلاح

المطلب الخامس: مقاصد الشريعة عند الفقهاء والأصوليين وأئمة المقاصد

الشرعية

المطلب الأول: المقاصد في اللغة

المقاصد جمع مقصد، وقد جاء المقصد في اللغة لمعان متعددة، منها بعض ما مر معنا في معنى الاقتصاد في اللغة، وذلك لرجوعهما إلى نفس الأصل الذي يشتقان منه^(١)، ويمكن أن نزيد هنا، أن المقصد يأتي أيضا بمعنى:

- ١- موضع القصد، وهو اسم مكان، ولذلك نقول: مقصدي كذا أو قصدي كذا، أي المكان الذي أريده، والمراد الغاية والهدف، فيقال: مقصدي كذا، أي غايته وهدفه، من جهة كونه اسم مصدر.
- ٢- توكي الأمر وتعمد فعله وتحريره^(٢).
- ٣- اتجاه السير، أي الجهة التي تسير إليها^(٣).

(١) انظر: علم المقاصد الشرعية، نور الدين بن مختار الخادمي، مكتبة العبيكان، الطبعة: الأولى ١٤٢١هـ- ٢٠٠١م ص ١٣.

(٢) تاج العروس (٩ / ٣٦).

(٣) كتاب العين، لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري، تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال (٣/٣٠٢).

المطلب الثاني: المقاصد في الاصطلاح

عندما نتكلم على المقاصد يجب معرفة أن هناك مقاصد للشارع ومقاصد للشريعة ومقاصد للمكلفين معتبرة في إطار مقاصد الشرع.

فمقاصد الشارع هي: المعاني والحكم السامية التي راعاها الشارع وبنى عليها أحكامه، إما في جميع أبواب الشريعة، وإما في بعض أبواب الشريعة^(١). ومقاصد الشريعة هي الأهداف العامة التي تسعى الشريعة إلى تحقيقها في حياة الناس. وهي المعاني والحكم التي راعاها الشارع في التشريع عموماً وخصوصاً من أجل تحقيق مصالح العباد^(٢).

وتطلق أيضاً على الأهداف الخاصة التي شرع لتحقيق كل منها حكم خاص^(٣). والمقاصد العامة تدخل في جميع أبواب الشرع، والمقاصد الخاصة هي ما تخص باباً من أبواب الفقه والشرع.

وقد أطلق العلماء على المقاصد الشرعية إطلاقين: مقاصد الشارع ومقاصد المكلفين، وبالتالي فإن المقاصد الشرعية تشمل مقاصد الشارع ومقاصد المكلفين التي لا تتناقض مقاصد الشارع؛ لأن مقاصدهم تدخل ضمن مقاصده، فهو يريد رفع الحرج عنهم والقيام بما يصلحهم^(٤).

ومقاصد الشارع أشمل من مقاصد الشريعة، فمقاصد الشريعة ليست هي كل مقاصد الشارع، لأن الشارع له مقاصد ليست للتشريع بخلاف الشريعة فقد وضعت للتشريع، فمثلاً: الله سبحانه وتعالى خلق الأشياء وله بذلك مقصد، وهذا المقصد هو مقصده

(١) مقاصد الشريعة الإسلامية دراسة أصولية وتطبيقات فقهية، د/ زياد محمد أحميدان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١ ٢٠٠٨ م ص ١٧.

(٢) علم المقاصد الشرعية ص ١٦.

(٣) انظر: مقاصد الشريعة الإسلامية دراسة أصولية وتطبيقات فقهية ص ٢٠.

(٤) انظر: المصدر نفسه ص ١٧.

من الخلق وليس من التشريع، إذ الخلق ليس تشريعاً. يقول تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ الملك: ٢ ، فالابتلاء هنا مقصد للشارع وليس مقصداً للشرعية^(١).

والباحث يريد هنا المقاصد الشرعية بمعناها الشامل، التي تشمل مقاصد الشارع ومقاصد الشرعية، وهي ينبغي أن تكون متفقة في مآلاتها، ولا تتناقض.

ومن الأهمية بمكان معرفة المقاصد الشرعية التي تهدف إلى استثمار الأحكام في إصلاح الفرد والأمة، ولأن المقاصد هي أهداف وغايات الأحكام الشرعية وهي مآلات يريدها الشارع ابتداءً ووضعت في ضوئها تلك الأحكام، ولذلك فإن المقاصد علم غايات الأحكام الشرعية، " يتم من خلالها معرفة حكمة التشريع في كل نوع من أنواع علوم الشرعية، وجزئياتها وأحكامها التفصيلية.

كما أنها أحد رُكني: "علم أصول الفقه" الموضوع لدلالة الفقيه على معرفة استنباط الأحكام الشرعية الفرعية من أدلتها التفصيلية، وكيفية الاستدلال بها، وحال المستدل، وركنه الآخر: "علم لسان العرب"^(٢).

وتقوم فكرة مقاصد الشرعية: على أن الشرعية إنما وضعت لأجل مصالح العباد في الدارين، الدنيا والآخرة..

وبحسب المفهوم العام للمقاصد فقد قسمها ابن عاشور إلى مقاصد التشريع العامة، ومقاصد الشرعية الخاصة.

- فمقاصد التشريع العامة: هي المعاني والحكم الملحوظة للشارع في جميع أحوال التشريع أو معظمها، بحيث لا تختص ملاحظتها بالكون في نوع خاص من أحكام

(١) نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي دراسة أصولية فقهية، أحمد الريسوني، الدار العالمية للكتاب الإسلامي، الطبعة: الثانية - ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م، ص ١٦٢.

(٢) انظر: الموافقات، لإبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، الطبعة الأولى ١٤١٧ هـ / ١٩٩٧ م (١ / ٢) من المقدمة.

الشريعة، فتدخل في هذا أوصاف الشريعة وغاياتها العامة والمعاني التي لا يخلو التشريع من ملاحظتها، ويدخل في هذا أيضاً معان من الحكم ليست ملحوظة في سائر أنواع الأحكام ولكنها ملحوظة في أنواع كثيرة. منها: حفظ النظام، وجلب المصالح ودرء المفسد، وإقامة المساواة بين الناس، وجعل الأمة قوية مرهوبة الجانب.

- مقاصد الشريعة الخاصة: وهي الكيفيات والأهداف المقصودة للشارع لتحقيق مقاصد الناس النافعة، أو لحفظ مصالحهم العامة في تصرفاتهم الخاصة، ويدخل في ذلك كل حكمة روعيت في تشريع أحكام تصرفات الناس^(١)...

ويجمع هذين القسمين المقصد العام للتشريع وهو: "حفظ نظام الأمة، واستدامة صلاحه بصلاح المهيمين عليه وهو نوع الإنسان"^(٢)، أي أن غاية المقاصد هي حفظ الإنسان ومراعاة ما يصلحه في دينه ودنياه. ولذلك فمراعاة أي جزئية من جزئيات التشريع وحكمه وأسراره يقصد به في غايته مصلحة هذا الكائن البشري في وجه من الوجوه، قد يظهر جلياً وقد لا يظهر إلا لأصحاب النظر.

(١) انظر: نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي ص ٦.

(٢) انظر: في الاجتهاد التنزيلى، د: بشير بن مولود جحيش، كتاب الأمة العدد: ٩٣، السنة الثالثة والعشرون، المحرم ١٤٢٤هـ. ص ٤٤، ٤٥.

المطلب الثالث: الشريعة في اللغة

جاءت الشريعة من ناحية لغوية بمعان عدة، من ذلك:

١: النهج والطريق الواضح.

٢: الدخول في الشيء بقصد تحصيل بقية أجزائه^(١).

٣: مُنَحَدَّرُ المَاءِ^(٢).

وَأَصْلُ الشَّرِيعَةِ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ: مَوْرِدُ الشَّارِبَةِ الَّتِي يَشْرَعُهَا النَّاسُ، فَيَشْرَبُونَ مِنْهَا وَيَسْتَقُونَ، وَالْعَرَبُ لَا تُسَمِّيهَا شَرِيعَةً حَتَّى يَكُونَ الْمَاءُ لَا انْقِطَاعَ لَهُ، وَيَكُونُ ظَاهِرًا مَعِينًا^(٣).

٤: شَيْءٌ يُفْتَحُ فِي امْتِدَادٍ يَكُونُ فِيهِ^(٤).

ومن المشتقات التابعة للمعنى:

التشريع: وهو مطاوع شرع، مصدر. والاشتراع: وهو اتباع الشريعة والنهج.

والشرع: وهو الطريق السواء، والمنهج الذي شرعه الله للناس يسمى شرعا أيضا، وهو

عين الشريعة. والشريعة: وهي الطريق والمذهب المستقيم، وفي التنزيل العزيز قَالَ

تَعَالَى: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شَرْعَةً وَمِنْهَا جَاً وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾^(٥) المائدة:

٤٨^(٥)، و"الشريعة" هي "الشريعة" بعينها^(٦). والشارع: هو الطريق الأعظم^(٧).

(١) التوقيف على مهمات التعاريف ٤٢٨

(٢) تاج العروس (٢١ / ٢٥٩)

(٣) تاج العروس (٢١ / ٢٦٠)

(٤) معجم مقاييس اللغة (٣ / ٢٦٢)

(٥) انظر: المعجم الوسيط (١ / ٤٧٩) وغيره.

(٦) جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير، أبو جعفر الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة

الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م (١٠ / ٣٨٤)

(٧) مختار الصحاح زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي، تحقيق: يوسف

الشيخ محمد، المكتبة العصرية، الدار النموذجية، بيروت، صيدا، الطبعة: الخامسة، ١٤٢٠ هـ / ١٩٩٩ م ص ١٦٣.

المطلب الرابع: الشريعة في الاصطلاح

الظاهر أن المعنى الاصطلاحي للشريعة يواكب المعاني اللغوية تماما، فالشريعة:

"ما شرع الله تعالى لعباده من الدين أو ما سنَّ الله من الدين وأمر به، كالصَّوم والصَّلَاة، والحجَّ والزَّكَاة، وسائر أعمال البرِّ، ومنه قوله تَعَالَى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعَهَا﴾ (١٨) ﴿الجمعة: ١٨﴾" (١) أي طريقة وسنة تسير عليها في امتثال ما أمرت به واجتناب ما نهيت عنه.

والشريعة جزء من الدين، وهي منهج التدين، والدين واحد والشرائع مختلفة^(٢)، بمعنى طرق التدين.

والشرعة والشريعة بمعنى واحد: أي الطريقة الظاهرة التي يتوصل بها إلى النجاة^(٣).

(١) تاج العروس (٢١ / ٢٥٩) :

(٢) انظر: جامع البيان للطبري (١٠ / ٣٨٥).

(٣) الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية - القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م (٦ / ٢١١).

المطلب الخامس: مقاصد الشريعة عند الفقهاء والأصوليين وأئمة المقاصد

الشرعية

أولاً: نشوء المقاصد وتطورها:

الأصل في الأحكام الشرعية التعليل. وذلك لأن مبنى كل حكم على علته، وليس من حكم إلا وله علة قد تظهر وقد تحتاج إلى بحث ونظر. وقد أسهب الآمدي^(١) في الإحكام، في بيان هذا الأصل وبين أنه لا بد من تعليل للأحكام لارتباطها بالمصالح الإنسانية. وكان الرازي^(٢) في المحصول قد استبعد هذا الأصل^(٣)، وقد جاء كلام كثير عن المقاصد واعتبارها في كتب ابن تيمية^(٤)، وابن القيم، وخاصة كتابه: إعلام

(١) هو: علي بن محمد بن سالم التغلبي، أبو الحسن، سيف الدين الآمدي: أصولي، باحث. أصله من آمد (ديار بكر) ولد بها، سنة: ٥٥١هـ، وتعلم في بغداد والشام. وانتقل إلى القاهرة، فدرّس فيها واشتهر. طاف عددا من البلدان في طلب العلم ونشره، ثم رجع إلى دمشق " فتوفي بهاسنة: ٦٣١هـ. له نحو عشرين مصنفا، منها " الإحكام في أصول الأحكام ، ومختصره " منتهى السؤل" و" أباكار الأفكار، في علم الكلام، وغيرها. انظر: الأعلام، لخير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي ، دار العلم للملايين، الطبعة: الخامسة عشر ، أيار / مايو ٢٠٠٢ م ، (٤ / ٣٣٢) .

(٢) هو: محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي البكري، أبو عبد الله، فخر الدين الرازي: الإمام المفسر. أصله من طبرستان، ومولده في الري سنة: ٥٤٤هـ ، وإليها نسبته، ويقال له (ابن خطيب الري) رحل إلى خوارزم وما وراء النهر وخراسان، وتوفي في هراة سنة: ٦٠٦هـ.. من تصانيفه (مفاتيح الغيب) في تفسير القرآن الكريم، و(لوامع البيئات في شرح أسماء الله تعالى والصفات) و (المحصول في علم الأصول) . انظر: الأعلام للزركلي (٦ / ٣١٢ ، ٣١٣) .

(٣) انظر، مثلا: المحصول، لأبي عبد الله محمد بن عمر، فخر الدين الرازي، تحقيق: الدكتور طه جابر فياض العلواني، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الثالثة، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م (٥ / ١٨١) .

(٤) انظر: مثلا: إقامة الدليل على إبطال التحليل (مطبوع ضمن الفتاوى الكبرى، المجلد الثالث) تحقيق: حسنين محمد مخلوف، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ص ١٤١، وغيرها، والفتاوى الكبرى (٥ / ٩٤) وغيرها من المواضع..

الموقعين^(١)، وغيرهما، وجاء الشاطبي^(٢) بموافقاته، فأشار إلى موقف الرازي المذكور وردّه، وأثبت التعليل لأفعال الله وأحكامه - سبحانه وتعالى - وأن ذلك على سبيل القطع، فقال: " استقرينا من الشريعة أنها وضعت لمصالح العباد استقراءً لا ينازع فيه الرازي ولا غيره... وإذا دل الاستقراء على هذا وكان في مثل هذه القضية مفيداً للعلم فنحن نقطع بأن الأمر مستمر في جميع تفاصيل الشريعة"^(٣).

وهذا الكلام مبني على مراعاة الشريعة لمصالح العباد في كل الأحوال. وقد أدى هذا الجدل إلى بروز فكرة مقاصد الشريعة وإلى بلورتها^(٤). وإن كانت قد ظهرت قبل ذلك على يد الإمام الجويني^(٥) كما في كتابه: البرهان في أصول الفقه، وكتابه: التلخيص في أصول الفقه، ثم على يد تلميذه الغزالي^(٦) كما في كتابه: المستصفى، وإن بصورة

(١) انظر: إعلام الموقعين، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١هـ - ١٩٩١م (٣ / ٧٩، ٨١، ٨٩).. وغيرها ..

(٢) هو: إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي، المتوفي سنة: ٧٩٠هـ: أصولي حافظ. من أهل غرناطة. كان من أئمة المالكية. من كتبه (الموافقات في أصول الفقه) ، و (المجالس) شرح به كتاب البيوع من صحيح البخاري، و (الإفادات والإنشادات) رسالة في الأدب، وغيرها. انظر: الأعلام للزركلي (١ / ٧٥).

(٣) انظر: الموافقات (٢ / ١٢) وفي مواضع أخرى، وانظر: نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي دراسة أصولية فقهية ص ١١٩.

(٤) نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي دراسة أصولية فقهية ص ١٢٨.

(٥) هو: إمام الحرمین عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني، أبو المعالي، ركن الدين، الملقب بإمام الحرمين. ولد في جوين (من نواحي نيسابور) سنة: ٤١٩هـ، ورحل إلى بغداد، فمكة حيث جاور أربع سنين. وذهب إلى المدينة فأفتى ودرس، جامعاً طرق المذاهب. ثم عاد إلى نيسابور. له مصنفات كثيرة، منها " غياث الأمم والتهافت الظلم " و " العقيدة النظامية في الأركان الإسلامية " و " البرهان " في أصول الفقه، و " و " الشامل " في أصول الدين، على مذهب الأشاعرة، و " الإرشاد " في أصول الدين، و " الورقات " في أصول الفقه وغيرها. توفي بنيسابور سنة: ٤٧٨هـ. انظر: الأعلام للزركلي (٤ / ١٦٠).

(٦) هو: محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي، أبو حامد، حجة الإسلام: فيلسوف، متصوف، له نحو مئتي مصنف. مولده ووفاته في الطابران (قصبه طوس، بخراسان) (٤٥٠ - ٥٠٥ هـ)، رحل إلى نيسابور ثم إلى بغداد فالحجاز فبلاد الشام فمصر، وعاد إلى بلده. نسبته إلى صناعة الغزل (عند من يقوله بتشديد الزاي) أو إلى غزّالة (من قرى طوس) لمن قال بالتخفيف. من كتبه إحياء علوم الدين) و(تهافت الفلاسفة) و(الاقتصاد في الاعتقاد و (الوقف والابتداء) في التفسير، و(البسيط) في الفقه، و(المنقذ من الضلال) و(فضائح الباطنية).

عامة، ولكن كانت فيها البذور الأولى للمقاصد^(١).

وقد توالى الكتابة والبحث في المقاصد بعد الإمام الشاطبي رحمه الله تعالى في صورة كتابات في القواعد العامة للتشريع كما تضمنت ذلك كتب أصول الفقه أيضا في مباحث التعليل ومسالكه. ثم جاء ابن عاشور^(٢) فأعاد الكلام عن المقاصد بصورة أقوى في كتابه مقاصد الشريعة، ثم توالى الشروح والبحوث على كتاب الموافقات للشاطبي والمقاصد لابن عاشور فظهرت كتابات كثيرة حديثة لها أهميتها في التحليل والتفصيل الدقيق لهذا العلم العظيم.

ومن هذا العرض يتبين أن المقاصد إنما جاءت لتلبي الحاجة التبريرية لما هو كائن من الأحكام وليس لما ينبغي أن يكون، ثم تطورت بعد ذلك إلى النظر الكلي للأحكام لتؤطر ما ينبغي أن يكون^(٣)، وهذا هو الجانب الاستثماري الصحيح لمبادئ الشريعة الإسلامية؛ فهي شريعة واقعية ينبغي أن تلبي تجدد حاجات المجتمع في كل زمان ومكان.

و(شفاء العليل) في أصول الفقه، و(المستصطفى من علم الأصول) و(المنحول من علم الأصول) انظر: الأعلام للزركلي (٧ / ٢١، ٢٢)

(١) نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي دراسة أصولية فقهية ص ١٣٨.

(٢) هو: محمد الطاهر بن محمد الشاذلي بن عبد القادر بن محمد بن عاشور: نقيب أشرف تونس وكبير علمائها، في عهد الباي محمد الصادق (باشا). ولي قضاءها سنة ١٢٦٧ هـ ثم الفتيا (سنة ١٢٧٧) فنقابة الأشراف. وتوفي بتونس سنة: ١٢٨٤ هـ، ١٨٦٨ م. له كتب، منها (شفاء القلب الجريح) في شرح البردة، و(هدية الأريب) حاشية على القطر لابن هشام، في النحو، و(الغيث الإفريقي) حاشية على عبد الحكيم على المطول، غير تامة، ومثلها (حاشية على المحلى على جمع الجوامع) و(حاشية على شرح العصام لرسالة البيان) و(مقاصد الشريعة) و(التحرير والتنوير) في التفسير.. انظر: الأعلام للزركلي (٦ / ١٧٣).

(٣) انظر: نحو تفعيل مقاصد الشريعة، جمال الدين محمد عطية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط ٢، ٢٠٠٨ م، ص ١٨٤.

ثانياً: كليات المقاصد الشرعية:

من المعروف أن إمام الحرمين الجويني - رحمه الله - هو أول من حاول إثبات صحة التعليل بالوصف المناسب- كما في البرهان في مواضع منه- وذلك بطريق تكيف الشريعة لأجل النظر فيها من خلال مقاصدها المصلحية^(١).

ثم درج العلماء بعد الجويني على تقسيم مقاصد الشريعة إلى ثلاثة أقسام: ضرورية وحاجية وتحسينية. ويتعلق بكل قسم تتمات له أو مكملات، مع إقامة الدلائل لهذا التقسيم والأمثلة التطبيقية لذلك^(٢).

وقد ذهب أكثر العلماء إلى أن المصالح ترجع إلى خمسة أمور هي بمثابة الأصول، أو ما أطلق عليها: الضروريات، وهي التي ترجع إليها كل المصالح، وهي حفظ الدين والنفس والعقل والنسل والمال، وأحكام الشريعة تؤدي إلى حفظ هذه المصالح قطعاً.

وبالنظر إلى المقاصد الشرعية بصورة عامة نجدتها نوعين: مقاصد أصلية، ومقاصد تابعة.

فأما المقاصد الأصلية، فهي التي لا حظ فيها للمكف، بمعنى أنه ضرورات عامة، وهي الضروريات المعتبرة في كل ملة. وأما المقاصد التابعة، فهي التي روعي فيها حظ المكلف^(٣) بمعنى أنه يسعى إلى تحصيلها لنفع نفسه وبالتالي نفع المجموع، وهذان النوعان من المصالح الأصلية والتابعة هي مقاصد للشارع .

وعند الكلام على المقاصد الشرعية لا ينبغي قصرها على مقاصد الشريعة العامة فقط ولكن لا بد من إدخال المقاصد الخاصة، على اعتبار أنها جزء لا يتجزأ منها.

(١) انظر: نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي دراسة أصولية فقهية ص ٤٥، ١٣٩، ١٤١، ١٤٨، ١٦٠.

(٢) انظر: نفس المصدر والمواضع.

(٣) الموافقات (٢ / ٣٠٢ ، ٣٠٣) باختصار وتصرف.

ثم إن حصر المقاصد الشرعية في الخمس الضرورات أمر يحتاج إلى إعادة نظر؛ حيث إن هناك ضرورات متجددة للإنسان يحتاج فيها إلى أحكام تستوعبها وتشريع يضمنها، مثل الحرية والعدالة والمساواة والكرامة وجميع حقوق الإنسان، ولكل منها مراتب ينبغي تنزيلها فيها بحسبها^(١).

وهناك مقاصد تتعلق بالأفراد ومقاصد تتعلق بالمجتمع والأمة، إذ إن مصالح الأفراد قد تختلف حال كونها مقصدا فرديا عن حال كونها مقصدا جماعيا، وهي تحتاج إلى موازنة ونظر دقيقين حتى يتم وضع كل منها في إطارها السليم، كما أنه لا بد من مراعاة تجدد المصالح والمقاصد التي قد تتغير بحسب الزمان والمكان من حيث التقديم والتأخير، وقد تتنوع بحسب المجالات التي توضع فيها، كالمجال العقدي والتربوي والسياسي والاقتصادي والاجتماعي...

كما أن الملاحظ أن الضرورات التي ذكرها العلماء كمقاصد قد تحتاج إلى تقسيم ثلاثي أيضا، فكل واحدة منها فيها ضرورات وحاجيات وتحسينات، من جهة أصولها ومكملاتها المؤثرة ومتممات تحسينية لها، وكل من هذه المراتب قد تتطور - بحسب الزمان والمكان - إلى المرتبة الأعلى منها..

(١) انظر: نحو تفعيل مقاصد الشريعة ص ٩٣، و ص ١٠٤.

الفصل الثاني

تطور الحرف والصناعات

الفصل الثاني: تطور الحرف والصناعات

وفيه ثلاثة مباحث

المبحث الأول: نشأة الحرف والصناعات وتطورها

المبحث الثاني: أمهات الحرف والصناعات في الجملة وبعض ما

يلحق بها من المهن

المبحث الثالث: أهمية الحرف والصناعات وخصائصها

المبحث الأول: نشأة الحرف والصناعات وتطورها

وفيه ثلاثة مطالب

المطلب الأول: نشأة الحرف في المجتمعات البشرية

المطلب الثاني: الحرف والصناعات في العصور الأولى

المطلب الثالث: تطور الحرف والصناعات

المطلب الأول: نشأة الحرف في المجتمعات البشرية

نشأت الحرف حين بدأ الإنسان يعي ضرورة توفير حاجاته بصنع أدواته وما يلزمه من غذاء ولباس وسكن، وكان أول أمره يجمع الثمار ويأكلها بدافع غريزة الجوع شأنه شأن الحيوانات، وتطورت حاجاته بعد ذلك فأصبح يصيد السمك والحيوانات ويزرع بعض الثمار لغذائه ويصنع بيده أدوات من حجر تزيد في قدرته على كسب عيشه وحماية نفسه من غوائل الطبيعة^(١) وكلما احتاج شيئاً بحث عما يمكنه من تحصيله، من أدوات وآلات.

ومع اكتشاف الإنسان للنار، استخدمها في توفير الدفء والدفاع عن النفس من الحيوانات المفترسة، ومع اكتشاف المعادن والحديد راح يصنع الأدوات المختلفة منها، واستعملها في فلاحه الأرض وبناء السكن وتوظيف نتاج الحيوانات من صوف وجلد وعظم، لستر جسده وصنع لباس يقيه البرد والحر، فنشأت حرفة الغزل والنسيج والحياكة والحدادة وصنع الفخار والأدوات المنزلية، وتعددت الأعمال والمهن وازدادت تخصصاً، وأصبح كل فرد يعمل فيما يناسبه ويميل إليه من الأعمال^(٢).

كيف تنشأ الحرف في المجتمعات؟

الناس قديماً وحديثاً يجتمعون في أماكن معينة تبعاً لأسباب الرزق وتحصيله كي يتمكنوا من العيش المناسب والمرغوب، حيث يود كل إنسان تحسين مستوى معيشته ودخله، كما أن طبيعة الإنسان الاجتماعية تفرض عليه أن يعيش في تجمعات يتمكن فيها من إشباع غرائزه وتطلعاته، كما أنه في نفس الوقت يجد حماية لنفسه مما قد يكون خطراً عليها في العاجل أو الآجل.

وعند تخطيط مدينة أو محلة في أي بلد من البلدان، يجتمع الناس ويتكاثرون فيها، وبالتالي فإن الناس يصبحون بحاجة ماسة لتوفير الخدمات التي يحتاجونها في

(١) جغرافية الصناعة، د/ علي أحمد هارون، دار الفكر العربي، القاهرة: ٢٠٠٢م ص ٢٢.

(٢) نشوء الأصناف والحرف في الإسلام، عبد العزيز الدوري: مقال مجلة كلية الآداب بغداد عدد لسنة ١٩٥٩م ص ١٥٤.

حياتهم ومعاشهم، ولذلك تبدأ الحركة التبادلية للمنافع والخدمات، وتظهر كثير من الحرف والمهن في ذلك التجمع السكاني، ويرافق ذلك بروز المحلات والمؤسسات المهنية، - بصورة فردية وجماعية - كلٌ يعرض ما يجيده من خدمات وما يملكه من سلع، وكل ذلك بشكل بعيد عن الرسمية أو تدخل الدول والحكومات.

ويتوسع البناء وانتشار المباني وتزاحم الناس على هذه المدينة تتوسع هذه الخدمات وتتنوع، وكل ذلك تبعاً لبروز الحاجات والمطالب البشرية في هذا الحي أو ذاك، وفي هذه المدينة أو تلك.

وغالباً ما يبدأ تسمية هذه المدن الصغيرة أو المحلات بـ(الأحياء) وفي ذلك دلالة إلى أن الحياة دبت في هذه المنطقة، وهكذا تضطرد هذه القاعدة في كل المجتمعات:

(اجتماع بشري ← حاجات ← مهن وحرف وصناعات).

وهذه المهن والحرف تبدأ سهلة بقدر طلبات الإنسان ثم تتعقد وتتنوع؛ إذ الضروري من الحاجات أسهل في التعليم، كما يقول ابن خلدون^(١) : والكمالي أكثر تعقيداً^(٢).

وسبب ذلك هو أن متطلبات الفرد الواحد غير متطلباته وحاجاته حينما ينضم إليه فرد آخر، فينشأ عن اجتماع الاثنين حاجات ومطالب جديدة، وكذلك كلما زاد عدد المجتمعين كثرت حاجاتهم ومتطلباتهم، وأفضل مثال على هذا ما ينتج من حاجات ومطالب باجتماع المرأة والرجل في الزواج (منشأ ما يسمى بمطالب الأسرة) واجتماع أسر ينشأ عنه حاجات مجتمعية أكثر، وهكذا.

ويؤيد هذا ما ذكره العلامة ابن خلدون بقوله: " إن الصنائع منها البسيط ومنها المركب، والبسيط هو الذي يختص بالضروريات، والمركب هو الذي يكون

(١) هو: عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون أبو زيد، الحضرميّ الإشبيلي، من ولد وأئبل بن حجر: الفيلسوف المؤرخ، العالم الاجتماعي البحاثة. أصله من إشبيلية، ومولده ومنشأه بتونس (٧٣٢ - ٨٠٨ هـ = ١٣٣٢ - ١٤٠٦ م). رحل إلى فاس وغرناطة وتلمسان والأندلس، وتولى أعمالاً، واعترضته دسائس ووشايات، وعاد إلى تونس. ثم توجه إلى مصر فأكرمه سلطانها الظاهر برفوق. وولي فيها قضاء المالكية، وتوفي فجأة في القاهرة. انظر: الأعلام للزركلي (٣ / ٣٣٠) .

(٢) مقدمة ابن خلدون الدار التونسية العربية والمؤسسة الوطنية الجزائرية، ط ١٩٨٤م (٤١/١).

للجماليات، والمتقدم منها في التعليم هو البسيط، لبساطته أولاً، ولأنه مختص بالضروري الذي تتوفر الدواعي على نقله... ولا يحصل ذلك دفعة وإنما يحصل في أزمان وأجيال.. فإذا تمدنت المدينة وتزايدت فيها الأعمال ووفت بالضروري وزادت عليه، صرف الزائد حينئذ إلى الكمالات من المعاش"^(١).

(١) مقدمة ابن خلدون (١/٤٠٠).

المطلب الثاني: الحرف والصناعات في العصور الأولى

من الصعب تحديد الزمن الذي بدأت فيه المهن والحرف - كشيء مسمى حرفة أو مهنة- بالظهور ولكن يمكن القول إن أول وجود للإنسان اقتضى وجود حاجات له، وذلك كان بصورة بدائية بحسب الحاجات الإنسانية والبشرية، ولما احتاج الإنسان لقوام العيش أحتاج أن يوفر ما يتطلبه من حرف ومهن، ولم يكن ذلك اختراعا فجائيا وإنما كان ذلك نتاجا طبيعيا لتطور الحاجات البشرية، ثم كلما اجتمع الإنسان مع غيره تطورت حاجاته وكثرت، وكلما كثرت التجمعات البشرية احتاجت إلى متطلبات أوسع وخدمات متنوعة، وهذا قائم على التبادل الحيوي للمنافع والخدمات بين أبناء المجتمع الواحد، أو المجتمعات المتنوعة.

وتتطور الخدمات والمهن مع اختلاط البشر وهجراتهم، حيث إن ذلك مسألة طبيعية قائمة بين البشر، فالمجتمعات تحتاج لتبادل المنافع والمعلومات والخبرات وبالتالي تتطور وتتنوع، والحياة البشرية قائمة على هذا النحو، في جميع المهارات والخبرات والمهن. سواء مهارات العمل والإنتاج، أو الآلات التي يحتاجها الناس في استخراج المنافع من البر والبحر، من أجل تيسير الحياة وسبل العيش، ولو بالقدر الضروري، بحسب الزمان والمكان، من أجل استمرار الحياة وتحسين ظروفها. ومن هنا برزت الحرف والمهن كعامل مهم لتسهيل الحياة وإنتاج ما يصلحها من أشياء.

وهذا المطلب يتناول نشأة الحرف والصناعات في المجتمعات، وذلك في فرعين اثنين كما يلي:

الفرع الأول: عند غير العرب

كانت البلاد غير العربية أكثر ازدهارا في الصناعات والحرف، وذلك لعراقتها في التمدن والعمران، وهذا معلوم من تأريخ الممالك التي وصلنا تأريخها، فإنها كانت تمثل القوى العظمى والرئيسية في التأريخ القديم، ولها من المدن والعمران ما يجعلها تحتاج إلى كثير من الصناعات والحرف.

وهذا ما ذكره ابن خلدون عند كلامه على الحرف والصناعات، حيث قال عنهم إنهم: "أقوم الناس عليها- أي على الحرف والصناعات - لأنهم أعرق في العمران الحضري وأبعد عن البدو وعمرانه... ولهذا نجد أوطان العرب وما ملكوه في الإسلام قليل الصنائع بالجملة...، وانظر بلاد العجم.. وأمم النصرانية كيف استكثرت فيهم الصنائع واستجلبتها الأمم من عندهم .."^(١). ثم يذكر بعض الأمم في الشرق والغرب من غير العرب.

فابن خلدون هنا يؤكد أن الصناعات والحرف كثرت عند الأمم ما عدا العرب، وذلك لقلّة التمدن عند العرب، ويظهر من هذا أن من دواعي وجود المهن والحرف وكثرتها هو ما يكون من العمران والمدن التي تستدعي بطبيعة الحال ما يسهل سبل العيش فيها.

ولا يقتصر تواجد المهن على ما يقوم بأساس المعيشة منها فقط، بل إن العمران البشري كان يستدعي صناعات في الجوانب الفنية والكمالية، وقد وجد في مناطق كثيرة من البلاد غير العربية "صناعاً مهرة وفنيين في العديد من المهن، مثل: صناعة الحرير، والذهب والفضة، والنقش والبناء، والفلاحة وأساليب الري الفنية"^(٢). بمعنى أنهم لم يكونوا فقط ينشغلون في السلع الضرورية والمستهلكة محليا، بل كانوا أيضا يهتمون بإنتاج السلع الاقتصادية والتجارية، مما ينبئ عن حسهم التجاري والاقتصادي الذي يساعدهم في تحسين ظروف العيش ويجعلهم في صدارة الأمم.

(١) مقدمة ابن خلدون (٤٠٤ / ١)

(٢) موسوعة اليهود و اليهودية و الصهيونية (٣ / ٣٨٠)

الفرع الثاني: عند العرب

كان العرب القدامى يحتقرون الحرف والصناعات ويميلون إلى عدم الاستقرار، والتنقل وراء المراعي، ولذلك لم يعرف عنهم أنهم اشتغلوا بالحرف أو الصناعات التي تتطلب استقرارا واستمرارا، وقد اقتصر عملهم فيها على مصنوعات بسيطة يصنعها العربي لنفسه.

أما الزراعة فإن الجفاف وطبيعة البلاد الصحراوية، قد جعلت الأرض قاحلة إلا في بعض المناطق القليلة. وحتى التجارة فإنه لم يكن للبدو ما يؤهلهم لها، وقليل ما كانوا يمارسونها، بيد أنهم قد استُخدموا حراساً للقوافل التجارية، أو أدلاءً لها لقاء أجور يتقاضونها من أصحاب القوافل، الذين ربما استأجروا منهم جمالا لنقل بضائعهم. ومع كون التجارة هي المهنة التي يكون لها شيئا من الاحترام أكثر من سواها، فإنهم كانوا ينشغلون بها بصورة متواضعة^(١).

إنما كانت معيشة البدو قائمة على ما تنتجه مواشيهم من ألبان ولحوم يتغذون بها، ومن صوف ينسجون منه خيامهم ولباسهم، ومن جلود يستعملون منها قِرباً أو أحذية يحتنونها، كما كانوا يعتمدون على الموارد التي تأتيهم من الغزو، الذي كان ركنا من أركان الحياة في الصحراء^(٢). ومن هنا فإن حياة العرب القديمة كانت تعتمد بصورة أساسية على حرفة الرعي التي كانت المورد الاقتصادي الأساسي^(٣)، ولذلك نجد أدبيات كثيرة من الثقافة العربية قبل الإسلام تستهجن مهن الصناعة والتعدين، وتعدهما من خسيس المهن، وهي مهن لا يشتغل فيها العربي إلا مضطراً، بل إنها متروكة للرقيق والموالي واليد العاملة المجلوبة من خارج الجزيرة العربية. وقد كان العرب يطلقون على أصحاب بعض المهن كالحداثة مثلاً: (القين)، وهو اسم مرادف

(١) انظر: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، الدكتور جواد علي (المتوفى)، دار الساقى، الطبعة الرابعة

١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م (١٣/٢٢٧).

(٢) انظر: تاريخ العرب القديم: توفيق برو، دار الفكر، الطبعة الثانية ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م، ص ٢٣٦.

(٣) المصدر السابق: ص ٢٩٥.

للعبد المملوك^(١)، مما يدل على احتقارهم لتلك المهن وعدم اكتراثهم بها، وكانت طبقة الحرفيين هي أدنى الطبقات في المجتمع^(٢). ولهذا وجدنا أن مثل تلك الأعمال تتطلب جلب عمالة من خارج الجزيرة العربية، وفي هذا تفسير لبعض من ظاهرة وجود العمال المجلوبين من الخارج بصورة ملحوظة، وكذلك سيطرة الموالي والوافدين على سوق العمل الصناعي والتعديني في عصور جزيرة العرب المتعددة.

(١) انظر: تاج العروس (٣٠/٣٦).

(٢) انظر: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام (١٤١/١٤).

المطلب الثالث: تطور الحرف والصناعات

إن تطور المجتمعات يرتبط ارتباطاً وثيقاً بتطور الحرف فيها، وتطور الأدوات والآلات التي تساعد الإنسان في إنتاجه، ولا شك أن تطور الحرف وأدواتها ارتبط بالاكتشافات العلمية التي مكنت من استخراج المعادن وتطوير الآلات الصناعية التي تؤسس لتطوير كل جوانب النشاط البشري.

وبعد دخول الكهرباء والإلكترونيات عالم العمل، ارتقت المجتمعات اقتصادياً وصناعياً واجتماعياً وحقت استثماراً أفضل، ومردوداً أعلى لمواردها من الخامات الكامنة في أرضها وبحارها ومن الزراعة بأشكالها المختلفة.

ولأن الإنسان مدني بطبعه، اجتماعي بفطرته؛ فلا بد أن يتفاعل مع بني جنسه لكي يحيا على نحو طبيعي متوازن، فتفاعل الإنسان مع بني جنسه يشكل الركيزة الأساسية التي يقوم عليها المجتمع مما ينتج منظومة من الأعراف والثقافات التي تتسم بالخصوصية لدى أي مجتمع من المجتمعات، وهذه الخصوصية تختلف بطبيعة الحال باختلاف النطاق الزمني والمكاني مما يجعل دراسة ثقافة المجتمعات والأعراف السائدة فيها ضرورة للفقهاء كي يبين بدقة الحكم الشرعي فيها^(١). على أن اختلاف فئات المجتمع وتباين حاجاتها وحقوقها وواجباتها يحتم إدراك أهمية توفير الرعاية لجميع الفئات كل بحسب متطلباته، فالإسلام شمل برعايته الجميع صغاراً وكباراً، فقد اهتم بالأطفال وحسن تربيتهم وتعليمهم وملاطفتهم وأوصى بالأيتام وأوجب مراعاتهم مادياً ومعنوياً، واهتم بالشباب وحث على استثمار طاقاتهم وقدراتهم وتوجيهها إلى سواء الصراط، ولم يغفل كبار السن بل ركز على وجوب رعايتهم والعطف عليهم ومراعاة ما يولده كبر السن من تغير نفسي وعاطفي وعقلي، وهذا كله يترجم في مهن وحرف وأعمال مهنية بحسب التطور والتقدم البشري.

(١) انظر: مقدمة ابن خلدون (٤١/١ - ٤٢)

المبحث الثاني: أمهات المهن والحرف والصناعات في الجملة وبعض ما يلحقها

من المهن

وفيه تسعة مطالب

المطلب الأول: حرفة الزراعة وما يلحقها من المهن

المطلب الثاني: حرفة الرعي وتربية الحيوان وما يلحقها من المهن

المطلب الثالث: حرفة الصناعة وما يلحقها من المهن

المطلب الرابع: حرفة التجارة وما يلحقها من المهن

المطلب الخامس: حرفة البناء والإعمار وما يلحقها من المهن

المطلب السادس: المهن الإلكترونية والتكنولوجية

المطلب السابع: المهن الطبية

المطلب الثامن: المهن المتعلقة بالحكم والإدارة

المطلب التاسع: المهن التعليمية

المطلب العاشر: العلاقة بين الحرف والمهن والصناعات

المطلب الأول: حرفة الزراعة وما يلحقها من المهن

تعتبر الزراعة من أهم الأنشطة التي يحتاجها الإنسان؛ فهي تمدنا تقريباً بكل ما نحتاجه من غذاء بالإضافة إلي توفير مستلزماتنا من الكساء والمأوى. وليس هذا فحسب بل إن الزراعة توفر لنا المواد الضرورية لبعض الصناعات الأساسية مثل الدهانات، والمواد الطبية، ومواد أولية كثيرة، وتدل الإحصائيات المتوفرة أن نصف القوى العاملة، على المستوى العالمي، تعمل في مجال الزراعة، ويفوق ذلك عدد العاملين في مجال الصناعة^(١).

ولذا تعتبر الزراعة من أقدم المهن التي مارسها الإنسان^(٢)، إذ يرجع بدء نشأتها إلى ما قبل حوالي ١١,٠٠٠ سنة في منطقة الشرق الأوسط؛ حيث اكتشفت بعض القبائل في منطقة الشرق الأوسط كيفية زراعة النباتات من البذور..^(٣) وهذا بحسب المصادر التي وصلتنا، وإن كان الاجتماع البشري يبين أن الحاجة إلى الزراعة لا بد أن تظهر مع ظهور الإنسان، لما لها من ارتباط بحياته وعيشه وبتوفير الموارد الزراعية والطبيعية من المواد الخام اللازمة لمعظم الأمور المتعلقة بالغذاء والملابس والطاقة والمساكن والسلع الصناعية التي يحتاجها الناس، بقدر حاجاتهم المتجددة باستمرار.

وقد تطورت الزراعة وأساليبها مع مرور الزمن والعصور، كما دعت كثرة الاحتياجات البشرية والتجمعات الإنسانية إلى مزيد من التطوير الإنتاجي على

(١) الموسوعة العربية موقع

vBulletin® v3.8.4, Copyright ©2000–2010, Jelsoft Enterprises Ltd.

وهذا لا يدل على أن الزراعة أفضل من الصناعة، ولكن يدل على سعة المهنة الزراعية، وهي مهمة أيضا لما لها من ارتباط في توفير الغذاء للإنسان والحيوان..

(٢) انظر: تأريخ ابن خلدون (١/٤٨٠).

(٣) الموسوعة العربية موقع

vBulletin® v3.8.4, Copyright ©2000–2010, Jelsoft Enterprises Ltd.

مستوى النوع والكم، وبالتالي تعددت المهارات الزراعية وتخصصات حرفة الزراعة، فلم تعد الزراعة هي تلك المهنة التي تعني الحرث والحصاد فحسب، بل تعددت أساليب الزراعة والحصاد، كما تعددت المهن والأعمال الزراعية، مما يجعلها تستوعب عددا أكبر من المشتغلين والعاملين، مما يجعلها مهنة اقتصادية هامة. ومن الأنشطة والأعمال المصاحبة والتي لا بد منها في المجال الزراعي، ما يمكن أن نطلق عليه (المهن الزراعية) ومن ذلك:

- مهنة التشجير والتهجين الزراعي.
- مهنة تسويق المنتجات الزراعية.
- مهنة تصنيع المنتجات الزراعية.
- مهنة حفظ المحاصيل والمنتجات الزراعية.
- مهنة تصنيع مواد وآلات الزراعة.
- المهن المتعلقة بحصاد ونقل وتحميل المنتجات الزراعية.
- ومما يتبع المهن الزراعية من الأعمال:
- زراعة الأسماك. وإن كانت في باب الصناعة أدخل.
- حماية الغابات وإدارتها.
- إدارة الأرض والمياه، وتطوير المنتزهات^(١).
- قطف الفواكه وحصادها، وأعمال المزرعة العادية، وأعمال مزارع الأسماك، والحطابين، وعمال المنتزهات، وتقنيي وفنيي الجيولوجيا، وحراس المنتزهات، والمهندسين الزراعيين والأطباء البيطريين، ومراقبي الغابات والجيولوجيين، وغيرها من الوظائف والأعمال الملحقة بالمهن الزراعية^(٢).

(١) انظر: مقال: المسارات المهنية، أحمد سعد الدين 2005-01-13 لموقع منتديات العز الثقافية. (بتصرف)
www.al3ez.net/vb/showthread.php?1244-

(٢) انظر: المصدر السابق . (بتصرف)

المطلب الثاني: حرفة الرعي وتربية الحيوان وما يلحقها من المهن

(الرعي: وهو مصدر رعى الكلاً، والراعي يرعى الماشية، أي: يحوطها ويحفظها، ويجتهد في أن تأكل ما ينفعها . . .)^(١).

والرعي حرفة قديمة، خاصة بالأساليب البدائية، والتي كانت سائدة في العصور القديمة، وما زالت إلى اليوم في مناطق متعددة من العالم، وإن كانت في مناطق أخرى - خاصة في المدن- قد استعوض عنها بتربية الماشية والحيوان، وذلك للمردود الاقتصادي والحاجة المتزايدة التي لم تعد تكفيها تلك الطرق القديمة في رعاية الحيوان وتكثيره وتسويقه.

والرعي أو التربية الحيوانية مهنة تشمل في الأساس ما يسمى (الأنعام)^(٢) كما في قوله تعالى: ﴿ كَلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى ﴾ طه: ٥٤.

وهذه الأنعام المذكورة من أهم الأنواع الحيوانية الاقتصادية؛ وذلك أنها تدخل في غذاء الناس وكسائهم وتتقلاهم، وفيها منافع أخرى، كما قال تعالى: ﴿ وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةٌ وَفَرَشَاءٌ كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ الأنعام: ١٤٢ ، وقال: ﴿ وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنْفَعٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾ النحل: ٥. وقال: ﴿ وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ

(١) لسان العرب (١٤ / ٣٢٥، ٣٢٦).

(٢) والتي هي: الإبل والبقر والغنم، انظر: معاني القرآن وإعرابه، لإبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م (٣/٢١٥) والتفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج ، د وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر المعاصر، دمشق ، الطبعة الثانية، ١٤١٨ هـ (١٦/٢٢٢). وفي زاد المسير في تفسير قوله تعالى: (ومن الأنعام حمولة وفرشاً..) الأنعام: ١٤٢. ذكر من الأقوال في الأنعام المعدة للحمولة: أن الحمولة: الإبل، والخيول، والبغال، والحمير، وكل شيء يُحْمَلُ عليه. (١٤٢) زاد المسير في علم التفسير جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة: الأولى ١٤٢٢ هـ (٢ / ٨٥) . وكذلك هو في الجامع لأحكام القرآن (٧ / ١١٢) وفي غيره من التفاسير.

ظَعَنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَابِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثْنَا وَمِئَةً إِلَى حِينٍ ﴿٨٠﴾ النحل: ٨٠. إلى غير ذلك من الآيات التي تعدد منافع الأنعام في مجالات متعدد من مجالات الحياة.

وحرفة الرعي تشمل عموماً تربية الحيوان بأي شكل من أشكال التربية، وذلك يختلف باختلاف البيئات والمجتمعات والأزمان.

ومن هنا يتبين أن الرعي حرفة ليست هينة ولا ثانوية في المجتمعات منذ القدم - مع اختلاف وتفاوت - بل كانت في بعض المجتمعات هي الحرفة الأولى، كما كان عند العرب والبربر^(١) قديماً.

وقد جاء عن النبي - صلى الله عليه وسلم - بيان جانب من سلوك الأمم مع هذه الحرفة وأن أشرف الناس اشتغلوا بها، مما ينم عن شرفها وعمومها فيما رواه أبو هريرة^(٢)، أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: ((ما بعث الله نبياً إلا رعى الغنم قالوا: وأنت يا رسول الله؟ قال: وأنا، كنت أرهاها لأهل مكة بالقراريط))^(٣).

وجاء في حديث عروة البارقي^(٤) مرفوعاً: ((الإبل عز لأهلها، والغنم بركة، والخير معقود في نواصي الخيل إلى يوم القيامة))^(٥). فهذا بيان لما لهذه الحيوانات من

(١) البربر: اسم يشتمل قبائل كثيرة في جبال المغرب، أولها برقة ثم إلى آخر المغرب والبحر المحيط وفي الجنوب إلى بلاد السودان، وهم أمم وقبائل لا تحصى، ينسب كل موضع إلى القبيلة التي تنزله، ويقال لمجموع بلادهم بلاد البربر، وقد اختلف في أصل نسبهم.. معجم البلدان، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، دار صادر، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٩٩٥ م (١ / ٣٦٨) .

(٢) هو: عبد الرحمن بن صخر الدوسي، كان أكثر الصحابة حفظاً للحديث ورواية له، أسلم سنة ٧ هـ ولزم صحبة النبي، فروى عنه ٥٣٧٤ حديثاً، وكان أكثر مقامه في المدينة وتوفي فيها سنة: ٥٧ هـ. وقيل: سنة ٥٨ هـ، وقيل: سنة: ٥٩ هـ. انظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة، لأبي الحسن عز الدين ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض - عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى.

(٣) الحديث رواه البخاري في صحيحه، كتاب الإجارة: باب رَعَى الْغَنَمَ عَلَى قَرَارِيطَ. (٧٨٩/٢) رقم: ٢١٤٣

(٤) هو: عروة بن عياض بن أبي الجعد البارقي، وبارق من الأزدي، ويُقَال: إن بارقا جبل نزله بعض الأزدي فنسبوا إليه، استعمل عمر بن الخطاب عروة هَذَا عَلَى قِضَاءِ الْكُوفَةِ، وكان ممن سيره عثمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، إِلَى الشَّامِ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ. انظر: أسد الغابة، (٤ / ٢٥، ٢٨).

(٥) الحديث في سنن ابن ماجه كتاب التجارات باب اتَّخَذَ الْمَأْثِيَةَ (٧٧٣/٢) ، رقم ٢٣٠٥. قال المحقق في التعليق على الحديث: إسناده صحيح على شرط الشيخين. بل بعضه في الصحيحين بهذا الوجه. وإنما انفرد ابن ماجه بذكر الإبل والغنم. وصححه الألباني في التعليق على الكتاب.

أهمية اقتصادية واجتماعية، على مستوى الفرد والمجتمع، بل ربما تكون أهميتها استراتيجية عندما تصل إلى حد الكفاية والاعتزاز، وامتلاك القرار والمبادرة. والنصوص في هذا الباب كثيرة وإنما قصدنا هنا الإشارة وليس الاستقصاء.

وعلى هذا فرعي الماشية وتربيتها مصدر مهم من مصادر الرزق بمفهومه الواسع؛ فهو من أعظم أسباب وطرق الكسب المادي، حيث قد بارك الله في هذه الماشية وخاصة الغنم.

كما أن الرعي أيضا من أسباب وطرق كسب أرزاق أخرى: من الأخلاق والصفات، مثل: اليقظة، وحسن التدبير والسياسة، والأمانة، وغير ذلك؛ ولذلك رعى الغنم - خاصة - الأنبياء كلهم؛ لتكون مرحلة تعليمية، وتربوية، وتدريبية، لما سبيلها من مراحل أهم وأعظم، وكل ذلك من الرزق، وهذا بعض ما أشار إليه الحديث السابق.

كما أن الرعي من أسباب الرخاء في المجتمع بصورة مباشرة وبصورة المآل الذي يرجع على المجتمع والأمة بالخير والتقدم والمكانة.

وهذه المهنة يندرج في إطارها العديد من المهن والوظائف التابعة، مثل: تقنيات إنتاج الألبان، وتربية الدواجن، وصناعة الصوف - وإن كانت بالصناعة ألصق -، وصناعة وحصاد الأعلاف، والبيطرة، والإدارة، وغير ذلك.

المطلب الثالث: حرفة الصناعة وما يلحقها من المهن

الصناعة ملكة نفسانية تصدر عنها الأفعال الاختيارية من غير روية.

وهذا معناه تمكُّن هذه الملكة في النفس حتى تصير الأعمال تصدر عنها بصورة تلقائية بحيث لا تحتاج إلى إعمال فكر^(١) في مراحل التمكن منها.

والصناعة فيها جوانب فكرية وجوانب عملية، فالعملي منها ما كان محتاجا إلى عمل جسمي محسوس، والفكري ما كان مختصا بالأفكار^(٢).

والصناعة تشمل كل المهن التي تُعنى بصناعة المنتجات سواء بوساطة اليد أو الآلة. وتتفاوت الصناعات بين المنتجات العملاقة والمنتجات الصغيرة، فكلها مصنوعات يحتاجها الإنسان في تيسير حياته ومعاشه، كما أنها من أهم ما تقوم عليه حضارة الأمم، بل إن للصناعة علاقة مع كل المهن، من حيث إيجاد الآلات والمعدات وتصنيعها وإنشائها، ولذلك فيمكن أن نقول إنها من أهم أمهات المهن .

وليس كل العاملين في مجال الصناعة، يباشرون الصناعة بالفعل، ولذلك فإن الأعمال الصناعية تتوزع على مهام كثيرة أصلية وتابعة. وتبعاً لذلك يتفاوت العمال بين مباشرين للصناعة ومكملين لها، وهذا يأتي تبعاً لتفاوتهم في المهارات التصنيعية، ومقتضيات التدريب.

ولما كانت الصناعة تكاد تدخل في كل أمور الحياة كانت تبعاً لذلك لها أهمية قصوى، في الرخاء وتيسير سبل العيش للأمم، بل إنها أساس من أهم أسس النهضة في أي مجتمع. ومن هنا كانت صناعة المعادن من أهم أسباب ووسائل تحصيل

(١) انظر: التعريفات ص ١٧٦. ودستور العلماء، دستور العلماء = جامع العلوم في اصطلاحات الفنون، القاضي عبد النبي بن عبد الرسول الأحمدي نكري، عرب عباراته الفارسية: حسن هاني فحص، دار الكتب العلمية، لبنان / بيروت. الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م (٢ / ١٨١) .

(٢) تأريخ ابن خلدون (ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر) المؤلف: عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون أبو زيد، تحقيق: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت الطبعة: الثانية، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م (١ / ٥٠٢) .

الأرزاق، سواء كان في القديم أو في الحديث، بل إنها من أهم أسباب السيطرة، كما هو ملاحظ، ومع تطور الآلات الصناعية تطورت الصناعات المعدنية في العصر الحاضر تبعا لذلك ولتطور الاحتياجات أيضا، من حيث الدقة والكميات المطلوبة. وتكاد تكون الصناعات المعدنية هي المقوم الأساسي للاقتصاد العالمي اليوم، على كل المستويات.

وتبعا لتنوع الصناعات تنتوع المهن الصناعية وتتزايد ليدخل تحتها: صناعات ومجالات تتفرع إلى أنواع تفوق الحصر، فمن ذلك: الصناعات النفطية، على اختلاف مجالاتها، وصناعة الحديد والصلب، بمختلف أهدافها ودرجاتها، والصناعات الحربية، من أدناها إلى أعلاها. وصناعة وسائل النقل، الجوية والبرية والبحرية، وصناعة الاتصالات، السلكية وغير السلكية، والصناعات الكهربائية، وصناعة المواد الغذائية، وصناعة الأثاث بأنواعه، وصناعة المعدات الثقيلة والخفيفة على اختلاف أغراضها، وصناعة الورق على اختلاف درجاتها ومقاساتها. إلى غير ذلك مما لا حصر له من الصناعات^(١).

ولا شك أن هذا تقدم نوعي في حياة البشر في جوانب الأغراض السلمية.

والمجال الصناعي يخلق عددا من الفرص للعمل والكسب، كما أنه عامل مهم في الرخاء على مستوى الأفراد والدول، لما له من عائد مادي كبير يتزايد كل يوم.

وقد توجد بعض المحاذير في العمل الصناعي - على مستوى العمال أو على مستوى المستهلكين، أو على مستوى المجتمعات بصورة عامة- ويعرف مدى قوة هذه المحاذير من ضعفها من خلال طرق التصنيع، والاهتمام بالعمال - من حيث الدخل ومن حيث ظروف العمل- كما يعرف أيضا من خلال مراعاة الجودة من عدمها، وكذلك من حيث الأغراض الصناعية السلمية أو الحربية، إلى غير ذلك.

(١) مجلة البحوث الإسلامية - مقال بعنوان العمل وأحكامه / للدكتور: سليمان بن إبراهيم بن ثنيان (٦٢) /

وتتفاوت احتمالات التوظيف في مجال الصناعة وفقاً لنوع المهنة والصناعة، ولكن من المتوقع أن تكون الزيادة الكلية في الوظائف الصناعية بطيئة، ويعزى ذلك جزئياً إلى الاستخدام المتزايد للحواسيب وأشكال المكننة الأخرى في مجال الصناعة.

المطلب الرابع: حرفة التجارة وما يلحقها من المهن

التجارة عملية شراء وبيع السلع والخدمات.

وقد نشأت التجارة مع حاجة الإنسان للسلع والخدمات، وهي في الأساس صورة لتبادل المنافع بين البشر، ولذلك فهي من المهن القديمة التي تطورت وتتنوع بتطور البشرية، ويتطور السلع وتنوعها.

والتجارة التخطيط لكسب المال وتنميته بجلب السلع وبيعها للمحتاجين لها مع مراعاة نسبة الربح التي تحصل بعد خصم تكاليف تلك العملية ومتطلباتها^(١). كما أنها تحصيل للمال أيضا من خلال تقديم خدمات متنوعة بحسب البيئة والمجتمع.

وهذه العملية قائمة منذ القدم، فقد اشتهرت أمم وقبائل ودول بالتجارة بأنواعها^(٢). والتجارة تعني بتوفير السلع إلى الأسواق، ولا شك أن الطلب عامل مهم في جلب أنواع من السلع وتوفيرها، كما ان العرض والتنافس عامل مهم في رخص السلع.

والتجارة تدخل في كل أنواع المنتجات تقريبا، إذ أن العامل في ذلك هو الربح، فالتاجر ينظر إلى السلع والخدمات فما كان فيه ربح جليبه وقام به. وهذا لا ينفي التخصص الذي نراه عند التجار، حتى أنك ترى التجار عبارة عن مجموعات تتوزع بحسب السلع، فتجد تجار الأقمشة، وتجار المعادن الثمينة، وتجار مواد البناء، وهكذا...

وتتنوع المهن التجارية بحسب أنواع السلع، فيسمى كل تاجر بحسب نوع السلع التي يتعامل فيها، كما تتنوع أيضا بحسب الكميات إلى تجار جملة وتجار تجزئة، وتوفر مهنة التجارة عددا من المهن والوظائف إلى جانب المهنة الرئيسية، ومن ذلك: - المهن المتوفرة في مجال التسويق والتوزيع^(١)، وهناك أنواع عديدة من العاملين الذين يشتغلون في مجال التسويق والتوزيع، فمن ذلك:

(١) انظر: تأريخ ابن خلدون (١ / ٤٩٤)

(٢) انظر: مثلا: معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، لعمر بن رضا بن محمد راغب بن عبد الغني كحالة، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: السابعة، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م (٣ / ٩٣٨). وغيره من المراجع..

- إدارة التسويق وتخطيطه، وتنظيم الأنشطة التسويقية.
 - البحث وجمع المعلومات وتحليلها.
 - الوكلاء والموزعون.
 - ويتبع ذلك العمل في مجال التدريب، على عملية تسويق المنتج أو الخدمة.
 - وكذلك العمل في مجال الإعلان عن السلع وعرضها وإظهار محاسنها، وخدمة العملاء.
 - العمل في المستودعات.
 - العمل في قيادة الشاحنات.
 - العمل في المتاجر الصغيرة^(٢).
- كما تشمل التجارة العديد من المهن والأعمال - أيضا- منها: عمل أمناء الصناديق والكتاب والمشرفين ومستشاري التجارة الخارجية، ومحلي أبحاث السوق، وكُتّاب التقارير الإحصائية، وغيرها، مما يجعل للتجارة أهمية كبيرة في ازدهار الاقتصاد ونموه، على مستوى الدول والأفراد. ومهنة محورية ورئيسة في كل مجتمع.

(١) انظر: كتاب التبصرة بالتجارة في وصف ما يستظرف في البلدان من الأمتعة الرفيعة والأعلاق النفيسة والجواهر الثمينة، عمرو بن بحر بن محبوب الكناني، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ، تحقيق: حسن حسني عبد الوهاب التونسي.

مكتبة الخانجي ، القاهرة ، مصر، الطبعة: الثالثة، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م ، ص ١٦ - ٣٥)، وموضوع: بحث عن التجارة الجمعة ١٩ فبراير، ٢٠١٠م موقع ملتقى جامعة الأزهر

alazhar.ahlamuntada.com/t9209-page٤

(٢) انظر: الزراعة والتجارة " الكتاب المرجع في تاريخ الأمة العربية" ، تأليف : عبدالله العسكر، (المنظمة العربي للتربية والثقافة والعلوم، ط ٢ ، تونس، ٢٠٠٥م) ص ٥٦١ ، والمسارات المهنية 2005-01-13، مقال أحمد سعد الدين ، لموقع منتديات العز الثقافية.

www.al3ez.net/vb/showthread.php?1244-

المطلب الخامس: حرفة البناء والإعمار وما يلحقها من المهن

تُعنى المهن المتوفرة في مجال أعمال البناء، بتشديد وتحديث وإصلاح المنازل والمصانع والجسور والخزانات والطرق وغير ذلك من أعمال التشييد في البنى الأساسية.

وهذه المهنة تطورت مع تطور الإنسان في جميع المجالات، فمنذ بدء الخليقة احتاج الناس إلى سكن يؤويهم وإلى طرق لممشاهم وإلى خزانات للماء، وهكذا.. ولكن هذه الحاجة اتسعت بحسب توسع الناس وتوسع تجمعاتهم، وكذلك تطورت آلات البناء والتشييد بحسب الزمان والمكان^(١).

وقد تنوعت اهتمامات الناس في البناء والتشييد بحسب الأولويات التي يحتاجونها، وكذلك بحسب الأولويات التي تتوفر لديهم، ولذلك تجد كثيرا من الأمم يعنون بتشديد الأساسيات من متطلبات الحياة الكريمة، في حين أن بعض الأمم تهتم بالكماليات والتحسينات.

ولا شك أن المظاهر العمرانية تبرز قوة الأمم وقوة اقتصادها، ولكن ذلك يتطلب ترتيب الأولويات، وتوفير الإمكانيات اللازمة: من المواد الأولية، والتدريب والتأهيل، والتخطيط السليم.. ومهنة البناء والإعمار تستدعي وتوفر عددا من الأعمال والحرف، منها:

- العمل في مجال التصميم، والهندسة المعمارية والتخطيط الحضري، وهندسة الطرق والمنشآت.

- العمل في مجال المقاولات.

- العمل في مجال توزيع المواد.

(١) انظر: تأريخ ابن خلدون (١ / ٥٠٩)

- العمل في مجال إدارة شركات الإنشاءات^(١).

- العمل في المجالات المختلفة المباشرة، وهي متنوعة وكثيرة: ومنها: النجارة، والحدادة، والتركيبات المختلفة، كالسباكة والكهرباء والتكييف، وأعمال البناء المباشرة: كالرصيف والبلاط والطلاء، والتشطيب والحفر والدفن^(٢) إلى غير ذلك من مهن البناء ووظائفه.

ولا شك أن مهن البناء والتشييد توفر العديد من الفرص والوظائف التي تسهم في ازدهار الاقتصاد وتطوره بصورة مباشرة أو غير مباشرة، مما يجعلها مهنة رئيسة وأساسية في تنمية المجتمع والأمة.

وتعتمد فرص التوظيف في مجال أعمال البناء بصورة كبيرة على الظروف الاقتصادية، فعندما تكون هنالك وفرة في النقود، يميل الناس إلى بناء منازل ومصانع جديدة، وعندما تكون هناك ندرة في النقود، يحاول الناس الاقتصاد عن طريق إصلاح أو إعادة تشكيل المباني القديمة. ويتوقع أن تتاح لبعض المختصين في مجال أعمال البناء فرص وظيفية أكثر من الفرص المتاحة للعمال الآخرين في هذا المجال. ونعني بالمختصين: كلا من المهندسين المعماريين، والمهندسين المدنيين، وخبراء تصميم الأعمال الإنشائية، وغيرهم من المختصين في مجال هندسة البناء والتصميم^(٣).

(١) مقال: المسارات المهنية، أحمد سعد، 2005-01-13 لموقع منتديات العز الثقافية.
www.al3ez.net/vb/showthread.php?1244-

(٢) انظر مقدمة ابن خلدون (١/٣٥-٤٤) (بتصرف).

(٣) مقال: المسارات المهنية، أحمد سعد، 2005-01-13 لموقع منتديات العز الثقافية.
www.al3ez.net/vb/showthread.php?1244- ، و انظر مقدمة ابن خلدون (١/٣٥) وما بعدها.

المطلب السادس: المهن الالكترونية والتكنولوجية

أصبحت اليوم تكنولوجيا المعلومات جزءاً لا يتجزأ من معظم الأعمال حيث أن مهنة الكمبيوتر توسعت لتشمل عدداً كبيراً من المهن والتي تختص بالشبكات، وتطوير البرمجيات، ونظم أمان الكمبيوتر، والتصميم والاستشارات والإنتاج والتسويق.. وتدخل في إطار المهن التكنولوجية، الأنشطة التكنولوجية التالية:

- متابعة الأنظمة والشبكات:

وتشمل هذه الفئة جميع الناس الذين عملهم هو التحقق من أن نظم المعلومات والشبكات تعمل بشكل صحيح، لمساعدة المستخدمين على استعمال التكنولوجيا الجديدة، وإصلاح أي مشاكل قد تواجههم.

- التصميم والتطوير:

وهنا تدخل المهن التي تنطوي على تقييم الحاجة ووضع الحلول، وتنفيذها بواسطة الكمبيوتر، وهذه المهن تجمع بين القدرة على التحليل مع الحاجة للقدرات الإبداعية والتقنية.

- الاستشارات:

وتدخل هنا المهن الاستشارية، وهي تتطلب درجة معينة من الخبرة، لدراسة الاحتياجات القائمة وإيجاد الحلول اللازمة للمساعدة في تنفيذ هياكل جديدة، ومجالات تطبيقها الرئيسية تتمثل في نظم المعلومات وأمان الكمبيوتر.

- التعليم والتدريب:

والهدف منها مساعدة مجموعة من الأفراد للحصول على المعرفة العملية والنظرية في مجال معين، مع التركيز على تحسين ممارساتهم المهنية.

- التسويق:

مهن التسويق، التي تشمل عدداً كبيراً من الأعمال، وتهدف إلى زيادة المبيعات من المنتجات والخدمات، وهي عملية تتم بواسطة الشبكات الإعلامية والمواقع الالكترونية، وغيرها وكلها تعتمد على الكمبيوتر والحوسبة.

- الإدارة :

وتستند المهن الإدارية في هذا المجال على تحديد استراتيجية عمل وإدارة الموارد المؤسسية لتلبية الأهداف التي تم وضعها. وهذه المهن تتطلب مهارات في إدارة المشاريع وإدارة الموارد البشرية، والإدارة المالية.

وظائف تكنولوجيا المعلومات يمكن اعتبارها أداة لتحسين الأداء في كل المجالات. ولهذا السبب، توجد في جميع القطاعات تقريبا، ولكنها من حيث العموم تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

. الصناعية والعلمية والتكنولوجية.

. إدارة تكنولوجيا المعلومات.

. الاتصالات السلكية واللاسلكية والربط الشبكي.

ومن أهم الوظائف والمهن في المجال الإلكتروني: وظائف المجالات الفنية والتصميم، ووظائف المجالات الهندسية، ووظائف البرمجيات والشبكات ووظائف الاتصالات⁽¹⁾..

(1) رجعت في هذا المطلب إلى مواقع ومراجع متعددة .

المطلب السابع: المهن الطبية

الطِّبُّ علم وفن يُعنى بدراسة الأمراض ومعالجتها والوقاية منها؛ فهو علم لأنه مبني على المعرفة المكتسبة من خلال الدراسة والتجريب الدقيق، وفن لأنه يعتمد على كيفية تطبيق الأطباء البارعين والعاملين الآخرين في مجال الطب هذه المعرفة حينما يتعاملون مع المرضى. وتشمل أهداف الطب إنقاذ الأرواح وعلاج المرضى؛ ولهذا السبب، اعتُبر الطب منذ أمد بعيد من أكثر المهن احترامًا، فالناس يحترمون الطب لما يمارسه الطبيب من أعمال مهمة، كما أنه لا يمكن لأي إنسان لا يحسنه أن يتناول العمل فيه^(١).

وتتفرع المهن الطبية بصورة عامة إلى فروع كثيرة وما زالت تتوسع بحسب التخصصات التي يدرسها العاملون في المجال الطبي والصحي.

ومهن الطب عموماً هي ثلاثة أنواع رئيسية: مهن إدارية، ومهن عملية تطبيقية، ومهن تابعة.

فالمهن الإدارية هي التي تدير عملية الطب والصحة، وتبدأ من وزارة الصحة والمراكز والهيئات والمستشفيات والعيادات الطبية، وكل ذلك في الجانب الإداري، وهذه المهن تشبه المهن الإدارية في أي مرفق أو أي مؤسسة، وتبدأ من السكرتارية والمسجلين والمسؤولين الماليين، وتمتد إلى مدراء العموم ونواب الوزير ووكلائه والوزير.

والمهن الطبية التي تختص بالتطبيب هي الأهم في هذا الجانب؛ حيث تقوم عليها العملية الصحية كلها، فالأطباء ومساعدوهم هم حجر الأساس في قضية الطب كلها.

(١) انظر: نهاية الرتبة الطريفة في طلب الحسبة الشريفة، عبد الرحمن بن نصر بن عبد الله، جلال الدين العدوي الشيزري، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ص ٩٨. وغيره من الكتب.

وتتفرع مهن التطبيب إلى: الأطباء بتخصصاتهم المختلفة ودرجاتهم المتفاوتة، وهي كثيرة ولا يمكن حصرها فهي واسعة بحسب التخصصات كلها، بل إن فيها تخصصات دقيقة جدا.

ويأتي بعد الأطباء: مساعدا الأطباء والمرضون والمخبريون والصيدلة..، وكل من له علاقة بالإسناد الطبي التشخيصي والعلاجي في جميع التخصصات الطبية.

وبعد ذلك تأتي المهن التابعة، وهي مهن هامة تدخل تحت مهن الإسناد الطبي التي لا تتدخل بالتشخيص والعلاج، كالمراقبين والمشرفين...

المطلب الثامن: المهن والوظائف الإدارية

كلمة الإدارة لم ترد في القرآن الكريم، ولا في السنة النبوية، وقد جاءت في القرآن كلمة «تديرونها» في سورة البقرة في الآية الكريمة: ﴿إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاصِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ﴾ البقرة: ٢٨٢

والإدارة تعني: القيام بجميع العمليات التي تستهدف السياسة العامة^(١)، وتقوم على التخطيط والتنظيم والتوجيه والرقابة^(٢).

ومنذ بدء الخليقة لا بد أن الناس احتاجوا للإدارة لتسيير شؤونهم الحياتية؛ لأن كل اجتماع لا بد له من احتياجات تحتاج إلى تدبير وتسيير، وإن كان ذلك بصور بدائية، ولكن حاجات البشر وتطورهم طورت معهم أساليب الإدارة. وقد عاش العرب في الجزيرة العربية وفق نمطين من العيش، هما: الحضر والبدواة. فأما أهل الحضر، فكانوا يعيشون على التجارة والزراعة وتربية الماشية، وأما أهل البدواة فكانوا يعيشون على الإبل ولحومها. وكانت القبيلة هي أساس النظام الاجتماعي عندهم، ولم يكن لهم منهجا إداريا واضحا يسيرون وفقه، وإن كانت لهم أعراف وتقاليد تمثل لهم مرجعا مهما في سياساتهم وإدارتهم^(٣).

ولما جاء النبي صلى الله عليه وسلم عامل تلك القبائل معاملة تعطيها الاستقلال الذاتي في إدارة شؤونها، وطالبهم بالمحافظة على الأركان الأساسية في الإسلام، وترك لهم إدارة شؤونهم المحلية حسب ما لديهم من تقاليد وأعراف، فيما عدا ذلك^(٤). ومع مرور الزمن وبسط الإسلام نفوذه على أرجاء البلاد الإسلامية تطورت الإدارة وتوسعت وظائفها، وخاصة بعد توسع الفتح الإسلامي حيث توسعت مهام ووظائف

(١) انظر: الإدارة في عصر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم حمد عجاج كرمي، دار السلام - القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٧ هـ ص: ٢٧، ٢٨.

(٢) الإدارة الإسلامية: المنهج والممارسة. حزام بن ماطر المطيري، توزيع دار الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الرياض، مطابع الفرزدق، ط ١، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م. ص ٢٢.

(٣) انظر: الإدارة في عصر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ص ٢٩.

(٤) انظر: المرجع السابق ص ١٠٣.

الإدارة في الدولة وتفرعت في جوانب كثيرة بحسب ما يخدم التطور الحاصل، ولذلك فقد استعمل النبي صلى الله عليه وسلم العمال والموظفين، وقسم البلاد والمناطق وجعل عليها الولاية الذين كانوا يديرونها ويتولون امرها^(١).

والإدارة مسألة متجددة في الشكل والمضمون، فالشكل من حيث التقسيمات الوظيفية العملية، والمضمون من حيث الأساليب والوسائل والأنظمة واللوائح المرتبطة بها.

وينبغي أن يرافق الإدارة: التشريعات القانونية التي تعتبر الإطار المنظم لها، حتى لا تكون الإدارة سبيلا للاستبداد والطغيان، كما أن خضوع الإدارة للقانون يؤدي إلى حماية حقوق الأفراد وحررياتهم^(٢).

والوظائف الإدارية كثيرة جدا وتتوسع وتتعدد بحسب نوع المؤسسة التي تكون فيها، ولكننا هنا سنذكر بعض الوظائف والمهن الإدارية، وهي وظائف تبتدئ بالسكرتارية وتنتهي برئيس الدولة أو المؤسسة، وتشمل جميع العاملين في المفاصل الإدارية، مثل: مدراء الإدارات ورؤساء الأقسام ومدراء العموم والمكاتب ومسؤولي المناطق والقطاعات والفروع والوزراء ونواب جميع المذكورين... والجهاز الإداري هو أهم جهاز يقوم عليه العمل والنشاط في أي مكان. ونحن هنا لم نفضل بذكر كل الوظائف الإدارية لوضوحها التام وكثرة تفريعاتها.

(١) انظر: التراتيب الإدارية (٢ / ١٧٤).

(٢) انظر: الإسلام والدستور ص ٥٩.

المطلب التاسع: المهن التعليمية

وهي من أهم المهن لأن التعليم أساس كل تقدم، ولذلك فقد أمر الله أول ما أمر الخلق بالقراءة، فقال: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١﴾ العلق: ١ وجعل آدم خليفة مفضلاً بسبب العلم والتعلم، ونحن هنا لن نتكلم عن فضل التعليم ومكانته فذلك مما لا يختلف عليه اثنان، ولكن نريد أن نذكر أن المهن التعليمية هي أساس النهوض، وهي تدخل في كل أمر من أمور الحياة، والأمم المتقدمة تهتم بالتعليم والعلم لأنه هو الذي يقود الأمة نحو المجد، والشواهد الحضارية اليوم تشهد لذلك، ومن المهن التعليمية:

مهن التعليم الأولي، والمتوسط والثانوي، ومهن التعليم العالي، ومهن تعليم المهن والتدريب.. وكل أمر يحتاج إلى تعلم فإنه يحتاج إلى معلم ومدرس يقوم بذلك، وهذا باختصار شديد.

المطلب العاشر: العلاقة بين الحرف والمهن والصناعات

الحرفة والمهنة بمعنى واحد من حيث أن كلا منهما يدل على الدوام والاستمرار والإتقان للعمل^(١).

ويفترق الاحتراف عن " الصناعة " من حيث إنها يسبق العلم بها^(٢) بخلاف الحرفة فإن كثيرا منها يحتاج فقط مباشرة العمل ثم الاستمرار فيه، كما أنه لا يشترط في الصناعة أن يجعلها الشخص دأبه وديدنه، ويخص بعض الفقهاء كلمة " صناعة " بالحرف التي تستعمل فيها الآلة^(٣).

والحرفة أعم من الصناعة، إذ الصناعة تكون في العمل باليد في حين أن الحرفة قد تكون باليد وقد تكون بالعقل والتفكير، ولا يخرج استعمال الفقهاء للفظ الحرفة عن المعنى اللغوي فهم يعتبرون كل ما كان طريقا للاكتساب حرفة ومن ذلك الوظائف الإدارية والعادية^(٤).

ومن المعلوم أن الصناعة لها تعلق بجميع الحرف والمهن من حيث إنها ترتكز أساسا على الصناعة؛ ذلك أن آلات وأدوات جميع الحرف والمهن لا بد أن تصنع أولا، كما أنها بحاجة إلى تطوير دائم وذلك جزء من التصنيع.

وبعض المهن والحرف قد تتداخل مع مهن وحرف أخرى، فقد تكون في مبدئها أدخل في مسمى مهنة ثم في منتهائها تكون أدخل في مسمى مهنة أخرى، وذلك كمهنة الصيد مثلا، حيث تسمى ابتداء مهنة أو حرفة الصيد، وقد تكون من باب زراعة الأسماك، ثم تدخل بعد ذلك في باب الصناعة، عند التعليب والتصنيع.

(١) انظر: الموسوعة الفقهية الكويتية، صادر عن: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية - الكويت، طبعة: ١٤٢٧ هـ، باب: الصناعة (٢ / ٦٩).

(٢) الفروق في اللغة ص ١٣٥

(٣) الموسوعة الفقهية الكويتية (٢ / ٦٩ - ٧٠)

(٤) المرجع السابق (١٧ / ١٧٥) باب: كسب. وانظر: حاشية قليوبي وعميرة، أحمد سلامة القليوبي وأحمد الدارسي عميرة، دار الفكر، بيروت طبعة: ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م، كتاب: السير، (٤ / ٢١٦).

ومن هنا نجد ارتباطا وثيقا بين المهن والحرف والصناعات، فهي تتكامل وتتداخل في كثير من الأحيان، ولذلك فنحن في بحثنا هذا قد نذكر اسم أي منها في عموم الكلام، ذلك لأننا نراها كلها بمعنى. مع مراعاة الاختلافات الجزئية أحيانا.

المبحث الثالث: أهمية الحرف والصناعات وخصائصها

وفيه أربعة مطالب

المطلب الأول: الحافز الديني على الحرف والمهن

المطلب الثاني: الحاجة البشرية للمهن وتوجيه الإسلام لها

المطلب الثالث: التسابق الحضاري

المطلب الرابع: الازدهار الاقتصادي والعمراني

المطلب الخامس: خصائص الحرف والصناعات

المطلب الأول: الحافز الديني على الحرف والمهن

الحَفْرُ هو الحث والدفع نحو الأمام بوسائل مختلفة^(١). والمراد هنا الحث على العمل المهني والاحتراف والإنتاج مقابل شيء.

وقد جاءت النصوص في هذا الباب تحث على العمل المهني والإنتاج بصورة واضحة، بل إنها قد تجمع بين أكثر من حافز، لكنها كلها تنطلق من الحافز الأكبر وهو حافز إشباع الغرائز الفطرية المخلوقة في الإنسان بدرجة من الشدة والقوة كافية لتشغيل كافة القدرات والطاقات لتحصيل الحاجات المطلوبة لذلك ولعل هذا عام في جميع الخلق مؤمنهم وكافرهم.

ومع ذلك فقد خص المؤمن المتدين المفطور على حب الانتفاع كغيره بالفطرة بمزيد من التحفيز الأخروي ليقطع الأعدار التي قد تغلف بمعاني الزهد والورع وحب التفرغ للعبادة، ولأن الشارع الحكيم أعلم بعقل التدين فلا نكاد نجد نصا يحث على عمل من الأعمال المهنية إلا ويرفق ذلك ببيان الأجر المترتب على ذلك والمصلحة الذاتية أو الجماعية، سواء في الدنيا أو في الآخرة.

ولا شك أن مراعاة هذه الأمور كان لها الأثر الأكبر في إخراج العرب من ثقافتهم التي كانت تهتمش الاحتراف والتصنيع والمهن عموماً، حيث نجد أنه بعد مجيء الإسلام برزت مواهب عربية كثيرة في مجالات متعددة من المهن والصنائع التي تطورت وتوسعت.

وبالنظر إلى نوعية الحافز الذي ركزت عليه النصوص الشرعية نجد أن النصوص الشرعية استخدمت الحافز على ثلاثة وجوه:

(١) انظر: كتاب العين لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي البصري تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال (١٦٤/٣) مادة: حفز.

الوجه الأول: استعمال الحافز ببيان الجزاء الأخروي والمآلي للعبد الذي يفعل شيئاً مما ينتفع به الناس ويسهل حياتهم، وهذا يلوح بوضوح في الأحكام والتشريعات والنصوص الواردة بهذا الشأن؛ فإن الأجر الأخروي والمثوبة من الله حافز ذاتي يحفز كل مؤمن، فيحاول أن يقدم جهده المهني في الإطار التعبدي التعميري.

وفي هذا إرساء لمبدأ الإخلاص والنية الحسنة التي تراعي البعد التعبدي قبل المصلحة الذاتية والنفع الآني، ذلك أن جوهر الإسلام تقديم الخير للبشرية كلها. وفي هذا الإطار نجد نصوصاً كثيرة تبرز هذا الجانب بشكل واضح، ومن ذلك ما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم حيث يقول: ((إن قامت الساعة وبيد أحدكم فسيلة فاستطاع ألا تقوم حتى يغرستها فليغرستها))^(١)، وكذلك حيث يقول: ((ما من مسلم يزرع غرساً أو يزرع زرعاً فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلا كان له به صدقة))^(٢). فالدافع هنا لفعل مثل هذه الأعمال من المؤمن إنما هو ابتغاء الأجر والمثوبة من الله تعالى في الحياة الآخرة.

الوجه الثاني: استعمال الحافز ببيان النفع الدنيوي القريب، فيبين ما قد يحصل عليه الإنسان من نفع شخصي أو جماعي يتطلع إليه من جراء عمله ذلك، مراعاة للفتنة وطلباً للتنافس الذي يوجد الدافع الذاتي للإنتاج وتحسينه، ويجعل الحياة تتقدم وتزدهر. ومن النصوص الدالة لذلك: ما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم: ((من أحيا أرضاً ميتة فهي له))^(٣). فهذا تشريع يدفع الناس إلى التنافس في إحياء موات

(١) الحديث رواه الإمام أحمد في مسنده (٢٠ / ٢٩٦) رقم: ١٢٩٨١، وقال محققه: إسناده صحيح على شرط مسلم، وصححه محمد ناصر الألباني، في سلسلة الأحاديث الصحيحة، بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤٠٥هـ. (٢ / ١١، ١٢). من حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) الحديث رواه البخاري في صحيحه، كتاب: المزارعة، باب: فضل الزرع والغرس (١٠٣/٣) رقم: ٢٣٢٠، من حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) الحديث رواه الترمذي في سننه، باب: ما ذكر في إحياء الأرض الموات، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر ومحمد فؤاد عبد الباقي وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر، الطبعة: الثانية، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م (٢ / ٦٥٤) رقم: ١٣٨٧، من حديث سَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ.

الأرض وتثميرها، وهو بذلك يجعل الأرض جائزة على المساهمة في الإحياء والإعمار، وهو حافظ مادي^(١). وهو من التحفيز بإرضاء دافع الإنجاز وتلبيته بالحث على الحركة والسعي والعمل، حيث يتولد عن ذلك نوع من الرضي النفسي الذي مبعثه الشعور بالنجاح والإحساس الفعلي بالإنجاز، وهذا بدوره يدفع إلى إنجاز آخر وهكذا..

الوجه الثالث: التحفيز العام، وذلك ببيان المنافع التي تحصل للإنسان في الدنيا والمنافع التي تحصل له في الآخرة، وكذلك المنافع التي تحصل لمن حوله ولمن يهمله أمرهم، وهذا مما يشير إليه قوله تعالى: ﴿ وَقُلِ أَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلِّيِّ الْعَالِينَ وَالشَّهَادَةُ فَبِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ التوبة: ١٠٥ وقوله: ﴿ وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ مِمَّا عَمِلُوا وَمَا رُبُّكَ بَغْفِلٍ عَمَّا يُعْمَلُونَ ﴾ الأنعام: ١٣٢ ، وقوله: ﴿ وَأَنَّ لَيْسَ لِلإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَىٰ ﴾ النجم: ٣٩ - ٤١.

ومن خلال التعهد المستمر بهذه الحوافز والدوافع النفعية يمكن الانتقال إلى التحفيز بالمبادئ المهنية الإسلامية التي تتركز في النفوس فتتحول إلى اتجاهات نفسية ثابتة تدفع المرء نحو السلوك الإنتاجي أو المهني، ثم الانتقال إلى التحفيز بالقيم والمفاهيم التي تضفي على العمل قيمة سامية تجذب النفوس إلى الانخراط فيه، وممارسته عن رضا وقناعة... إلى غير ذلك من الحوافز المتنوعة^(٢).

ويعد موقف الدين الإسلامي من الصناعات والحرف موقفاً واضحاً لا لبس فيه فالعمل كان ولا يزال هو ميزان تقدم الأمة، والمهارة في إتقانه هي مقياس الحضارة،

(١) انظر: مقال: الأسس الإسلامية للتربية المهنية، لعبد العزيز بن عبد الرحمن المحيميد، مجلة جامعة الملك سعود، العلوم التربوية والإسلامية، ص ٥٣٤. تاريخ النشر ١٤٢٢/٨/٢١هـ)

(٢) انظر: المرجع السابق ص ٥٣٥.

والوفاء بالعمل هو الهدف الذي يسعى إليه الإصلاح الاجتماعي. قال الرسول صلى الله عليه وسلم: ((إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه))^(١).

وحضّ الدين الإسلامي على العمل وأكد حرمة، وجعل الإنتاج عبادة وتقرباً إلى الله، وبين الله أن عطاء العامل يكون على قدر ما يستحق، قال تعالى: ﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَمَلٍ مِّنْكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُمْ مِّنْ بَعْضٍ ۗ ﴾ آل عمران: ١٩٥. وقال: ﴿ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءٌ الْحَسَنَىٰ وَسَنُقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرٍ يُسْرًا ﴾ الكهف: ٨٨. وقد ورد عن السلف كثير من النصوص في الحث على العمل والكسب، سيأتي ذكرها.

هذا التوجه العام للإسلام، ساعد على ارتقاء الحركة الحرفية والصناعية وتطورها وساعد على دخول العرب في الصناعات والمهن وتسلمهم لأزمة الأمور فيها. وبعد أن كان العربي يأنف من العمل في الحرف وينظر إلى العاملين بها نظرة ازدراء، جاء الإسلام ليغير هذا المفهوم وعمل الرسول-صلى الله عليه وسلم- لقلب هذه المفاهيم وتصحيحها.

غير الإسلام نظرة الجاهليين الخاطئة للعمل الشريف فشجع كثيراً على العمل ووعد بالأجر العظيم عليه، وبعد أن كانت المهنة من الامتهان والاحتقار صارت تعني مزاوله المرء عملاً يكتسب منه.

وقد اتضح هذا من التطور الذي طرأ على معنى كلمة "مهنة"، من الناحية الاستعمالية لها، وهذا لا يعني أنه لم يكن معناها كذلك من قبل، ولكن كأن معنى الامتهان والاحتقار الذي كان سائداً توارى وغاب، وبقي المعنى الآخر في الصورة

(١) الحديث ورد في مصادر عديدة، وقال في مجمع الزوائد: رَوَاهُ أَبُو يَعْلَى، وَفِيهِ مُصْعَبُ بْنُ ثَابِتٍ وَتَقَىٰ ابْنُ جَبَّانَ، وَضَعَّفَهُ جَمَاعَةٌ. انظر: مجمع الزوائد (٩٨ / ٤) رقم: ٦٤٦٠، من حديث عائشة.

هو الظاهر فصار الناس يطلقون على صاحب الحرفة " مهني " من غير نظر إلى المعنى السلبي فيها^(١).

ولكن ما لبثت هذه النظرة الجاهلية أن عادت إلى مجتمعاتنا الإسلامية والعربية في أوقات متفاوتة، وذلك نتيجة التخلف الذي أصاب الأمة الإسلامية والتأخر عن ركب الحضارة في عصور التخلف والانحطاط والركود.

وهذه النظرة كانت من أهم المعوقات المؤدية إلى قلة إقبال الطلبة على الالتحاق بالتعليم المهني والاحتراف فيه، بالإضافة لذلك تأتي:

- قلة وعي المجتمع بأهمية التعليم المهني والفني ودوره في التنمية.
- العادات والتقاليد التي تنظر بتدن إلى بعض المهن والأعمال اليدوية، ونظرة المجتمع السلبية للعمل اليدوي.

وهذه الأسباب كانت ولا تزال أهم العوائق التي تحول دون تقدم المجتمع وتطور المهن بأنواعها، ولكن مع التطور الحاصل في الثقافة والوعي نلمس اليوم في كثير من المجتمعات الإسلامية بوادر جديدة في إدراك أهمية العمل المهني وقيمه في نهضة الأمم، وبذلك يمكن القول أن النظرة السلبية قريبة التلاشي.

ومما ينبغي التركيز عليه إبراز اهتمام الدين الإسلامي بمسألة الاحتراف والمهنية، لأن ذلك مبدأ انتهجه الإسلام في سائر خطابه، فقد جعل العمل من أهم الركائز التي يبنى عليها المجتمع السليم، بل إن الأمة التي لا تعمل تفنى وتموت.

والإسلام ينظر إلى العمل والحرف والمهن نظرة كلها تكريم وإجلال، ويمكن تلخيص مظاهر تلك النظرة من خلال النقاط التالية:

(١) مما يدل على ما كان من النظر المهين للعمل المهني ما يوجد في كتب التراث الفقهي القديم، بل وبعض المعاصر التي نقلت عن القديم من غير تمحيص ولا تحليل..

١- العمل من أسس العبادات، وذلك مادام في حدود ما شرعه الله سبحانه، كما أنه الأثر الظاهر لما يعتقد المسلم؛ إذ أن الإيمان عقيدة وعمل. وإذا أدرك الإنسان حقيقة الإيمان وجد باعثاً من داخل نفسه يدعو إلى العمل في مجالات الحياة المختلفة ليقوم بمهمته في عمارة الأرض وقيادة البشرية إلى ما فيه الخير لها.

والمسلم الحق يفهم أن كل عمل يقوم به من أجل إعمار الحياة يعد عبادة يؤجر عليها، ذلك أنه يقرأ قول الله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الأنعام: ١٦٢] ، وهذا يؤكد أن مفهوم العبادة واسع وشامل يتناول كل مظاهر الحياة.

إن العبادة في الإسلام تشمل كيان الإنسان كله كما تشمل الحياة بأسرها. ولذا فإن العبادات إذا فهمت فهماً صحيحاً وطبقت تطبيقاً دقيقاً أعطت مجتمعاً قوياً متيناً كالبنيان المرصوص، يسعى بذمته أدناه، ويكون يدا على من سواه^(١). والإسلام يقدم لنا القدوة والمثل الأعلى على الاهتمام بالعمل وبيان شرفه، وقد بين الرسول صلى الله عليه وسلم ذلك فقال: ((ما أكل ابن آدم طعاماً خيراً من عمل يده، وأن نبي الله داود كان يأكل من عمل يده))^(٢).

بل لقد قرن الإسلام العمل بالجهاد وقدمه عليه ، كما في قوله تعالى: ﴿ عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْجُؤٌ وَمَأخُودٌ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ ۗ وَآخَرُونَ يُقْتَلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَأَقْرَأُوا مَا تَسْرَمْتَهُ ﴾ [المزمل: ٢٠].

(١) العبادات في الإسلام وأثرها في تضامن المسلمين، علي عبد اللطيف منصور، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ط: ١٤٠٤ هـ ص: ١١٧.

(٢) الحديث رواه البخاري في صحيحه، كتاب: البيوع، باب كسب الرجل وعمله بيده (٨٧/٢) رقم: ٢٠٧٢، من حديث المقدم رضي الله عنه.

وقرنه بالصلاة كما في قوله تعالى ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [الجمعة: ١٠] ، وفسر بعض العلماء (المنافع في الحج) في قوله تعالى: ﴿ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِّنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ ﴾ [الحج: ٢٨] بأنها "الأجر في الآخرة والتجارة في الدنيا"^(١).

٢- العامل اليدوي الذي يعمل باليد أو بالوقوف على الآلة التي يقوم بفرض كفايي حث عليه الإسلام وحبب إليه، والأعمال الفنية كلها فروض كفاية، فيجب على الأمة أن توفر هذا الفروض بتوفير العاملين فيها، وإن لم يقوموا بذلك فإن الجماعة كلها تأثم ويكون الوزر على الجميع، وإذا أقامت العاملين الفنيين وقصروا فالوزر عليهم وحدهم، لا يختص به كبيرهم ولا يسلم منه صغيرهم.

وليعلم العامل المهني أنه ليس خادماً عند صاحب العمل، إنما هو خادم للأمة كلها تتضرر بتقصيره وتنعم بجدده. واقتصار نظره على العلاقة بينه وبين رب العمل قصور في النظر إلى أداء الواجب، ذلك أن العامل بعمله يؤدي واجباً دينياً له ثوابه عند الله تعالى، فليحتسب النية عند ابتداء عمله في كل يوم من أيام العمل، وليطلب الثواب من الله تعالى، فإنه في عبادة مستمرة إن أخلص لله في عمله وصدق الجماعة في تصرفه.

٣- التخفيف في بعض العبادات من أجل العمل المهني: فقد خفف الله سبحانه وتعالى على عباده قيام الليل نظراً لانشغالهم بالعمل في النهار حتى لا يرهقهم التعب في الليل قال تعالى: ﴿ فَأَقْرَأُوا مَا يَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ

(١) جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير، أبو جعفر الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م، (٦٠٩/١٨) وغيره.

مِنْكُمْ مَرَضًا وَعَآخِرُونَ يَصْرِفُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَعَآخِرُونَ يَقْتُلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ

﴿ ٢٠ ﴾ المزمّل: ٢٠ معنى (يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ) أي: في تجارة قد سافروا

لطلب المعاش فأعجزهم، فأضعفهم أيضا عن قيام الليل^(١).

وفي هذه الآية وغيرها من الآيات التي تكلمت عن التجارة وصف القرآن

الكريم غاية التجار بأنها الابتغاء من فضل الله ولذا اسقط عليهم قيام الليل

الواجب حينها على الجميع حتى يتفرغوا للراحة بعد الكد واضبط الحسابات

ومراجعة التقارير ويستعدوا ليوم جديد من السعي لتحقيق فضل الله ، كما

تحمل دلالة على أن التجارة المربحة هي في الاستيراد من خارج البلد

وتصدير منتجاتها إلى الغير كما في قوله تعالى أيضا: ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ

الْأَرْضَ ذُلُولًا فَأَمْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴾ ﴿ ١٥ ﴾ الملك: ١٥ وفي قوله

تعالى ﴿ فَإِذَا فُضِّتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ

كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ ﴿ ١٠ ﴾ الجمعة: ١٠ .

٤- اعتبار العمل بعامة جهاداً، فقد قال بعض الصحابة وقد رأوا شاباً قوياً يسرع

إلى عمله: لو كان هذا في سبيل الله فرد رسول الله صلى الله عليه وسلم

عليهم بقوله: ((لا تقولوا هذا فإنه إن كان خرج يسعى على ولده صغاراً فهو

في سبيل الله، وإن كان خرج يسعى على أبوين شيخين كبيرين فهو في سبيل

الله، وإن كان خرج يسعى على نفسه يعفها فهو في سبيل الله، وإن كان خرج

يسعى رياء ومفاخرة فهو في سبيل الشيطان))^(٢).

(١) جامع البيان (٦٩٩/٢٣).

(٢) الحديث رواه الطبراني في معجمه الثلاثة، وقال في مجمع الزوائد: وَرِجَالُ الْكَبِيرِ رِجَالُ الصَّحِيحِ. انظر:

مجمع الزوائد ٤/٢٢٥) رقم: ٧٧٠٩، من حديث كعب بن عجرة.

وقال صلى الله عليه وسلم أيضا: ((العامل على الصدقة بالحق كالغازي في سبيل الله حتى يرجع))^(١).

وقال صلى الله عليه وسلم: ((الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله، وكالذي يقوم الليل ويصوم النهار))^(٢).

٥- العمل المرهق مكفر للذنوب: فقد جعل الإسلام الإرهاق بعد العمل من أسباب رضا الله وتكفير الذنوب، قال صلى الله عليه وسلم: ((من بات كالأ من طلب الحلال بات مغفوراً له))^(٣). وفي رواية: ((مَنْ بَاتَ مِنْ طَلَبِ الْحَلَالِ بَاتَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَنْهُ رَاضٍ))^(٤).

والسعي على العيال، والهموم في طلب المعيشة والنفقة عليهم قيمتها عند الله أعظم من كل ما عداه من وجوه النفقة، كما جاء في حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((دينار أنفقته في سبيل الله، ودينار أنفقته في رغبة، ودينار تصدقت به، ودينار أنفقته على أهلك: أعظمها أجراً الذي أنفقته على أهلك))^(٥).

(١) الحديث رواه أبو داود في سننه، سنن أبي داود، محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا- بيروت، (٣ / ١٣٢) رقم: ٢٩٣٦، من حديث رافع بن خديج رضي الله عنه، وذكر محققه عن الألباني أنه صحيح. وهو عند غير أبي داود بمثله أيضا.

(٢) الحديث رواه البخاري في صحيحه، كتاب: باب فضل النفقة على الأهل، وغيره. (٦٢ / ٧) رقم: ٥٣٥٣، وغيره. من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) الحديث: قال في كنز العمال رواه بن عساكر عن أنس. انظر: كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، لعلاء الدين علي بن حسام الدين ابن قاضي خان القادري الشهير بالمتقي الهندي، تحقيق: بكري حياني - صفوة السقا، مؤسسة الرسالة، الطبعة الخامسة، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م، (٤ / ٧) رقم: ٩٢١٥.

(٤) إصلاح المال، أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغدادي الأموي القرشي المعروف بابن أبي الدنيا، تحقيق: محمد عبد القادر عطا: مؤسسة الكتب الثقافية - بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م، باب: الاحتراف، ص ٧٢، رقم: ٢٠٩.

(٥) الحديث رواه مسلم في صحيحه، انظر: صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، باب فضل النفقة على العيال والمملوك (٢ / ٦٩٢) رقم: ٩٩٥، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

٦- استمرار الأجر والفضل للقيم التي تبني الحياة، كما في قوله صلى الله عليه وسلم: ((ما من رجل يغرس غرساً إلا كتب الله عز وجل له من الأجر قدر ما يخرج من ثمر ذلك الغراس))^(١) . وقال أيضاً: ((ما من مسلم يغرس غرساً، أو يزرع زرعاً فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلا كان له به صدقة))^(٢) .

٧- بيان أن العمل المهني من أشرف وسائل الكسب: فقال صلى الله عليه وسلم: ((خير الكسب كسب العامل إذا نصح))^(٣) .

٨- ذم أنواع البطالة وتحريم سؤال الناس، فذلك مما يفسد المجتمع ويؤخره، وقد حارب الإسلام البطالة والكسل والخمول وسعى إلى القضاء عليها بجميع أشكالها سواء كانت بطالة ظاهرة أو بطالة مقنعة، بطالة إجبارية كعدم الحصول على العمل مع وجود الرغبة والقدرة، أو بطالة اختيارية بسبب عدم الرغبة وتفضيل الكسل والخمول.

وهناك الأحاديث الصحيحة الصريحة في ذم البطالة والقيود بلا عمل والتحفيز للعمل، كقوله صلى الله عليه وسلم: ((لأن يأخذ أحدكم حبله فيأتي بحزمة الحطب

(١) الحديث رواه أحمد في مسنده، وقال محققه: سنده ضعيف لضعف عبد الله بن عبد العزيز الليثي. وأورده الهيثمي في "مجمع الزوائد (٦٧/٤) وقال: رواه أحمد، وفيه: عبد الله ابن عبد العزيز الليثي وثقه مالك وسعيد بن منصور، وضعفه جماعة، وبقيت رجاله رجال الصحيح. من حديث أبي أيوب الأنصاري.

(٢) الحديث رواه البخاري في صحيحه، كتاب: باب: فضل الزرع والغرس إذا أكل منه (١٠٣/٣) رقم: ٢٣٢٠، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٣) الحديث: أخرجه في: المغني عن حمل الأسفار في الأسفار، في تخريج ما في الإحياء من الأخبار (مطبوع بهامش إحياء علوم الدين)، أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن إبراهيم العراقي، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م، ص ٥٠٤، وقال: رواه أحمد من حديث أبي هريرة وإسناده حسن. وذكر له شاهداً آخر بلفظ: (أحل ما أكل العبد كسب الصانع إذا نصح).

على ظهره فيبيعها فيكف الله بها وجهه خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه))^(١). فالعمل سبب لدرء الفساد الذاتي والاجتماعي ووسيلة لدفع الفقر.

٩- الدعوة إلى إتقان العمل وإحكامه في كل شيء يعمله الإنسان، ففي الحديث:
((إن الله تعالى يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه))^(٢).

ولقد كان من أهم أسباب نجاح الصناعات الحديثة في بعض الدول وتفوقها على غيرها اهتمامها بمراقبة الجودة النوعية، ثم انتشار أسلوب وجود قسم متخصص في كل مصنع لمراقبة جودة الإنتاج. ومتابعة الجودة أصبح أمراً مهماً بالنسبة لكل منتج، ووضعت لذلك جوائز دولية تتسابق عليها المصانع والمنتجات، وهذا كله في سبيل التميز من أجل الكسب المادي، والمسلمون أولى بهذا السلوك؛ لنيل الثقة في الدنيا والفوز في الآخرة، حيث إن ذلك من صميم ديننا الذي لا يقبل إلا العمل الصالح في كل أمر، والذي من سمته الإتقان والإحسان، ولا شك أن من أهم متطلبات الإتقان والإحسان التخصص المهني الذي يجعل صاحبه على جانب عال من التأهل والقدرة.

(١) الحديث رواه البخاري في صحيحه، كتاب: الزكاة، باب: الاستعفاف عن المسألة (١٢٢/٢) رقم: ١٤٧١، من حديث الزبير بن العوام رضي الله عنه.

(٢) الحديث سبق تخريجه.

المطلب الثاني: الحاجة البشرية للمهن وتوجيه الإسلام لها

سبق القول إن حاجات البشر ومتطلباتهم هي التي تنشئ المهن والحرف.

وهي الدافع الأساس في تطورها وتوسعها أيضا، وإن الدين الحق هو الذي يلبي حاجات الناس وفي متطلباتهم بدعوته إلى العمل والاجتهاد والإتقان والاحسان. وعدم تلبية حاجات الناس يعني الوقوع في العنت والشدة والعسر.

وحاجة الإنسان للمواد التي تقوم بها حياته لازمة لا ينفك عنها أحد، ومنها الضروري الذي لا يمكن الاستغناء عنه، ومنها الحاجي والتكميلي والتحسيني، وبتنزل ذلك تبعا للحاجات الإنسانية والمتطلبات البشرية، وقد يتفاوت تنزيل الحاجات بحسب المجتمعات والأزمنة والأمكنة، نوعا وكماً.

والذي يجب عليه توفير هذه الحاجات هو الأمة نفسها، والواجب الأول في ذلك يكون مناطه بولاة الأمر والساسة أهل التدبير.

واختلاف الحاجات يدعو ضرورة إلى إعداد العاملين في كل جانب من جوانب الحاجات، بقدرٍ وكيفيةٍ تفي بالاحتياجات، شاملة كانت أو ذات خصوصية.

إن تطلعات الأمة يقضي بأن يكون لها نظر ثاقب إلى المستقبل يجعلها تحتاط بإعداد المتخصصين في كل مجال من المجالات الحيوية، من زراعية، وصناعية، وتجارية، وثروة حيوانية، وحرف مهنية، وخدمات عامة، وغيرها. ولا عذر لجيل من الأجيال في عدم قضاء حاجاتهم بأنفسهم وبأيديهم. ولا يترك الأمر في ذلك لرغبات الناس واجتهاداتهم في اختيار الأعمال العامة، بل لا بد من تخطيط علمي دقيق شامل مبني على المعطيات والمتطلبات، وإقرار كل ما يلزم للقدرة على تنفيذه، وتذليل كل الصعاب المحسوبة والمحتملة.

إن العمل المهني في حقيقته سلوك ظاهر يخفي وراءه دوافع متباينة بحسب تباين الناس في أهدافهم وغاياتهم، وبحسب تنوع خلفياتهم الثقافية والحضارية، والعمل

بشكله الظاهر يتشابه عند سائر البشر، ولكن الدوافع هي التي تتحكم بمسار العمل ونوعيته، وهذه الدوافع هي الأهداف المحركة للعمل والتي تدفعه نحو الاستمرار وتوجهه نحو وجهة معينة.

وكل هذا التحرك أصله ودافعه الأساسي هو وجود الدافع الحركي في فطرة الإنسان، فالإنسان لا يمكن أن يظل ساكنا لا يتحرك، بل لا بد أن يعمل، فهو ذو مطالب لا تنتهي، ومأن يتحقق له مطلب حتى يبدأ العمل على تحقيق مطلب آخر، كما إنه بدون عملٍ مثمر يفقد طعم الحياة ويفقد معناها ويتبرم بها، ويصيبه الملل والسأم منها، ولا ينفي هذا حقيقة ما يعرض للفرد من فتراتٍ في حياته يتوقف فيها عن العمل لسبب من الأسباب، وهو توقف مؤقت أو اضطراري في غالب الأحيان. وهذا ما يسمى عند علماء النفس دافع الإنجاز والنجاح، فإنه وراء كدح الإنسان وكبده^(١). وهذا ما يعبر عنه قوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾ ﴿٤﴾ البلد: ٤ أي في مكابدة ومشقة، وجهد وكد، وكفاح وكدح.. كما قال في السورة الأخرى: ﴿يَتَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدًّا فَمُلْقِيهِ﴾ ﴿٦﴾ الانشقاق: ٦^(٢)، فالعمل والكدح هو فطرة الحياة، وهو الأساس الأول لتحصيل الرزق وسائر مطالب الحياة، في جميع النظم الاقتصادية الريانية، والوضعية البشرية^(٣).

(١) انظر: نمو الإنسان من مرحلة الجنين إلى مرحلة المسنين، آمال صادق - فؤاد أبو حطب، مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة الرابعة ص ٤٦٧.

(٢) في ظلال القرآن، سيد قطب إبراهيم، دار الشروق، بيروت، القاهرة، الطبعة السابعة عشر، ١٤١٢ هـ (٣٩٠٩/٦).

(٣) انظر: كواشف زيوف، عبد الرحمن بن حسن حَبَنَكَة الميداني، دار القلم، دمشق، الطبعة الثانية، ١٤١٢ هـ - ١٩٩١ م ص ٦٣٧.

وقد جاء في الحديث ((أصدق الأسماء : حارث وهمام))^(١). والحارث هو الكاسب الفاعل، والهمام فعال من الهم، والهم أول الإزادة^(٢)، وهذا فيه إشارة إلى فطرة السلوك البشري الجبلي.

ومن ذلك كله يتبين لنا أن الإنسان في عمله المهني إنما يستجيب لفطرة مغروسة في خلقته وطبيعته من لدن الخالق البارئ جل وعلا، وذلك يعني أن هذا الرصيد الفطري هو أهم عنصرٍ يمكن أن يوظف في الترغيب في العمل والجد فيه، ومن ذلك يتضح لنا أن العمل سلوك بشري عام، يلبي ميلا أو اندفاعا فطريا نحو الإنجاز، تتطوي عليه طبيعة الإنسان.

ولكن الإسلام في نظره الشمولية إلى الإنسان وتفسير سلوكه لا يقتصر على الاعتراف بدافع واحدٍ من دوافع الفطرة يفسر بها ميل الإنسان نحو العمل والحركة والنشاط، فلا يفسر ذلك بدافع الإنجاز فقط، وهو دافع فطري كما أسلفنا، ولكنه يعترف بكل دوافع الفطرة، ومنها دافع التملك، وهو دافع فطري كذلك، ولا شك أنه من الدوافع القوية في تحريك السلوك البشري، وله دور كبير في تحريك الإنسان نحو العمل، لأن العمل وممارسة المهنة سبيل إلى تحصيل "المال" وميل الإنسان نحو التملك، أو الحصول على المال إنما هو بدافع فطري، كما صرحت بذلك الآيات والأحاديث الكثيرة، ونكتفي بذكر دليلين منها - خوفا من الإطالة - فمن القرآن قوله تعالى: ﴿ زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ

وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ

(١) الحديث رواه البخاري في الأدب المفرد، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار البشائر الإسلامية، بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٩ - ١٩٨٩م، ص ٢٨٤، رقم: ٨١٤، من حديث أبي وهب رضي الله عنه، وقال محققه: قال الشيخ الألباني: صحيح .

(٢) العبودية لتقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم ابن تيمية الحراني، تحقيق: محمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة السابعة المجددة ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م، ص: ١٠٠.

الْمَعَابِ (١٤) ﴿آل عمران: ١٤﴾ ، ومن السنة قول النبي صلى الله عليه وسلم: ((لو كان لابن آدم واديان من مال لابتغى واديا ثالثا، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب))^(١).

ولما راعى الإسلام هذه الجوانب الفطرية في الإنسان قامت في المجتمع الإسلامي منذ القديم صناعات عامة اقتضت بطبيعتها استيعاب أعداد كبيرة من العمال والصناع، مع كثرة الإنتاج وجودته، وتنوعه بما يلبي كثير من الحاجات المتزايدة للمسلمين وغيرهم، وبما يعكس الخلق القويم في الجودة والالتزام والمسئولية. ولذلك فقد قامت عدد من الصناعات والحرف والمهن المتنوعة في البلدان الإسلامية في جو من التشجيع والتنافس.

وفي إطار نظر الإسلام بشمولية وتكاملية للإنسان بعامة، فقد أسس تشريعات العمل ووضع له المبادئ والقيم من واقع نظريته الشمولية للجهد البشري في مجال العمل، كما وضع التشريعات الجزئية التي تتكفل بحل أي إشكال قد يطرأ في أي جانب من عمليات الحركة الإنسانية الدائبة.

كما أنه أسهم إسهاما كبيرا في توجيه الفطرة أولا، والتطلع والطموح والعمل أيضا، بما يحفز المرء إلى صرف جهده وطاقته وإنتاجه فيما يعود عليه بالخير، ويحول بينه وبين صرف هذا الجهد وتلك الطاقة فيما يعود عليه بالوبال، على المستوى الشخصي والجماعي، بل إن مجمل تعاليم الإسلام مبنية على هذا الأساس، منسجمة مع طبيعة الإنسان، موجّهة له في إطار القيم السامية الكلية.

(١) الحديث رواه مسلم في صحيحه، باب: لو أن لابن آدم واديين لابتغى ثالثا (٧٢٥/٢) رقم: ١٠٤٨، من حديث انس رضي الله عنه.

المطلب الثالث: التسابق الحضاري

شاع استعمال كلمة "حضارة" للدلالة على الوسائل والمخترعات والابتكارات التي وصل المجتمع الإنساني بها إلى آفاق بعيدة من الرقي والتنظيم المادي، والرفاه في الحياة، كما يعبر الاستعمال العام لكلمة "حضارة" عن النظم التي يضعها المجتمع لدعم كيانه الاجتماعي، وتحقيق أهدافه في سهولة ويسر^(١).

وانطلاقاً من هذا المعنى فإن كل أمة تكثر فيها هذه الوسائل المادية أو النظم التشريعية الضابطة تكون أكثر تحضراً، وهذا ينعكس على قوة الأمة وسيطرتها وبسط نفوذها وسيادتها.

وقد تدرجت الأمم في الحضارات منذ القدم، وانتقلت من طور البداوة إلى طور الحضارة، وكانت على جانب من التسابق - بحسب المعطيات - في بسط النفوذ والرقي والرفاه والعلو، ويظهر ذلك من خلال ما عرف عنها من آثار تدل على إتقانها وإحداثها لكثير من المهن والصناعات والتنظيم في جميع الجوانب المادية والتشريعية، وقياس كل حضارة بقدر ما فيها من العمران والمهن والصناعات^(٢).

ويتطور الأمم وتنوع الاحتياجات والطموحات يتطور التسابق الحضاري ويقوى، بل ربما أصبح صراعاً مفتوحاً، وهذا كله فطرة بشرية وسنة إلهية، في نشوء الحضارات واشتدادها وأقولها، وهذا من باب التدافع الذي يكون فيه الأصلح والأنفع هو المستحق للبقاء؛ لأخذه بالأسباب التي تؤدي إلى ذلك، وهذا مما يشير إليه قوله تعالى: ﴿ فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَءَاتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ

(١) لمحات في الثقافة الإسلامية، عمر عودة الخطيب، مؤسسة الرسالة، الطبعة الخامسة عشرة ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م ص ٤٢.

(٢) انظر: بدائع السلك في طبائع الملك، لمحمد بن علي بن محمد الأصبحي الأندلسي، تحقيق: د. علي سامي النشار، وزارة الإعلام - العراق، الطبعة الأولى ص ٣٢٨.

وَعَلَّمَهُ، مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ
وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٣٥١﴾ البقرة: ٢٥١ . هذا التدافع بين
الجماعات والجماعات.. وبين الأمم والأمم في كل موقع من مواقع الحياة، وفي كل
متجه فيها، وعلى كل مورد من مواردها، هو الذي يحرك دولاب العمل على هذه
الأرض، ويبعث الحياة في كل جانب منها... فسبحان من خالف بين الناس فجعل
من هذا التخالف مادة الحياة والبناء والعمران، ولولا ذلك لفسدت الأرض وضاع
الناس: (وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ)^(١).

ويقوى هذا التسابق أو التصارع كلما كان التنافس بين أمتين ليستا على قاعدة
دينية واحدة؛ لأن ذلك يندرج في باب العداة وفي هذه الحالة يقوى التنافس وتتولد
الطاقات في كل اتجاه.

وبالنظر إلى الواقع اليوم نجد أن التسابق الحضاري واقع بين الشرق والغرب على
كافة الأصعدة، ومظهره الأكبر هو في الصناعات والأعمال والعمران. ومن الظاهر
أن الأمة المسلمة خرجت عن ميدان السباق؛ لتأخرها في جميع مجالات العمل
والمهن، بل أصبحت ميدانا لعرض المنتوجات الشرقية والغربية.

ولو بحثنا عن أسباب ازدهار الحضارات على العموم وأسباب ازدهار الحضارة
الإسلامية على الخصوص، لوجدنا أن من أهم الأسباب: النشاط العلمي المستمر
المواكب للعمل والتجربة، ويظهر هذا من خلال تقدير الجهود العلمية واحترام
أصحابها، لأن أساس الخبرة والقدرة فكرة.

ولما خرجت الأمة الإسلامية في عصورها الأولى من تخلفها واحترمت العلم
والعمل، وفق منهج القرآن الذي يقول: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ
وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾ ﴿٣٦﴾ الإسراء: ٣٦ . صارت حيث الدعوة إلى إيقاظ

(١) التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم يونس الخطيب، دار الفكر العربي، القاهرة (١/٣١١).

مشاعر الإنسان، وتوجيه ملكاته إلى هذا الوجود... والنهي عن أن يكون الإنسان إمعة، يتبع كل ناعق، ويجرى وراء كل داع، دون أن يكون له رأى فيما يعمل ويقول.. وهذا معناه تعطيل لمدركاته، وعدوان على إنسانيته بحرمانها من حقها في التزوّد بزد العلم والمعرفة^(١)..

وبجانب العلم النظري فإن الحضارة - في الجانب المادي منها - تعتمد اعتماداً كبيراً على المنهج التجريبي القائم على المعطيات العلمية الدقيقة، وهذا مما أشارت إليه الآية السابقة الذكر.

ومع كل ذلك لا بد من امتلاك أدوات المعرفة الشاملة التي تفلسف الأشياء وتتحقق منها، وكذلك لا بد من امتلاك أدوات وآلات العمل المادي.

ولما توفرت هذه المعطيات للأمة الإسلامية اندفع المسلمون نحو ساحة الحضارة يعملون وفق منهج وهدف، يحدوهم عزم وإرادة، فمارسوا التحرك على مستوى الفكر والعقل، وعلى مستوى التجربة والعمل، وطبقوا كل النظريات العلمية التي كانوا يتوصلون إليها تطبيقاً عملياً بما ينفع الناس ويرتقي بمستواهم الحضاري والاجتماعي، ومن هنا كان ازدهار الحضارة الإسلامية لقرون عديدة في كل المجالات العلمية والصناعية والاقتصادية والاجتماعية، خاصة مع توفير العقيدة الإسلامية لأتباعها أهم مقومات النظر السليم في التعامل مع الواقع ومع البيئة المسخرة لهم من قبل الله تعالى، وفق تشريعات حكيمة تنظم الحياة في كل جوانبها ومرافقها، وهكذا عندما يتصالح الفكر مع الواقع يكون الإنسان أكثر قدرة على بناء صرح الحضارة المتوازنة إيمانياً ومادياً.

وينبغي هنا أن نبين أن الحضارة المادية وحدها لا تكفي لسير أمة واستمرارها في الصدارة، بل إن العامل الأهم في استمرار التصدر هو الجانب الثقافي المعرفي،

(١) التفسير القرآني (٨ / ٤٨٧) .

وجانب الأنظمة والقوانين الضابطة لكلٍ. كما أن من عوامل القوة: أن يشيع المنطق العلمي ويتسع في الأمة من خلال تسهيله وتبسيطه وربط الفكر بالواقع، وربط العمل بالوسائل المكافئة بصورة محددة واضحة^(١)، ومن المهم جدا تكريس القيم والمبادئ الأخلاقية التي تضمن سير الأمة في إطار من العدل والقسط. وفي تاريخ الإسلام خير مثال، فعندما أنتج علماء المسلمين فكراً يتلاءم مع واقعهم، قدموا للعالم حضارة زاهرة معمرة، كما قدموا حلولاً شافية للمشكلات التي واجهتهم على المستويين الفكري والعملي، ذلك أن العلم والفكر اللذين لا يعمر بهما الكون، ولا تصلح بهما البيئة والواقع، ولا ترقى بهما الحياة، في جانبها الإيماني والمادي معاً، هما علم وفكر قاصران وضررهما أكبر من نفعهما.

إن دراسة مفهوم العمل المهني والفني والتقني في الإسلام وإحياء المبادئ والقيم المثلى في هذا الجانب تنبثق أهميتها من كون العمل أداة التطور والبناء والتقدم الحضاري، بل لقد أصبح ضرورة اجتماعية وحضارية خلال العصر الحديث لما يحتله من مكانة متميزة وخصوصاً لدى الدول التي قطعت شوطاً كبيراً تجاه تنفيذ البرامج والخطط التنموية الشاملة، وتزداد أهميته بفعل عوامل التطور التقني والتغير الاجتماعي والثقافي السريع، الأمر الذي يترتب عليه إعادة النظر باستمرار في محتوياته وأساليبه وتطبيقاته.

ويقف المسلمون اليوم على بوادر وعي جديدة في أنحاء العالم الإسلامي، محورها تفجير الطاقات الهائلة التي تملكها دوله، والاستفادة من ثرواتها الطائلة لبناء الحياة على مبادئ الإسلام وهدى شريعته. وتأتي هذه الصفحات دعماً لبوادر ذلك الوعي وإيماناً بالدور الذي تقوم به هذه البحوث والدراسات العلمية في بناء الدولة

(١) انظر: شروط النهضة، مالك بن نبي، ترجمة عمر كامل مستكاوي وعبدالصبور شاهين، بيروت عام

العصرية التي تقوم على أساس استخدام العلم والمنهج العلمي وأثرهما البارز على
زيادة الإنتاج وتحقيق السعادة والرفاهية والعزة والسيادة للمجتمع بعامة.

المطلب الرابع: الازدهار الاقتصادي والعمراني

تقدمت الصناعات الحرفية والأعمال المهنية بتوالي الأجيال، ووفرة المواد الخام الزراعية والمعدنية، وتقدم العمران البشري في المدن الإسلامية، غير أن الصناعات استمرت تعتمد على المهارات اليدوية، وبقيت السلع تصنع في البيوت أو في المحال والحوانيت، وكان العامل يبدي في هذه المحال الصناعية مهارة وخبرة وصبراً مما أعطى الإنتاج على الرغم من قلته صفة الاتقان. لكن استمرت الحالة العامة للعمال اقتصادياً - على الأغلب - متواضعة، وتكفي ضرورات الحياة المعيشية فقط، ولهذا عُدَّ أهل الحرف في عداد العامة أو الفئات الدنيا في المجتمع الإسلامي^(١).

وعلى هذا الأساس لا نستغرب أن تكون الصناعة وأربابها موضع عطف واهتمام الكثير من المفكرين والكتاب العرب والمسلمين، فلقد أفردوا لها الفصول والرسائل في مؤلفاتهم، ومثال ذلك ما نجده في كتب التاريخ والسياسة الشرعية والحسبة.

وعندما ندرس الأمور الاقتصادية دراسة واقعية نجد أن ازدهار العمل المهني والحرفي والصناعات أهم الأسس الاقتصادية والتنموية، وهناك علاقة وطيدة بين الازدهار الاقتصادي والازدهار العمراني، فكلما كان الاقتصاد في حالة جيدة برزت المظاهر العمرانية وتوسعت المدن والمحلات، وإذا تعثر الاقتصاد تعثرت العمارة والتوسع العمراني كذلك.

- ومن عوامل الازدهار الاقتصادي والعمراني: ضمان العامل الأهم في ازدهار الاقتصاد وهو تكثير الدخل وتوسيع دائرته، وذلك لا يتأتى إلا بتنويع مصادر

(١) الحضارة العربية، جاك ريلر، ترجمة: غنيم عبدون، الدار المصرية للتأليف والنشر، ص ١١٨.

الدخل وتوسيعها، وهذا مرتبط ارتباطاً وثيقاً بالعمل والعمال، ولذلك فإنه بحسب تنوع المهن والحرف يكون تنوع الدخل وتوسعه وتكون حركة المال ونمائه، على مستوى الأفراد والمجموعات والحكومات. وأعتقد أن ذلك من أعظم الضمانات الاقتصادية لاستقرار الوضع الاقتصادي وتحسنه؛ حيث تضمحل مظاهر البطالة وتتوزع الأموال على قاعدة عريضة من الناس، ويتحرك المال وينمو، وهذا بعض مما يشير إليه قوله تعالى: ﴿كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٧﴾ الحشر: ٧ ومن عوامل الازدهار الاقتصادي والعمراني: تمكين كل قادر على العمل، سواء أكان عملاً ذهنياً أو يدوياً، وتمكين كل ذي موهبة وقدرة من الانتفاع بموهبته وقدرته، وكل ذلك مما يقوم عليه العمران: من هندسة وطب وفلاحة للأرض وإقامة المصانع والجهاد في سبيل الله ^(١) وغير ذلك من موارد النماء والبناء.

(١) بناء المجتمع الإسلامي، د نبيل السمالوطي، دار الشروق للنشر والتوزيع والطباعة، الطبعة: الثالثة ١٤١٨هـ-١٩٩٨م ص ٢٥٠، ٢٤٩.

المطلب الخامس: خصائص الحرف والصناعات

إن كل الأعمال يراعى في تصنيفها الصفة الغالبة عليها، في إعدادها والقيام بها، وإلا فإن كل الأعمال هي نتاج مشترك بين الفكر واليد^(١)، سواء اكتسبت بالخبرة والممارسة، أو بالاختراع والإبداع، وبالتالي فإننا عند التعرف على الإنتاج نرى مواصفاته أولاً، ثم ننتقل إلى التعرف على خلفياته ووسائل وطرق إنتاجه.

ومن هنا فإن الحرف والصناعات ليست حكراً على أحد أو بلد، فهي متاحة لكل الناس ولكل الأمم بشروط موضوعية ذات مسارات قانونية لا تتجامل ولا تحابي.

وللمهن خصائص ظاهرة وطبيعية تتبلور من النظر في أصولها ووظائفها. ومعلوم أن لكل مهنة خصائص ذاتية، وخصائص ذات اشتراك، ولسنا بصدد بيان الخصائص التفصيلية لكل مهنة على حدة، فذلك واضح أنه مما يطول شرحه، ويلزم على المستوى الفردي، ونحن هنا إنما قصدنا البيان الإجمالي لما يمكن أن يكون سمات مشتركة بين المهن جميعاً، ومعرفة هذه الخصائص من جهة كونها محفزات وتوضيحات للأهمية الكبيرة التي تحتلها المهن بصورة عامة.

وسوف نجمل الكلام في هذه الخصائص من الناحية الاقتصادية والناحية الاجتماعية في النقاط التالية:

١- الحرف والصناعات تقوم بتوفير احتياجات المجتمع، لارتباطها بها، فهي خدمات وموارد اقتصادية، ومن المعلوم أن من مقاصد الشريعة أن يعيش الناس في سعادة ويسر، وذلك لا يتحقق إلا بأمرين:

- توفر الحد الأدنى من المعيشة

(١) المجتمع والأسرة في الإسلام، محمد طاهر الجوابي، دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثالثة ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م، ص ٤٩.

- تحقيق مطالب الناس الروحية والنفسية^(١).

فالأمر الأول: يكون بتوفير احتياجات الناس المعيشية، الأساسية الضرورية، وكذلك الكمالية والتحسينية، بما يضمن حياة كريمة. وهذا الأمر يتوفر إذا توفرت الحرف والمهن التي يقوم أصحابها بإسقاط هذا الواجب في حال الكفاية.

والأمر الثاني: يكون بمراعاة القيم الإنسانية في الإنتاج والعمل، في إطار من القيم الدينية الكلية التي تعرف من أصول التشريع ومبادئه، كما يكون في إبراز الأعمال التي تلبى هذه الجوانب الروحية والنفسية التي فطر عليها الإنسان.

٢- الحرف والصناعات وسائل أساسية لبناء المجتمع المستقر، فلا يمكن لأي مجتمع أن يعيش حياة مستقرة بدون وجود حرف كافية فيه. بل إنها من أهم مقومات المجتمع المتحضر، وسمة من سماته، وضرورة من ضرورياته الاجتماعية، وهي تنتزل في ذلك بحسب حاجة الناس وكفايتهم. ومناطق الضرورات فيها يتحملة كل أفراد المجتمع حتى تحصل الكفاية. وتنتزل في هذا الجانب على الأحكام الخمسة: الوجوب والندب والكرهية والحرمة والإباحة.

٣- الحرف والصناعات تساهم في بناء الاقتصاد بصورة فاعلة وكبيرة، وتجعل المجتمع يعتمد على نفسه، مما يشكل قوة في جانب الاقتصاد والسياسة والنفوذ، على مستوى الفرد والامة؛ ذلك لأنها ميدان سيطرة ونفوذ كبيرين^(٢)، وفي الحديث: ((شرف المؤمن قيام الليل وعزه في استغنائه عن الناس))^(٣).

(١) انظر: مباحث في الاقتصاد الإسلامي من أصوله الفقهية، د: محمد رواس قلعة جي، دار النفائس، بيروت، لبنان، الطبعة السادسة ٢٠٠٥م ص ٤٥.

(٢) انظر: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام (٧ / ٢٧٩) .

(٣) الحديث ذكره في مجمع الزوائد، باب: في صلاة الليل، (٢٥٢/٢) رقم: ٣٥٢٩، من حديث سهل بن سعد، وقال: رواه الطبراني في الأوسط، وفيه زافر بن سليمان وثقه أحمد وابن معين وأبو داود وتكلم فيه ابن عدي وابن جبان بما لا يضُرُّ. وحسنه في موضع آخر، باب: الإيجاز في الموعظة (٢١٩/١٠) رقم: ١٧٦٤٤ .

على أن هذه الحرف لا تحقق النفع لصاحبها وللمجتمع إلا إذا صاحبها الإخلاص، والنصح، والقناعة في الربح، والتعامل الحسن، واتباع كل الشبهات^(١).

٤- قوام الحرف والصناعات: الإبداع والجهد والمثابرة، فكل الحرف والمهن والصنائع والوظائف بحاجة إلى جهد وعناء، كما أنها تحتاج إلى تطوير مستمر. وهذا الجهد مشترك، وبتفاوت بين الجهد الفكري الذي يتعلق به الإبداع والتطوير، والجهد البدني الذي تتعلق به الوفرة وتلبية الحاجات، كما أن الاستقرار أمر ضروري لها، حيث يعطي لها دفعا قويا نحو التجدد والتطور والإبداع، وليس من مصلحة أصحاب الحرف أن يبقوا في وضع غير مستقر، لما يولد ذلك من ركود في الأعمال الذي يتولد عن الحذر من التقلبات غير المحسوبة.

٥- الحرف والصناعات متولدة لا تستقر عند حد ولا كيفية معينة، فهي تنتوع وتتطور بحسب الزمان والمكان والحاجات والإمكانات والتنافس. ولكن التخطيط لها وتهديفها يجعلها أكثر جدوى وفاعلية، وأوسع نفعا على كل المستويات.

٦- الحرف والصناعات تعتمد على القناعات الشخصية وليس للفرض فيها سبيل، بل قد يكون الفرض سبيلا لاضمحلالها.

٧- الحرف والصناعات تنتقل بالخبرة والتجارب، وقد تحتكر في جوانب منها، كالجودة وبعض الخبرات، بما يسمى أسرار المهنة، وقد تشتهر مدينة ما بحرفة من الحرف، فيكون لمنتجاتها شهرة واسعة وبياع بأسعار عالية، وقد تشتهر منطقة بجملة صناعات^(٢)...

(١) المجتمع والأسرة في الإسلام ص: ٥٢.

(٢) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام (١٤ / ٢٣٤).

- ٨- الحرف والصناعات مورد مالي مستمر على المستوى الفردي والجماعي، ولذلك فإن أهل الحرف هم من أهم دافعي الضرائب والجبايات التي تقوم عليها الحكومات، قديماً وحديثاً^(١)..
- ٩- الاشتغال بها ينبئ عن ذكاء وفطنة، كما أنها تكسب المشتغل بها ذلك، لما لها من خاصية التجدد والإبداع والمواكبة المستمرة لمتطلبات الناس.
- ١٠- ترتبط بتوفر المواد الأولية والظروف المساعدة.
- ١١- توجد قواسم مشتركة بين العاملين والمشتغلين بها، بحيث تصير بينهم روابط وحميمية ومناخات اجتماعية تسهم في وحدة المجتمع وقوته^(٢).

(١) انظر: ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، علي أبو الحسن الندوي، مكتبة الإيمان، المنصورة - مصر. ص ٧٤، ٧٥.

(٢) انظر: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام (١٤١/١٣) و (٢٣٤/١٤) ..

الفصل الثالث

المصادر الإسلامية وموقفها من الحرف
والمهن والصناعات

الفصل الثالث: المصادر الإسلامية وموقفها من الحرف والمهن والصناعات

وفيه أربعة مباحث

المبحث الأول: موقف القرآن الكريم من الحرف والصناعات

المبحث الثاني: موقف السنة والسيرة من الحرف والصناعات

المبحث الثالث: الاحتراف في الفقه الإسلامي

المبحث الرابع: فقه المهن عند السلف

المبحث الأول: موقف القرآن الكريم من الحرف والصناعات

وفيه مطلبان

المطلب الأول: المظاهر العامة لاهتمام القرآن بالحرف والمهن

المطلب الثاني: المظاهر الخاصة لاهتمام القرآن بالحرف والمهن

المطلب الأول: المظاهر العامة لاهتمام القرآن بالحرف والمهنة

تمهيد:

إن القرآن الكريم هو المصدر الأساس الذي يعتمد عليه أهل الاجتهاد في استنباط أحكامهم وهو المصدر الحيوي لحياة المسلمين، وهو الدستور الشامل الجامع المنظم لشؤون المسلمين في الدارين، مصداقاً لقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَلُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾ . سورة الأنعام الآية ٣٨ . ذلك أن الله سبحانه وتعالى ذكر في القرآن الكريم كل شيء - تلميحا أو تصريحاً - فالحسن ذكره ودعا إلى التمسك به وغير الحسن ذكره وحذر منه.

ومن المذكور في القرآن الكريم: العقائد والمواريث والسياسة والصناعات والحرف . . . الى غير ذلك، فلم يفرط سبحانه وتعالى في شيء، ولكن يعلمه من يعلمه ويجهله من يجهله، وذلك بصورة قواعد عامة وصور إرشادية، وليس بالضرورة أن يكون ذلك نصاً مباشراً.

فقوله: ﴿ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ﴾ وكذلك قوله: ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ بَيِّنَاتٍ لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ (٨٩) النحل: ٨٩. هذا معناه اشتمال القرآن على كل ما يصلح حال الإنسان ويسعده، بحيث إنه ما من أمر يأمر به إلا ورعاية مصلحة الأمور أول مقصود له، يظهر لنا من ذلك ما تستطيع عقولنا الوصول إليه ويبقى منه الشيء الكثير يجلبه الزمان ويكشفه تعدد الوسائل العلمية الحديثة في الحياة.

ومن هذه الأمور التي اهتم بها القرآن الكريم صراحة في مواطن وإشارة في مواطن، عموماً وخصوصاً: الحرف والمهن والصناعات التي يزاولها بنو الإنسان، وربما يقضي البعض فيها جل أوقاتهم وأعمارهم ويختار لمزاومتها أفضل الأوقات وأكثرها عطاء كما هو معلوم بـ(وقت الدوام الرسمي). وسوف نتكلم عن اهتمام القرآن الكريم بها فيما يلي:

الفرع الأول: التعميم في الخطاب

ونعرف هذا التعميم من خلال ما يلي:

١. لم يدعُ القرآن الكريم إلى الاحتراف صراحة لأنه لا داعي لذلك كما سبق ففوة الغرائز المخلوقة فيه من الله سبحانه كافية للقيام بالمهمة ومع ذلك فقد ذكر معظم المهن بأسمائها وأوصافها وذكر أهم السلع والخدمات اللازمة لإقامة الحياة.

ومعلوم أن تحصيل ذلك عن طريق المهنة والاحتراف؛ لأن ذلك من معاني الاتقان الذي يطلب في كل أعمال المسلم، يقول تعالى: ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف: ٣٢]. فكيف تتحصل هذه الطيبات من غير عمل وسعي، وذلك ما تشير إليه الآية: ﴿ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ ۙ الْمَزْمَلِ ﴾ [المزمل: ٢٠].

٢. يذكر القرآن صوراً من التعاملات التي تقوم على الاحتراف مثل البيع والشراء، والعمل والكسب، كقوله تعالى: ﴿ وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [البقرة: ٢٧٥] وقوله تعالى: ﴿ يَعْملُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحْرِبٍ وَتَمَثِيلٍ وَجَفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَتٍ أَعْمَلُوا ءَالَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرِينَ ﴾ [سبأ: ١٣].

وإن كانت الأخيرة في الشياطين إلا أن فيها إشارة للعمل بصورة عامة.

٣. ما يذكره القرآن الكريم من أحكام المعاملات بصورة عامة، فيه بيان أن الحياة لا تستقيم بغير هذه المعاملات التي تقوم وتستمر بها.

٤. اقتران طلب الرزق بالعبادات والشعائر مما يدل على الاهتمام البالغ بها، فقد دعا القرآن إلى الانتشار في الأرض بعد انقضاء وقت صلاة الجمعة

التي حرم خلالها مزاولة أي عمل ومهنة، يقول تعالى: ﴿ وَذَرُوا الْبَيْعَ ﴾
الجمعة: ٩ " وكانت دعوة الانتشار في الأرض بقوله: ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ
الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ
الجمعة: ١٠ ﴿

وجاء في تفسير قوله تعالى: ﴿ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ ﴾ أي:
" إِذَا فَعَلْتُمُ الصَّلَاةَ وَأَدَّبْتُمُوهَا وَفَرغْتُمْ مِنْهَا فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ لِلتَّجَارَةِ
وَالنَّصْرَفِ فِيمَا تَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ مِنْ أَمْرِ مَعَاشِكُمْ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ أَي: مِنْ
رِزْقِهِ الَّذِي يَتَفَضَّلُ بِهِ عَلَى عِبَادِهِ بِمَا يَحْصُلُ لَهُمْ مِنَ الْأَرْيَاحِ فِي الْمُعَامَلَاتِ
وَالْمَكَاسِبِ" (١).

وقد كان عراك بن مالك (٢) رضي الله عنه، إذا صلى الجمعة انصرف فوقف على
باب المسجد، فقال: " اللهم إني أجبْتُ دعوتك، وصليتُ فريضتك، وانتشرت كما
أمرتني، فارزقني من فضلك، وأنت خير الرازقين" (٣).

وفي قوله تعالى في الآية: ﴿ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ الجمعة: ١٠ ،
دليل على أن الذكر ينبغي أن يكون في كل حركة من حركات الحياة، حال البيع
والشراء وغير ذلك من الأعمال (٤).

(١) فتح القدير لمحمد بن علي الشوكاني، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى -
١٤١٤ هـ (٥ / ٢٧١) .

(٢) هو: عراك بن مالك الغفاري الكتاني المدني توفي بعد ١٠٠ هـ في خلافة يزيد بن عبد الملك. انظر: تقريب
التهذيب (١ / ٣٨٨).

(٣) تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة
للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م (٨ / ١٢٣).

(٤) انظر: المرجع السابق نفس الموضوع.

وفي قوله تعالى: ﴿وَأَخْرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاخْرُونَ يَقْتُلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ المزمّل: ٢٠. دليل على فضل التجارة حيث قرنت بالجهاد في سبيل الله، بل لقد جعلت عذرا لعدم قيام الليل حتى يكون النوم عوناً للعامل في النهار. وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: "ما من حال يأتيني عليه الموت بعد الجهاد في سبيل الله، أحب إليّ أن يأتيني وأنا ألتمس من فضل الله". ثم تلا هذه الآية^(١). وفي الآية "سوى الله تعالى بين درجة المجاهد والمكتسب المال الحلال للنفقة على نفسه وعياله، والإحسان والإفضال، فكان هذا دليلاً على أن كسب المال بمنزلة الجهاد؛ لأنّه جمعه مع الجهاد في سبيل الله"^(٢).

هذه الأمثلة تدل على أن التعبد أنواع، منه السعي في الأرض والابتغاء من فضل الله تعالى..، وفي ذكر فاء التعقيب في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ الجمعة: ١٠ ما يدل على أننا بحاجة إلى ترتيب الأولويات فقط، وإلا فإن كل حركة في الحياة هي من العبادة، كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ الأنعام: ١٦٢.. "إنه التجرد الكامل لله، بكل خالجه في القلب وبكل حركة في الحياة، بالصلاة والاعتكاف، وبالمحيا والممات، بالشعائر التعبدية، وبالحياة الواقعية، وبالممات وما وراءه"^(٣).

ومن هذا الباب: ما ذكره القرآن من أهداف الحج حيث جعل من أهدافه تحصيل المنافع الشخصية، التي تتحصل من العمل والتجارة وغيرها من الأعمال

(١) محاسن التأويل، محمد جمال الدين القاسمي، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية - بيروت

الطبعة: الأولى - ١٤١٨ هـ (٩ / ٣٤٦) .

(٢) الجامع لأحكام القرآن (٥٥/١٩).

(٣) في ظلال القرآن (٣/١٢٤٠)

فقال: ﴿لِيَشْهَدُوا مَنَفِعَ لَهُمْ﴾ الحج: ٢٨ ، ثم بعد ذلك بين أن من الأهداف أنهم يذكرون الله تعالى، فقال: ﴿وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ﴾ (٢٨) الحج: ٢٨ . والمنافع التي يشهدونها هي: العمل والريح والتجارات وغيرها من منافع الدنيا والآخرة^(١).

٥. ومن صور اهتمام القران بالعمل والمهن استخدامه لبعض المصطلحات التجارية والمهنية في أمور الآخرة، من بيع وشراء وتجارة، كقوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَذُكَّرُ عَلَىٰ نَجْوَىٰكُم مِّنْ عَدَابِ اللَّهِ﴾ (١٠) الصف: ١٠. وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِآتٍ لَهُمُ الْجَنَّةَ﴾ (١١١) التوبة: ١١١. وغيرها من الآيات.

ويمكن أن نفهم من ذلك أن استخدام هذه الألفاظ فيها تعمد إشاعتها بحيث تصبح مصطلحات معروفة متداولة وبالتالي مدلولاتها.

هذه بعض الصور العامة لبيان اهتمام القرآن بالمهن والصناعات، وهي تنبئ عن مكانتها في الثقافة الإسلامية بصورة عامة.

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم (٤١٤/٥).

الفرع الثاني: الإشادة بالعمل والكسب والتعفف

لقد رغب القرآن الكريم في العمل والكسب وحثَّ عليهما، وجاءت الآيات في ذلك واضحة لا لبس فيها ولا غموض، ترعَّب في العمل الشريف والمكاسب الطيبة، ومن صور الإشادة بالعمل والكسب والتعفف، ما يلي:

١- بيان أن السعي هو أساس الأكل الطيب، وأساس كسب الرزق، من ذلك قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ الملك: ١٥ ، وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَأَشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ البقرة: ١٧٢ الوصية بالتوازن في العيش في هذه الحياة، كما قال تعالى: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا ءَاتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ القصص: ٧٧. وهذا معناه أن لا يترك المتعة الحلال في الحياة الدنيا بما توجد به الرفاهية بحيث لا يكون فيها بغي على أحد^(١).

وهذا من فقههم ومعرفتهم بحال المدعو وحبه وانشغاله بالراحة والمتعة وحتى لا يتسببوا في حرمانه من التوبة بالزامه بغير حكم الشرع فقد أرشدهو إلى التصرف بماله في أمور الآخرة ولكن لا ينسى المتعة بالحلال في الحياة الدنيا فان ذلك من خصائص المؤمن وحثوه على الإحسان والابتعاد عن الفساد في الأرض لأنهما من منغصات المتعة وكمال الرفاهية .

وفي قوله تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَبَاقِ﴾ آل عمران: ١٤. بيان أن الإنسان مجبول على حب أمور الدنيا من حيث الفطرة، ولذلك فإن المنهج الإسلامي راعى هذه الأمور وكان

(١) - انظر: محاسن التأويل (٧ / ٥٣٧).

متسما بالتوازن بين العمل لمقتضيات الحياة في الأرض، وبين العمل في تهذيب النفس، والاتصال بالله تعالى وابتغاء رضوانه، ﴿ذَلِكَ مَتَعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَتَابِ﴾.

٢- بيان أن الله تعالى سخر لنا أشياء كثيرة من أجل العمل والكسب والاستفادة من هذا التسخير في تعمير الأرض وبنائها، كما قال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمْ الْفَلَكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمْ الْأَنْهَارَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمْ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمْ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَءَاتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنْ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾﴾ إبراهيم: ٣٢ - ٣٤.

٤. الإشادة بالمؤمنين حيث إنهم متعففون لا يسألون الناس شيئا، كما قال تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِحْقَاقًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾﴾ البقرة: ٢٧٣. وهذه العفة مع الحاجة الماسة، ولكن هذه الحاجة إنما حصلت لأنهم انشغلوا بالجهد عن العمل والسعي والكسب، وهذا ينم عن أن الضرب والسعي أمر لا بد منه ولا عذر للمسألة من أحد.

المطلب الثاني: المظاهر الخاصة لاهتمام القران بالحرف والمهن

وفيه ثلاثة فروع

الفرع الأول: مسميات المهن والأعمال

الفرع الثاني: أمثلة من الممارسات المهنية

الفرع الثالث: من أصول الكفايات المهنية

الفرع الأول : مسميات المهن والأعمال

الناظر في القرآن الكريم يرى أنه قد ذكر أسماء مهن كثيرة صراحة أو بالمعنى، وهذا فيه إشارة كبيرة إلى أهمية هذه المهن والحرف؛ إذ لا يذكر القرآن إلا شيئاً مهماً، فليس القرآن كلاماً عاماً أو فلسفة عابرة مثلاً، ومن الحرف والمهن والألفاظ المتعلقة بها في هذا الباب من حيث اللفظ المباشر أو مشتقاته، ما يظهر من الجدول التالي الذي يبين اللفظ المذكور وعدد مرات الذكر وهو مثال ناخذ منه مؤشرات وعبر:

• بعض مسميات المهن والأعمال:

المهنة	عدد مرات الذكر
الزراعة	(١٠) مرات
الحرث	(١١) مرات
الصناعة	(٨) مرات
التجارة	(٧) مرات
البيع	(٩) مرات
الشراء	(١٠) مرات
الرعي	(٢) مرتان
حصاد	(٢) مرتان
الحكم	(٤٥) مرة تقريبا

وبهذا يكون مجموع الآيات القرآنية التي ذكرت الحرف والمهن صراحة (١٠٤)

وبما يساوي ١,٦% من مجموع آيات القرآن الكريم

ذكر القرآن لبعض السلع والخدمات

اللفظ	عدد مرات الذكر
المال	(٨٤) مرة
الرزق	(١٠٥) مرات
الأكل	(٦٦) مرة
الشرب	(١٨) مرة
طعام	(٢٦) مرة
الانعام	(٣٠) مرة
السكن	(١٨) مرة
البيوت	(٣٢) مرة
الذهب	(٧) مرات
الفضة	(٧) مرات
الدينار	مرة واحدة
الدرهم	مرة واحدة.

المجموع (٣٩٥) تقريبا مع عدم الاحصاء لجميع الخدمات والسلع ، وبما يساوي ٦,٢% من مجموع آيات القرآن الكريم

يتضح مما سبق أن هناك اهتماما كبيرا بالمهن والحرف التي لها ملامسة لحياة الناس ومعاشهم، فبالإضافة إلى ذكر القرآن للعمل والكسب بصورة عامة إلا أنه لم يكتف بذلك بل زاد عليه ذكر الأعمال بعينها والحرف بعينها والسلع والخدمات ليبين مدى أهميتها، وكذلك تفاوتت الأهمية من عمل إلى آخر ومن مهنة إلى أخرى، والتقصي في هذا يبين لنا ما هي الحرف والأعمال الأكثر ذكرا من غيرها، إما بصورة مباشرة أو ضمنية، ودلالات ذلك على المجتمعات والأزمنة والأشخاص

بحسب السياقات الزمانية والمكانية، وما هي المهن التي يمكن تقديمها على غيرها، ومدى أهميتها عن غيرها، إلى غير ذلك من الأمور التي يمكن استنباطها.

ونذكر هنا مجموعة من الآيات للدلالة على هذا الاهتمام بقصد التمثيل لا الحصر، مع التنبيه إلى أن هناك صوراً عديدة للتعاملات أشارت إليها الآيات تحتاج إلى تفصيل وتحليل لاستخراج نظريات متكاملة في كل جانب من جوانب المهن والتعاملات، وقصدنا هنا هو التمثيل فقط. ومن الآيات في هذا الباب:

قوله تعالى في الزراعة: ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكْلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿١٤١﴾ الأنعام: ١٤١.

وقوله: ﴿ أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴿٢٧﴾ السجدة: ٢٧ وقوله: ﴿ كَزَّرَعِ أَخْرَجَ شَطْئَهُ فَفَازَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾ الفتح: ٢٩.

وقوله: ﴿ ءَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ﴿٦٤﴾ الواقعة: ٦٤ .
وقوله في الصناعة: ﴿ وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِنُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ ﴿٨٠﴾ الأنبياء: ٨٠ .

وقوله في التجارة: ﴿ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُوبَهَا وَأَشْهَدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارَّ ﴿٢٨٢﴾ البقرة: ٢٨٢ وكذلك: ﴿ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ

ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِّنْكُمْ وَلَا

نَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾ النساء: ٢٩

وقوله في البيع والشراء: ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾ البقرة: ٢٧٥

وقوله في المال: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَنَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ

ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ الكهف: ٤٦.

وكذلك: ﴿وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾ الفجر: ٢٠.

والآيات في كل نوع من المذكورات كثيرة إلا أن القصد هو التمثيل كما ذكرنا.

الفرع الثاني: أمثلة من الممارسات المهنية

جاءت آيات القرآن الكريم مبينة لصور عدة من الممارسات المهنية، يمكن أن نجملها تحت نوعين من الممارسات:

النوع الأول: أمثلة صالحة للممارسات المهنية.

وجاءت آيات كثيرة في القرآن تدلُّ على ممارسات طيبة للمهن والأعمال، ومن ذلك:

- ممارسات بعض الأنبياء عليهم السلام، فقد كانوا يعملون في عدد من الحرف والصناعات اليدوية، فمثلا:

- نوح - عليه السلام - كان يعمل في النجارة وصناعة السفن، كما قال تعالى: ﴿ وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾ هود: ٣٨ فالصناعة المذكورة عن نوح هي عمل السفينة وبنائها، وقد علمه الله تعالى ذلك، وكان هذا العمل مثار سخرية قومه من الكفار، وقد عبر الله بفعل المضارع " يصنع " ليدل على الجهد والعمل وأن نوحا عليه السلام كان بصدد العمل بنفسه حال مرور قومه عليه^(١).

- وداود - عليه السلام - يقول الله عنه: ﴿ وَأَلْنَا لَهُ الْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنْ أَعْمَلَ سَدِغَتٍ وَقَدَّرَ فِي السَّرْدِ وَأَعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١﴾ سبأ: ١٠، ١١ لأنه كان يعمل في صنع الدروع^(٢)، وقد قال - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : ((كان داود لا يأكل إلا من عمل يده))^(٣).

كما أن الله أعطى داود - أيضا - ملكا عظيما، قال تعالى: ﴿ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَأَيَّتْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخُطَابِ ﴿٢٠﴾ ص: ٢٠.

(١) انظر: جامع البيان (٣١٠/١٥) والتحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد» محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤ هـ (٦٧٩/١٢)

(٢) انظر: جامع البيان (٤٨٠/١٨) وغيره.

(٣) الحديث سبق تحريجه.

- وموسى - عليه السلام - عَمِلَ أَجِيرًا عِنْدَ الرَّجُلِ الصَّالِحِ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَيَّ أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَنِي حِجَابًا فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ القصص: ٢٧ ، فتزوج ابنته، وعمل عنده عشر سنين.

وكان العمل الذي قام به هو الرعي، كما أشار لذلك في قوله: ﴿ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَنْوَكُّوْا عَلَيَّهَا وَأَهْشُ بِهَا عَلَيَّ غَنَمِي وَلِي فِيهَا مَنَارِبٌ أُخْرَى ﴾ طه: ١٨.

- ويوسف عليه السلام عمل موظفًا في الحكومة المصرية، وكان وزيراً، كما قال الله سبحانه وتعالى ﴿ قَالَ أَجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴾ يوسف: ٥٥. فكان على خزائن الأرض مدة من الزمن، والعمل على خزائن الأرض يعني مسئول مالية أو وزير مالية أو مسئول خزانة، وبعد ذلك ترقى في الوظيفة حتى أصبح رئيساً للوزراء وهو ما يسمى في ذلك العصر بالعزيز، بدليل أن أخوة يوسف لما أتوا ودخلوا عليه قالوا: ﴿ يَأْتِيهَا الْعَزِيزُ مَسْنًا وَأَهْلُنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضْعَةٍ مُزَجَّجَةٍ فَاؤْفَ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ ﴾ يوسف: ٨٨ فأصبح عزيزاً، والعزيز معناه رئيس وزراء في حكومة أو في حكم ملك كافر، وليس مسلماً ولكن كان بيده الحل والعقد مما جعلهم يستعطفونه هذا الاستعطاف^(١).

- وسليمان عليه السلام طلب من الله أن يؤتية الملك فأعطاه إياه، والملك إنما هو عمل يقوم به الملك لخدمة شعبه، ﴿ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾ ص: ٣٥ فأعطاه الله إياه.

- وعيسى عليه السلام جاء بآيات بينات في المجال الطبي، وإن كانت معجزات إلا أن ممارسته لها وعلاجه للناس بها يعتبر عملاً طبياً، قال تعالى: ﴿ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلَقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ

(١) انظر: التحرير والتنوير (٤٨/١٣). وغيره.

الطَّيْرَ فَانْفُخْ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُزْبِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِ الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخُرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾ آل عمران: ٤٩.

- وعمل نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم - في رعي الغنم؛ كما ثبت في صحيح البخاري: أنه - صلى الله عليه وسلم - قال: ((ما بعث الله نبيا إلا رعى الغنم))، قالوا: وأنت يا رسول الله؟ قال: ((وأنا كنت أرها على قراريط لأهل مكة))^(١)، ومارس رسولنا - صلى الله عليه وسلم - التجارة بأموال خديجة - رضي الله عنها - مضاربة كما ثبت في السير.

فهؤلاء هم أقطاب النبوة عليهم الصلاة والسلام، عملوا واحترفوا وكسبوا، ولم يكن ذلك نقصا في حقهم ولا عيبا. وبحسبنا هنا هذه الإشارة إلى الأمر بحسب المنهج المتبع في البحث.

- وقد ذكر القرآن صورا أخرى غير صور الأنبياء لما فيها من الأعمال الناجحة، كقصة ذي القرنين وكيف أنه أقام السد، بما لديه من خبرة وعمالة ماهرة في موضوع السد وبنائه وكيفية عمله: قال تعالى: ﴿قَالُوا يَنْذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾^(٩٤) قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا^(٩٥) ءَأَتُونِي زُبُرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ ءَأَتُونِي أُفْرِغَ عَلَيْهِ قِطْرًا^(٩٦) ﴿الكهف: ٩٤ - ٩٦﴾. وفي قصة ذي القرنين هذه يتجلى الاهتمام بالحرف والكسب وكان الله قد أتى ذا القرنين من كل شيء سببا، فهو من رواد العدل والإصلاح، يعلم حرفاً وصناعات كثيرة جدا، يحكي القرآن أنه سلك طريقا بين الشرق والغرب حتى وصل إلي مكان سحيق بين جبلين مرتفعين يعيش به قوم ضعفاء يغير عليهم يأجوج ومأجوج يخربون.. فنصرهم.. ليس بالحرب ولكن بالعلم والحرفة والإتقان..

(١) الحديث رواه البخاري في صحيحه، كتاب: الإجارة، باب رعي الغنم على قراريط (٨٨ / ٢) رقم: ٢٢٦٢، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

" فالله مكن له في الأرض، أي بالقوة والرأي والتدبير والسعة في المال والاستظهار بالعدد وعظم الصيت وكبر الشهرة. (وَأَتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا) أي طريقا موصلا إليه. والسبب ما يتوصل به إلى المقصود من علم أو قدرة أو آلة" (١).

ولو نظرنا بتفحص إلى القصة سنلاحظ كم حرفة احتاجها نو القرنين جمعتها هذه الآية ..احتاج البنائين والحداديين واحتاج صانعي المعادن والحمالين وغيرهم. والآيات فيها بيان ما كان يتمتع به المهنيين من المهارة والإتقان، وتشير الآيات إلى أنه درّبهم وأهلهم، وإلا لما احتاجوا أن يسألوه ما سألوه، وربما يكون في الآية أيضا ما يدل على أن الناس لا بد لهم من قيادة تبين لهم وتخطط وتوحد جهودهم. وربما كان فيهم العمال المهرة غير أنهم لا يستطيعون هندسة تلك السدود العظيمة.

- وذكر الله رحلة قريش التجارية في الشتاء والصيف، وبين ما فيها من منافع لهم.

﴿لَا يَلْفُ قَرِيْشٍ ۙ (١) إِلَيْهِمْ رِحْلَةَ الْشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ۚ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ

ۙ (٢) الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ ۚ﴾ قريش: ١ - ٤.

- كما ذكر الله الحالة الاقتصادية التي كانت تتوفر لقريش من جراء وجود الحرم

عندهم، فقال تعالى ممثنا عليهم بما يتحصلون عليه من الرزق: ﴿وَقَالُوا إِن نَّبِيعِ

الْهُدَىٰ مَعَكَ نُنْخِطُ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَمْ نُكُنْ لَّهُمْ حَرَمًا ؕ آمِنًا يُجِبُّ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ

رِزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ القصص: ٥٧.

والصور الإيجابية في الصناعات والحرف كثيرة ولكن ما ذكرناه هو على سبيل المثال.

(١) محاسن التأويل (٧ / ٦٤) :

النوع الثاني: أمثلة سيئة من الممارسات المهنية.

وقد بين القرآن هذا النوع بصور متعددة، من النماذج السيئة من الأعمال أو أصحابها، ومن أمثلة ذلك:

- نموذج السحر والسحرة، كما هو في سورة البقرة، فذلك عمل سيء يدمر الأمة ويمكن للفساد، ولذلك قال تعالى: ﴿يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ بِبَابِ هَرُوتَ وَمَرُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ﴾ البقرة: ١٠٢.

- ومن ذلك قصة أصحاب السبت وكيف أن الله ابتلاهم بالصيد، وما وقع منهم في ذلك من الممارسات السيئة التي خالفت أمر الله، قال تعالى: ﴿وَسَأَلَهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ الأعراف: ١٦٣.

- ومن ذلك قارون وكيف أنه جسد المثل السيء في التجارة والكسب، و﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي أَوَلَمْ يَعْلَم أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْئَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾ القصص: ٧٨.

وكان الله قد أعطاه أموالا كثيرة وفتح عليه أبواب الرزق، كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّ قُرُونًا كَانَتْ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَءَانَيْنَهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾ القصص: ٧٦.

هذه بعض الأمثلة في باب الحرف والمهن من القرآن الكريم اكتفينا بها؛ لأنه ليس من غرضنا الاستقصاء، وإنما التمثيل.

الفرع الثالث : من أصول الكفايات المهنية

ذكر القرآن الكريم عددا من أصول الكفايات المهنية التي تقوم عليها المهن وهي أمور أساسية لا بد منها في كل عمل يراد له النجاح، وقد ذكرها إما صراحة أو إشارة، ونحن هنا سنتكلم عما تبين لنا منها بصورة مختصرة، كما يلي:

أولاً: الكفايات الذاتية (فطرية أو مكتسبة):

١. القوة والأمانة، وقد ذكرهما القرآن في قصة موسى عليه السلام في معرض تمكينه من عمل استأجره فيه العبد الصالح، قال تعالى: ﴿ قَالَتْ إِحَدَهُمَا يَبْتَغِيكَ يَا مَرْيَمُ اقْنُصِي لِي يَدَايَ وَمَقْبَلَتِي وَأَنْتِ رَاضِيَةٌ ﴾ القصص: ٢٦.

وهذان شرطان لا بُدَّ منهما في الأجير: قوة على العمل، وأمانة في الاداء^(١).

٢. الحفظ والعلم، وقد جاء ذكرهما في معرض قصة يوسف عند التعريف بما لديه من كفايات لتولي عمل الوزارة وإدارة البلاد. قال تعالى: ﴿ قَالَ أَجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴾ يوسف: ٥٥. " يقول حَفِيظٌ بِجَمِيعِ الْوُجُوهِ الَّتِي مِنْهَا يُمَكِّنُ تَحْصِيلَ الدَّخْلِ وَالْمَالِ، عَلِيمٌ بِالْجِهَاتِ الَّتِي تَصْلُحُ لِأَنْ يُصْرَفَ الْمَالُ إِلَيْهَا. وَيُقَالُ: حَفِيظٌ بِجَمِيعِ مَصَالِحِ النَّاسِ، عَلِيمٌ بِجِهَاتِ حَاجَاتِهِمْ، أَوْ يُقَالُ: حَفِيظٌ لَوْجُوهِ أَيْادِيكَ وَكِرْمِكَ، عَلِيمٌ بِوُجُوهِ مُقَابَلَتِهَا بِالطَّاعَةِ وَالْخُضُوعِ وَهَذَا بَابٌ وَاسِعٌ يُمْكِنُ تَكْثِيرُهُ لِمَنْ أَرَادَهُ"^(٢).

والعلم يقتضي كذلك الذكاء الذي لا بد أن يتصف به المهني وصاحب الخبرة، والحفظ والعلم يقتضي أن يكون صاحبهما ذا خبرة واسعة إذ لا مجال للتجارب والتدريب، وهاتان الكفائتان من أصول كفايات المهن والحرف.

(١) تفسير الشعراوي " الخواطر " محمد متولي الشعراوي، مطابع أخبار اليوم (١٧/٩/١٠٩٠٩)

(٢) مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤٢٠ هـ (١٨ / ٤٧٤) .

٣. الثقة بالنفس من جهة، والثقة من إدارة العمل، فأما الثقة بالنفس فنلمسها من قول يوسف عليه السلام (إني حفيظ عليم) وأما الثقة من الإدارة فمن قول الملك (إنك اليوم لدينا مكين أمين).

٤. محبة العمل؛ لأن ذلك يؤدي إلى إتقانه والإخلاص فيه، كما جاء في قصة موسى عليه السلام، ﴿ قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلِينَ قَضَيْتَ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴾ القصص: ٢٨.

ومما يؤدي إلى محبة العمل أن يختاره صاحبه عن قناعة ورضا، ولا يكون صاحب العمل متعسفا.

ثانياً: الكفايات المساعدة (خارجية)

وهذه الكفايات ضرورية لإنجاز أي مهمة أو عمل؛ لأن المراد منها تحسين العمل وتطويره، ومن هذه الكفايات ما يلي:

١. التعاون من أرباب الأعمال مع العاملين، بأن يحرص على نجاح العامل في عمله، إذ ليس المقصود التعجيز ولكن الأمر يحتاج روحاً تعاونية وأخوية، كما قال تعالى: ﴿ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ بِكَ وَإِنِّي أَخَافُ أَنْ يُتَّخَذَ بِنِيكَ عُذْرًا فَذَكَرْنَا إِلَيْهِ عِزَّتَنَا وَإِذْ لَبِيتُكَ لِيُلَاقِيَنَا فِي الْوَادِعِ الْكَبِيرِ ﴾ القصص: ٢٧ ، وفي ذلك دلالة على أن هناك سقفاً زمنياً لقدرة الإنسان على الاستمرار في العطاء في مهنة ووظيفة واحدة وفي مكان واحد وهذا الفترة هي بين (٨ - ١٠) سنوات وفي قوله ﴿ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ ، وقوله ﴿ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَمْلِكَ عَلَيْكَ ﴾ دلالة على عدم الاستغلال من قبل المستفيد من خدمات المهني .

٢. التعاون من العامل مع العاملين جميعاً، وعدم الاكتفاء بالنفس، لأن التعاون يوفر الجهد والوقت، ونلمح ذلك من قصة ذي القرنين حيث إنه استعان بكل الطاقات الموجودة والمتاحة، وهذا ما نلمحه من خطابه الجماعي عندما يقول:

- (فأعينوني بقوة ... آتوني.. أنفخوا..). وهذا أيضا يتطلب العدد الكافي ليتم العمل على أكمل وجه، كما يتطلب اختيار الكفاءات وتدريبها.
٣. الخطة الواضحة وشرحها لجميع العاملين، وهذا واضح في قصة يوسف عليه السلام وفي قصة ذي القرنين كذلك.
٤. الاستفادة من خبرات أهل الخبرة والتجربة اختصارا للوقت والجهد، والله تعالى يقول: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِيَ إِلَيْهِمْ فَسَأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْمُونَ ﴿٤٣﴾ النحل: ٤٣، وفي الأنبياء: ٧، من غير لفظة "من" ، " وأهل الذكر هم أهل العلم مطلقا" ^(١) في كل اختصاص.
٥. توفير آليات العمل وأوليائه، بما يناسب كل مهنة، كما يظهر من قوله تعالى: ﴿ ءَاتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ ءَاتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾ الكهف: ٩٦ حيث إن ذلك من أوليات عمل السد، وفي قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُونَ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ يوسف: ٥٦. فالتمكين له من أهم آليات العمل، حتى يكون صاحب قرار نافذ. ويشهد لهذا قوله تعالى: ﴿ وَكَفَدَ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعِيشَةً قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ ﴿١٠﴾ الأعراف: ١٠. ومعنى الآية: "جعلنا لكم فيها مكانا وقرارا، أو ملكناكم فيها وأقدرناكم على التصرف فيها وجعلنا لكم فيها معيشة جمع معيشة، وهي ما يعاش به من المطاعم والمشارب وغيرها. أو ما يتوصل به إلى ذلك من المتاجر والمزارع والصناعات ^(٢).
- وهذه نماذج من اهتمام القرآن بأمر الحرف والمهن، وليس الغرض بسط الموضوع واستقصائه لأن ذلك مما يطول بحثه.

(١) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، د وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر المعاصر، دمشق،

الطبعة الثانية، ١٤١٨ هـ (١٤٨/١٤).

(٢) محاسن التأويل (١١/٥)

المبحث الثاني

موقف السنة والسيرة من الحرف والمِهَن والصناعات

وفيه مطلبان

المطلب الأول: اهتمام السنة بالحرف والصناعات عامةً ودلالات ذلك

المطلب الثاني: صور من الحرف والصناعات في وقت النبي صلى الله عليه

وسلم

المطلب الأول: اهتمام السنة بالحرف والصناعات عامة ودلالات ذلك

السنة النبوية هي المصدر الثاني من مصادر التشريع وهي المفسرة للقرآن والمبينة لما أجمل منه والموضحة لما أبهم فيه، وقد سلكت نفس مسلك القرآن الكريم من حيث الاهتمام بالحرف والمهن والصناعات، بل كانت أكثر وضوحاً في ذلك؛ لما لها من خاصية البيان، ووجوه تنوعه وتبسطه.

وقد جاءت نصوص السنة مليئة بمظاهر الاهتمام بالحرف والصناعات بصورة عامة من حيث الدعوة إلى ممارستها أو بيان فضلها والعاملين فيها إلى غير ذلك مما سنبيته في هذا المطلب، من خلال النقاط التالية:

١- الدعوة إلى العمل والكسب قولاً وفعلاً:

حَثَّ النَّبِيُّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عَلَى الْعَمَلِ وَكَانَ خَيْرَ مَنْ عَمَلَ بِيَدِهِ، كَمَا قَالَتْ عَائِشَةُ - رَضِيَ اللهُ عَنْهَا -: ((كَانَ رَسُولُ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَخْصِفُ نَعْلَهُ، وَيَخِيطُ ثَوْبَهُ، وَيَعْمَلُ فِي بَيْتِهِ كَمَا يَعْمَلُ أَحَدُكُمْ فِي بَيْتِهِ))^(١)، كما كان يعمل الأعمال العامة، ويساعد الصحابة في بعض الأعمال، وكان لا يميز نفسه بعمل أو بعدم العمل.

وقد قدّم - صلى الله عليه وسلم - الأسوة والقدوة في الاهتمام بالحرف وتنميتها

(١) الحديث رواه ابن حبان في صحيحه، انظر: الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، لمحمد بن حبان البستي، ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م، (٣٥٢/١٤) رقم: ٦٤٤١. باب: ذَكَرَ النَّبِيُّ بِأَنَّ الْمُصْطَفَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَكُونُ فِي مَهْنَةِ أَهْلِهِ، عِنْدَ دُخُولِهِ بَيْتَهُ، وَقَالَ شُعَيْبُ الْأَرْنَؤُوطُ: حَدِيثٌ صَحِيحٌ.

بنفسه، فقد ذكر ابن القيم: "إِنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - باع واشترى، وشراؤه أكثر، وآجَرَ واستأجر، وإيجارُه أكثر، وضارب وشارك وتوكَّل، وتوكُّله أكثر، وأهدى وأهدى إليه، ووهب واستوهب، واستدان واستعار، وضمن عامًّا وخاصًّا.."^(١). ولا ينبغي لأحدٍ الاستهانةُ بالعمل أو العمَّال، فهؤلاء يكسبون رِزْقَهُم من عمل أيديهم، وذلك أفضل، وقد سُئل رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عن أطيِّب الكسب؟ فقال: ((عَمَلُ الرَّجُلِ بِيَدِهِ، وَكُلُّ بَيْعٍ مَبْرُورٍ))^(٢).

ويعتبر العمل في السنة هو العنصر الفعال في كل طرق الكسب، وهو يمثل النشاط الدائب والحركة المستمرة في سبيل رفع مستوى المعيشة، ونظراً لأهمية العمل، ودوره في عملية الإنتاج وتسيير دفة الحياة؛ فقد أولاه الإسلام عناية فائقة، وحفز الناس إليه، وأثنى على الماهرين وندب إلى اختيار المتقنين، وحذر القادرين على ألا يركنوا إلى الكسل والبطالة، والأحاديث في الحث على كسب اليد كثيرة ومتعددة، ومنها:

قوله صلى الله عليه وسلم: ((ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده وإن نبي الله داود - عليه السلام - كان يأكل من عمل يده))^(٣).
و"الخَيْرِيَّةُ فِي هَذَا الطَّعَامِ لِأَنَّ فِيهِ إِيْصَالُ النَّفْعِ إِلَى الكَاسِبِ وَإِلَى غَيْرِهِ، وَالسَّلَامَةُ عَنِ البَطَالَةِ الْمُؤَدِّيَةِ إِلَى الفُضُولِ وَكَسْرِ النَّفْسِ وَالتَّعَفُّفِ عَنِ ذَلِ السُّؤَالِ"^(٤).

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، مؤسسة الرسالة، بيروت، مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، الطبعة: السابعة والعشرون، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م (١/١٥٤).

(٢) الحديث صححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، انظر: صحيح الترغيب والترهيب لمحمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة: الخامسة (١٤١/٢) رقم: ١٦٨٩.

(٣) الحديث سبق تخريجه.

(٤) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، لأبي محمد محمود بن أحمد بن موسى بدر الدين العيني، دار إحياء التراث العربي، بيروت (١١ / ١٨٧). وقد ذكر في الموضوع عدد من الروايات تشهد بأهمية العمل باليد، منها: "ما أكل رجل طعاماً قط أحل من عمل يديه" ومن حديث عائشة: (إن أطيِّب ما أكل الرجل من كسبه). انظر: عمدة القاري (١١/١٨٧).

وفي رواية ((ما كسب الرجل كسباً أطيب من عمل يديه))^(١).

ومن ذلك حديث: ((إن أطيب ما أكلتم من كسبكم...))^(٢).

وقال - صلى الله عليه وسلم-: ((ما كسب الرجل كسباً أطيب من عمل يده،

وما أنفق الرجل على نفسه وأهله وولده وخادمه فهو صدقة))^(٣).

والأحاديث في هذا كثيرة.

٢- تشديد الإسلام في المسألة وتقييدها

فقد شدد فيها وأغلظ على من امتنها؛ قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -:

((من سأل من غير فقر فكأنما يأكل الجمر))^(٤).

وجاء النهي عن المسألة مقترناً بالتحريض على العمل والترغيب فيه، ففي

(١) الحديث صححه الألباني، انظر: صحيح الترغيب والترهيب (١٤٠/٢) رقم: ١٦٨٥.

(٢) هذا جزء من حديث رواه الترمذي في سننه، باب ما جاء أن الوالد يأخذ من مال ولده (٦٣١/٣) رقم: ١٣٥٨ جزء من حديث صححه الألباني، وحسنه الترمذي وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي.

(٣) الحديث رواه ابن ماجة في سننه. انظر: السنن، لأبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني ابن ماجة، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي، كتاب التجارات، باب الحث على المكاسب (٧٢٣/٢) رقم: ٢١٣٨. وقال الكناني: " في مصباح الزجاجة: " هذا إسناد حسن " انظر: مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن أبي بكر البوصيري الكناني، تحقيق: محمد المننقى الكشناوي، دار العربية - بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٣ هـ، (٥/٣) رقم: ٧٥٩. وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١٤٠/٢) رقم: ١٦٨٥..

(٤) الحديث قال الألباني: رواه الطبراني في الكبير ورجاله رجال الصحيح ، وابن خزيمة في صحيحه ، والبيهقي، ولفظه "سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: الذي يسأل من غير حاجة كمثل الذي يلتقط الجمر". ورواه الترمذي من رواية مجالد عن عامر عن حبشي أطول من هذا، ولفظه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع وهو واقف بعرفة أتاه أعرابي فأخذ بطرف رداءه فسأله إياه فأعطاه وذهب فعند ذلك حرمت المسألة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إن المسألة لا تحل لغني ولا لذي مرة سوي إلا لذي فقر مدقع أو غرم مفضع ومن سأل الناس ليثري به ماله كان خموشاً في وجهه يوم القيامة ورضفاً يأكله من جهنم فمن شاء فليقلل ومن شاء فليكثر". انظر: صحيح الترغيب والترهيب، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة: الخامسة (١٩٦/١) رقم: ٨٠٢. من حديث حبشي بن جنادة رضي الله عنه.

الحديث: عن النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال: ((لَأَنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ حَبْلَهُ، فَيَأْتِيَ بِحُزْمَةِ الْحَطَبِ عَلَى ظَهْرِهِ فَيَبِيعَهَا فَيَكْفُ اللهُ بِهَا وَجْهَهُ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ النَّاسَ، أَعْطَوْهُ أَوْ مَنَعُوهُ))^(١). " في الحديث: الحُضُّ عَلَى التَّعْفُفِ عَنِ الْمَسْأَلَةِ وَالتَّنَزُّهِ عَنْهَا وَلَوْ امْتَنَهَنَ الْمَرْءُ نَفْسَهُ فِي طَلْبِ الرِّزْقِ وَارْتَكَبَ الْمُشَقَّةَ فِي ذَلِكَ، وَلَوْلَا قُبْحُ الْمَسْأَلَةِ فِي نَظَرِ الشَّرْعِ لَمْ يُفْضَلْ ذَلِكَ عَلَيْهَا، وَذَلِكَ لَمَا يَدْخُلُ عَلَى السَّائِلِ مِنْ ذَلِّ السُّؤَالِ وَمِنْ ذَلِّ الرَّدِّ إِذَا لَمْ يُعْطَ، وَلَمَا يَدْخُلُ عَلَى الْمَسْئُولِ مِنَ الضِّيقِ فِي مَالِهِ إِنْ أُعْطِيَ كُلِّ سَائِلٍ"^(٢).

ولا شك أن المهنة والعمل والتكسب مما يزيد الدخل ويصون النفس عن سؤال الناس، فقد روي أن رجلاً من الأنصار رأى النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فسأله، فسأله النبي فقال: (أما في بيتك شيء؟) قال: بلى، جِئْتُ نَلْبِسُ بَعْضَهُ وَنَبْسُطُ بَعْضَهُ، وَقَعْبُ نَشْرَبُ فِيهِ مِنَ الْمَاءِ، قَالَ: (ائْتِنِي بِهِمَا) قَالَ فَأَتَاهُ بِهِمَا، فَأَخَذَهُمَا رَسُولُ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بِيَدِهِ وَقَالَ: (مَنْ يَشْتَرِي هَذَيْنِ؟) قَالَ رَجُلٌ: أَنَا أَخَذَهُمَا بِدَرَاهِمٍ، قَالَ: (مَنْ يَزِيدُ عَلَيَّ دَرَاهِمًا؟) - مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا - قَالَ رَجُلٌ: أَنَا أَخَذَهُمَا بِدَرَاهِمِينَ، فَأَعْطَاهُمَا إِيَّاهُ، وَأَخَذَ الدَّرَاهِمِينَ وَأَعْطَاهُمَا الْأَنْصَارِيَّ، وَقَالَ: (اشْتَرِ بِأَحَدِهِمَا طَعَامًا فَانْبِذْهُ إِلَى أَهْلِكَ وَاشْتَرِ بِالْآخِرِ قَدُومًا فَأَتِنِي بِهِ) فَأَتَاهُ بِهِ، فَشَدَّ فِيهِ رَسُولُ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عِوْدًا بِيَدِهِ ثُمَّ قَالَ لَهُ: (إِذْهَبْ فَاحْتَطِبْ وَبِعْ وَلَا أُرِينَاكَ خَمْسَةَ عَشْرَ يَوْمًا) فَذَهَبَ الرَّجُلُ يَحْتَطِبُ وَيَبِيعُ، فَجَاءَ وَقَدْ أَصَابَ عَشْرَةَ دَرَاهِمٍ، فَاشْتَرَى بِبَعْضِهَا ثُوبًا وَبِبَعْضِهَا طَعَامًا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: ((هَذَا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ تَجِيءَ الْمَسْأَلَةَ نَكْتَةً فِي وَجْهِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، إِنْ الْمَسْأَلَةَ لَا تَصْلِحُ إِلَّا

(١) الحديث رواه البخاري في صحيحه ، كتاب: الزكاة. باب الاستعفاف عن المسألة (١٢٢/٢) رقم: ١٤٦٨. من

حديث الزبير بن العوام رضي الله عنه.

(٢) فتح الباري لابن حجر ٣/٣٣٦.

لثلاثة: لذي فقر مدقع، أو لذي غرم مفضع، أو لذي دم موجه))^(١). وفي الحديث: "تحريم المسألة لمن قدر على الكسب، وفيه أن مُفْتَدَى القوم يرشد قومه إلى طريق فيه نجاتهم، ويوضح لهم كيفية الأعمال في كل شيء"^(٢).

٣- ولقد حَظِيَتْ الحِرْفُ وَأصحابها بعناية الرسول - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فقد فَصَّلَ في فضائلها، والتقى بأربابها، فدَعَا لهم وأرشدهم، وكان يتكلم مع كلِّ صاحب حِرْفَةٍ بما يتعلَّق بحرفته، ويقول له ما يزيده بها اغتباطًا، وبآدابها وأحكامها ارتباطًا.

وكان - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يرفع من شأن الحرفيين، فيجيب دَعْوَتَهُمْ، ففي الحديث: ((إِنَّ خِيَّاطًا دَعَا رَسُولَ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لَطَعَامٍ صَنَعَهُ، قَالَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ: فَذَهَبْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إِلَى ذَلِكَ الطَعَامِ، فَفَرَّبَ إِلَيْهِ خَبْرًا مِنْ شَعِيرٍ وَمَرَقًا فِيهِ دُبَّاءٌ، قَالَ أَنَسُ: فَرَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَتَّبَعُ الدُّبَّاءَ مِنْ حَوْلِ القِصْعَةِ، فَلَمْ أزلُ أَحِبُّ الدُّبَّاءَ بَعْدَ ذَلِكَ اليَوْمِ))^(٣). قال النووي:^(٤) "فيه فوائد؛ منها:

(١) الحديث رواه أبو داود في سننه، سنن أبي داود/ كتاب الزكاة/ باب ما تجوز فيه المسألة/ حديث ١٣٩٨. قال شعيب الأرنؤوط: "حسن لغيره". وقال في مجمع الزوائد: رَوَاهُ أَحْمَدُ، وَقَدْ حَسَّنَ التِّرْمِذِيُّ سَنَدَهُ. انظر: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، تحقيق: حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة، ١٤١٤ هـ، ١٩٩٤ م (٨٤/٤) رقم: ٦٣٨٠.

(٢) شرح سنن أبي داود، أبو محمد محمود بن أحمد بدر الدين العيني، تحقيق: أبو المنذر خالد بن إبراهيم المصري، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م، (٣٨٩/٦).

(٣) الحديث صحيح. انظر: صحيح البخاري، كتاب: البيوع، باب: ذكر الخياط (٦١/٣) رقم: ٢٠٩٢.

(٤) هو: محي الدين يحيى بن شرف بن مري بن حسن بن حسين النووي، أبو زكريا، من فقهاء الشافعية، ومن كبار المحدثين، أحد الاعلام؛ ولد في العشر الأوسط من المحرم سنة إحدى وثلاثين وستمائة بنوى وتوفي رابع عشرين شهر رجب سنة ست وسبعين وستمائة، رحمه الله تعالى. ومن مصنفاته: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج و الأذكار " و " رياض الصالحين " و " الأربعين حديثا " و " الإرشاد في علوم الحديث، وغيرها. انظر: فوات الوفيات، محمد بن شاكر بن أحمد بن عبد الرحمن بن شاكر بن هارون بن شاكر الملقب بصلاح الدين (المتوفى: ٧٦٤هـ)، تحقق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، الطبعة: الأولى ١٩٧٣ م (٤/٢٦٦).

إباحة كسب الخيَّاط" (١)،

وقال ابن حجر (٢): "وفي الحديث جواز أكل الشريف طعام من دونه من محترف وغيره وإجابة دعوته" (٣)، وقال العيني (٤): "وفيه جواز أكل الشريف طعام الخيَّاط والصائغ، وإجابته إلى دعوته" (٥)، وعن ابن مسعود - رضي الله عنه - قال: جاء رجلٌ من الأنصار يُكنى أبا شعيب (٦)، فقال لغلامٍ له قصاب - أي لحام - : اجعل لي طعامًا يكفي خمسة، فإني أريد أن أدعو النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - خامس خمسة، فإني قد عرفت في وجهه الجوع، فدعاهم، فجاء معهم رجل، فقال النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : ((إِنَّ هَذَا قَدْ تَبَعْنَا، فَإِنْ شِئْتَ أَنْ تَأْذِنَ لَهُ فَأَذِنْ لَهُ، وَإِنْ شِئْتَ أَنْ يَرْجِعَ رَجَعْ، فَقَالَ: لَا بَلْ قَدْ أَذِنْتَ لَهُ)) (٧). قال النووي: " غلام لحام: أي

(١) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، دار إحياء التراث العربي، بيروت الطبعة: الثانية، ١٣٩٢ هـ، (٢٢٤/١٣)

(٢) هو: أحمد بن علي بن محمد الكناني العسقلاني، أبو الفضل، شهاب الدين، ابن حجر: من أئمة العلم والتاريخ. أصله من عسقلان (فلسطين) ومولده سنة ٧٧٣ هـ، ووفاته ٨٥٢ هـ بالقاهرة. له تصانيف كثيرة، منها: فتح الباري شرح صحيح البخاري، والدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ولسان الميزان، وغيرها.. انظر: الأعلام (١/ ١٧٨).

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩ هـ، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، (٥٢٩/٩).

(٤) هو: محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد، أبو محمد، بدر الدين العيني الحنفي: مؤرخ، علامة، من كبار المحدثين. أصله من حلب ومولده في عينتاب (واليها نسبته) سنة: ٧٦٢ هـ، أقام مدة في حلب ومصر ودمشق والقدس. وولي في القاهرة الحسبة وقضاء الحنفية ونظر السجون، توفي بالقاهرة سنة ٨٥٥ هـ، من كتبه (عمدة القاري في شرح البخاري)، و (مغاني الأخيار في رجال معاني الآثار) في مصطلح الحديث ورجاله، و (العلم الهيب في شرح الكلم الطيب)، وغيرها. انظر: الأعلام (٧/ ١٦٣)

(٥) عمدة القاري (١١/ ٢١١)

(٦) هو: صحابي يكنى أبو شعيب الأنصاري، روى عنه: أبو مسعود، وجابر بن عبد الله، عرف بكنيته، انظر: كتاب الكنى لمن لا يعرف له اسم من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، أبو الفتح محمد بن الحسين بن أحمد بن عبد الله بن بريدة الموصلي الأزدي (المتوفى: ٣٧٤ هـ) تحقيق: أبي عبد الرحمن إقبال أحمد بن محمد إسحاق بسكويري، الدار السلفية / بومباي - الهند، الطبعة: الأولى ١٤١٠ هـ - ١٩٨٩ م.

(٧) الحديث رواه مسلم في صحيحه، كتاب الأطعمة، باب: ما يفعل الضيف إذا تبعه غير من دعاه صاحب الطعام (٣/ ١٦٠٨) رقم: ٢٠٣٦.

يَبِيعُ اللَّحْمَ، وفيه دليلٌ على جوازِ الجِزارةِ، وَجِلَّ كَسْبُهَا" (١).

والأحاديث كثيرة في هذا الباب.

وقد كان - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يشيد بالمبدعين من أصحاب الصنائع، ويؤكد لهم بالأعمال؛ فعن قيس بن طلق عن أبيه (٢) قال: بنيتُ مع رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مسجدَ المدينة فكان يقول: ((قَدِّمُوا اليماميَّ من الطَّيْنِ؛ فَإِنَّهُ من أَحْسَنِكُمْ له مَسًّا)) (٣). فكان اليمامي هذا يخلط التراب لأنه أحسن الصحابة عملاً لذلك.

٤- استعمال النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - اسم بعض الحرف للتشبيه في وصف الرجل الصالح بالحرفة ذات الأثر الطيب، والرجل الطالح بالحرفة ذات الأثر غير المرغوب، وهذا ليس فيه انتقاص من حرفة ولكن يستفاد منه أنها تحتاج إلى تعامل خاص، من حذر ونظافة ومراعاة للآخرين.

ومثاله قوله النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: ((مثل الجليس الصالح والسوء كحامل المسك ونافخ الكير...)) (٤).

(١) المنهاج شرح صحيح مسلم (٣١٠/١٣).

(٢) هو: قيس بن طلق أوردته عبدان، وجعفر، وغيرهما في الصحابة.. وقال العجلي يمامي تابعي ثقة وأبوه صحابي وذكره بن حبان في الثقات قلت ذكره أبو موسى في الذيل وقال أوردته جعفر وغيره في الصحابة. انظر: تهذيب التهذيب، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند، الطبعة الأولى، ١٣٢٦ هـ (٣٩٩/٨). وأبوه هو: طلق بن علي بن طلق بن عمرو، وقيل: طلق بن قيس بن عمرو بن عبد الله بن عمرو بن عبد العزيز بن سحيم بن مرة بن الدؤل بن حنيفة، الربيعي الحنفي السحيمي، وهو والد قيس بن طلق وكنيته أبو علي، وكان من الوفد الذين قدموا على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من اليمامة فأسلموا. أسد الغابة في معرفة الصحابة، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض - عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م، (٤١٠/٤) و(٤٧٢/٢).

(٣) الحديث إسناده قوي، وأخرجه الطبراني في "الكبير" "٨٢٤٢" عن معاذ بن المثني، عن مسدد؛ بهذا الإسناد. وذكره الهيثمي في "مجمع الزوائد" (٩/٢) وقال: "رواه أحمد، والطبراني في الكبير ورجاله موثقون. انظر: الإحسان بتقريب صحيح ابن حبان (٤٠٤/٢) رقم: ١١٢٢.

(٤) الحديث رواه البخاري في صحيحه، كتاب: البيوع، باب: العطار وبيع المسك، (٦٣/٣) رقم: ٢١٠١.

٥- الحرص على أن تؤدي الأعمال الحرفية بدقة متناهية، وأن تخدم المجتمع بصورة صحيحة، ومن ذلك الدقة في ضبط الموازين والمواصفات للحرف والخدمات، ومن ذلك أمره بالرجحان في الميزان^(١)، ومن ذلك نهيه عن الغش^(٢) والاحتكار^(٣).

٥- اهتمامه - صلى الله عليه وسلم- بتطبيق المعايير الشرعية في تبادل المنافع والخدمات.

ومن ذلك ما جاء في الصرف عنه أنه قال: ((إن كان يداً بيد فلا بأس، وإن كان نسيئاً فلا يصلح))^(٤).

وعن عبد الله بن عمر بن الخطاب ، قال: " قد رأيت الناس في عهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم- إذا ابتاعوا الطعام جزافاً يضربون أن يبيعه في مكانهم ذلك حتى يؤووه إلى رحالهم"^(٥). أي يمتنعون عن بيع الطعام إذا اشتروه غير مقدر حتى يقبضوه^(٦)، وهذا في معنى ما جاء عن أبي هريرة أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: ((من اشترى طعاماً فلا يبيعه حتى يكتاله))^(٧).

٦- اغتباط النبي - صلى الله عليه وسلم- برؤية بعض المحترفين من الشباب،

(١) كما في حديث سويد بن قيس، قال: جلبت أنا ومخرمة العبدية بزاً من هجر، فجاءنا النبي صلى الله عليه وسلم فسأومنا بسراويل، وعندي وزان يزن بالأجرة، فقال النبي صلى الله عليه وسلم للوزان: «زن وأرجح». والحديث صحيح. انظر: سنن الترمذي، كتاب: البيوع، باب ما جاء في الرجحان في الوزن، (٥٩٠/٣) رقم: ١٣٠٥. وغيره.

(٢) كما في الحديث الصحيح في مسلم (من غش فليس مني) انظر: صحيح مسلم، كتاب: الإيمان، باب: من غش فليس مني» (٩٩/١) رقم: ١٠٢. وغيره.

(٣) كما في الحديث الصحيح: «لا يحتكر إلا خاطئ» انظر: صحيح مسلم، كتاب: البيوع، باب: تحريم الاحتكار، (١٢٢٨/٣) رقم: ١٦٠٥.

(٤) الحديث رواه البخاري في صحيحه، كتاب: البيوع، باب: التجارة في البر (٥٥/٣) رقم: ٢٠٦٠. وهو في صحيح مسلم ايضاً.

(٥) صحيح البخاري، كتاب: البيوع، باب: من رأى: إذا اشترى طعاماً جزافاً، أن لا يبيعه حتى يؤويه إلى رحله (٣، ٦٨) رقم: ٢١٣٧.

(٦) انظر: عمدة القاري (٢٥٠/١١).

(٧) الحديث رواه مسلم في صحيحه، كتاب: البيوع، باب: بطلان المبيع قبل قبضه (١١٦٢/٣) رقم: ١٥٢٨.

وتشجيعه لتوجهات هذا النمط من النشاط.

فقد ترجم ابن حجر في الإصابة لعبد الله بن جعفر^(١) " أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مرّ بعبد الله بن جعفر وهو يبيع مع الصبيان فقال: ((اللهم بارك له في بيعه أو صفقته))^(٢).

٧- التعامل بلطف مع بعض الأخطاء التي تصدر عن أصحاب الحرف ومعالجة ذلك بالحكمة، فعن ابن عباس، رضي الله عنهما، في قوله تعالى: ((والذين إذا فعلوا فاحشة)) قال: يريد نبهان التمار^(٣)، أخته امرأة حسناء جميلة، تبتاع منه تمرا، فضرب على عجزها، فقالت: والله ما حفظت غيبة أخيك، ولا نلت حاجتك، فأسقط في يده، فذهب إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: ((إياك أن تخون امرأة غاز))، فذهب بيكي، فقام ثلاثة أيام: النهار صائما، والليل قائما حزينا، فلما كان يوم الرابع أنزل الله تعالى فيه: (والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم) الآية، فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأخبره بما نزل فيه، فحمد الله وشكره، وقال: يا رسول الله، هذه توبتي، قبلها الله مني، فكيف لي حتى يقبل شكري؟ فأنزل الله تعالى: ((وأقم

(١) هو: عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ أَبُو جَعْفَرِ الْهَاشِمِيِّ، أُمُّهُ: أَسْمَاءُ بِنْتُ عُمَيْسِ بْنِ النُّعْمَانَ بْنِ كَعْبِ بْنِ مَالِكِ بْنِ فُحَّافَةَ بْنِ خَنْعَمٍ، مَوْلِدُهُ بِأَرْضِ الْحَبَشَةِ، يُكْنَى: أَبَا جَعْفَرٍ بَايَعَهُ هُوَ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ ابْنُ سَبْعِ سِنِينَ، مُخْتَلَفٌ فِي وَقَاتِهِ، تُؤَقَّى بِالْمَدِينَةِ سَنَةً ثَمَانِينَ. انظر: معرفة الصحابة، لأبي نعيم (١٦٠٥/٣).

(٢) الإصابة في تمييز الصحابة ٤١/٤.

(٣) هو: نبهان التمار أبو مقبل، هو صحابي، نزلت فيه الآية المذكورة أعلاه. انظر: الإصابة في تمييز الصحابة، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٥ هـ (٣٢٩/٦).

الصلاة طرفي النهار))^(١).

٨- السماع لشكوى أصحاب الحرف وحمائهم وإنصافهم.

جاء في الإصابة عن سيمويه^(٢) وفي رواية سيماء قال: رأيت النبي - صلى الله عليه وسلم -، وسمعت من فيه إلى أذني، وحملت القمح من البلقاء إلى المدينة، فبعنا وأردنا أن نشترى التمر فمنعونا، فأتينا النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال: ((أما يكفيكم رخص هذا الطعام بغلاء هذا التمر الذي تحمّلونهم ذروهم يحملون)) وكان سيمويه نصرانيا شماسا^(٣) فأسلم وحسن إسلامه وعاش مائة وعشرين سنة^(٤).

٩- حث النبي - صلى الله عليه وسلم - من لا عمل لهم على تعلم حرفة تحميهم من الفقر، ولو كان العمل صعباً، ثم تابعهم في ذلك. فقد مر معنا قصة الرجل الذي أمره رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن يحتطب، وقال له: ((اذهب فاحتطب وبع ولا أرينك خمسة عشر يوماً))^(٥).

(١) معرفة الصحابة، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني، تحقيق: عادل بن يوسف العزازي، دار الوطن للنشر، الرياض، الطبعة: الأولى ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م (٨/١٩). وأورد السيوطي القصة في لباب النقول، فقال: روى الشيخان عن ابن مسعود أن رجلاً أصاب من امرأة قبيلة فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره فأنزل الله وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفاً من الليل إن أخرج الترمذي وغيره عن أبي اليسر قال أتتني امرأة تبتاع تمرًا فقلت إن في البيت أطيب منه فدخلت معي البيت فأهويت إليها فقبلتها فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فقال: ((أخلفت غازيا في سبيل الله في أهله بمثل هذا)) وأطرق طويلاً حتى أوحى الله إليه (وأقم الصلاة طرفي النهار إلى قوله للذاكرين). لباب النقول في أسباب النزول، للسيوطي، ضبطه وصححه: الاستاذ أحمد عبد الشافي، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، ص: ١١٥، ١١٦.

(٢) هو: سيمويه البلقاوي، له صحبة، من أهل البلقاء نصرانياً شماساً، قدم المدينة بتجارة فأسلم، وحسن إسلامه، وعاش عشرين ومائة سنة. انظر: أسد الغابة (٦/ ٦٠٥) والإصابة (٣/ ١٩٧).

(٣) شماسا: لقب لمن يرأس قبيلة عند النصارى. انظر: جمهرة اللغة، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٨٧ م (٨٣٣/٢) مادة: سشم.

(٤) الإصابة في تمييز الصحابة (٣/ ٢٣٧).

(٥) سنن أبي داود (١/ ٥١٦)، ضعفه الالباني في ضعيف أبي داود (١/ ١٦٥).

وعن أبي مسعود^(١) قال: كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يأمرنا بالصدقة، فما يجد أحدنا شيئاً يتصدق به حتى ينطلق إلى السوق، فيحمل على ظهره، فيجيء بالمد فيعطيه رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، واني لأعرف اليوم رجلاً له مائة ألف ما كان له يومئذ درهم^(٢). وفي هذا الموقف حث على أن يكون المسلم باذلاً معطياً وذلك يحتاج إلى كسب وعمل، وهو حث على العمل بطريقة غير مباشرة.

١٠ - تغيير أسماء بعض الحرف إلى أسماء محببة؛ ترغيباً في الإقبال عليها.
فمن قيس بن أبي غرزة^(٣) قال: كنا نسمى السماسرة^(٤) فأتانا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ونحن نبيع فسمانا باسم هو خير من اسمنا، فقال: ((يا معشر التجار إن هذا البيع يحضره الحلف والكذب فشوبوا بيعكم بالصدقة))^(٥). وفي الإشارة النبوية إلى تغيير مسمى السمسرة إلى مسمى التجارة - وإن كان المعنى واحداً - إلا أن السمسرة فيها نوع من الذاتية بخلاف التجارة فإن فيها معنى الجماعية أوضح؛ والتجارة جلب السلع وتيسيرها للناس والسمسرة فيها تشديد على الناس من حيث إن

(١) أبو مسعود: عقبة بن عمرو بن ثعلبة، صحابي أنصاري بديري، سكن الكوفة وتوفي سنة ٤٠ هـ.

(٢) المجتبى من السنن (السنن الصغرى للنسائي)، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، الطبعة: الثانية، ١٤٠٦ - ١٩٨٦، كتاب الزكاة، باب جهد المقل، (٥٩/٥) رقم: ٢٥٢٩.

(٣) هو: قيس بن أبي غرزة بن عمير بن وهب الغفاري وقيل: الجهني أو البجلي، سكن الكوفة، ومات بها، له صحبة، ولهُ حديث واحد. انظر: أسد الغابة (٤/٤١٨). والإصابة (٥/٣٧٤).
(٤) السماسرة: السماسرة جمع سمسار، وهو القيم بالأمر الحافظ له، وهو في البيع اسم للذي يدخل بين لبائع والمشتري متوسطاً لإمضاء البيع، والسمسرة مستعمل لمن تدخل في البيع والشراء. انظر: مشارق الأنوار على صحاح الآثار، عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن اليحصبي السبتي، المكتبة العتيقة ودار التراث (٢٢١/٢)

(٥) الحديث رواه النسائي في سننه، انظر: المجتبى من السنن = السنن الصغرى للنسائي، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، الطبعة: الثانية، ١٤٠٦ - ١٩٨٦ م، (١٤/٧) رقم: ٣٧٩٧، من حديث قيس بن أبي غرزة، وصححه الألباني.

فيها تدخل بين صاحب السلعة والناس، ولذلك كان هذا الملمح ملاحظ في هذا التغيير.

١١- تهذيب العمل الحرفي، ويظهر ذلك - مثلاً - في اشتراطه -عليه الصلاة والسلام- على بعض أصحاب الحرف شروطاً تمنعهم من استغلال الآخرين واحتكار ما في أيديهم. فعن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: نهى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن يُتلقى الركبان، ولا يبيع حاضر لباد. وقوله ((لا يبيع حاضر لباد)) أي: يكون له سمساراً^(١). وقد تبين في النقطة السابقة لماذا السمسرة مكروهة.

١٢- رفع المكانة الاجتماعية للمحترفين، وإبعادهم عن الشعور بدناءة الحرفة، وقد مر بنا كيف كان صلى الله عليه وسلم يلبي دعوة أصحاب الحرف ويأكل معهم ولا يحدد حرفة بعينها بالتمييز عن غيرها.

١٣- إياحة التعامل مع أصحاب المهن من غير المسلمين، خاصة إذا كانت مهنتهم مما يحتاج إليه المسلمون.

وقد مر معنا كيف أن التجار من النصارى كانوا يردون المدينة في عهده صلى الله عليه وسلم وينصفهم ويحسن التعامل معهم وكان يتعامل مع اليهود في المدينة يبيعا وشراء، كما هو معلوم ومشهور.

١٤- إصدار التشريعات التي تضمن استمرار وصول المواد الأولية اللازمة للحرف إذا تعرضت للمنح.

فعن ابن عباس - رضي الله عنهما - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: ((حرم الله مكة فلم تحل لأحد قبلي، ولا لأحد بعدي، أحلت لي ساعة من نهار، لا يختلي خلاها، ولا يعضد شجرها، ولا ينفر صيدها، ولا تلتقط لقطتها إلا لمعرف))، فقال العباس بن عبد المطلب - رضي الله عنه - : "إلا الإذخر لصاغتتا وقبورنا؟

(١) الحديث رواه البخاري في صحيحه، كتاب: البيوع، باب: هل يبيع حاضر لباد.. (٧٢/٣) رقم: ٢١٥٨. وباب: أجر السمسرة، رقم: ٢٢٧٤.

فقال: ((الإذخر))^(١).

وفي فتح الباري: "عن ابن عباس رضي الله عنهما: لِقِينِهِمْ وَبِيوتِهِمْ"^(٢)، ومعنى الحاجة هنا: الوقود الذي يحتاجه الصائغ والحداد.

١٥ - توجيه المستهلكين إلى استعمال بعض السلع، بالنظر إلى ما تتصف به من جودة في الاستعمال، فعن عبد الرحمن بن طرفة^(٣) ((أن جده عرفجة بن أسعد^(٤) قُطِعَ أنْفُهُ يَوْمَ الكَلَابِ^(٥)، فاتخذ أنفا من ورقٍ - أي من فضة - فأنتن عليه، فأمره النبي - صلى الله عليه وسلم - فاتخذ أنفا من ذهب))^(٦).

١٦ - النهي عن بعض الحرف لما فيها من مخالفة أمر الشرع، وإرشاد الحرفيين إلى البديل الصحيح.

فعن سعيد بن أبي الحسن^(٧) قال: كنت عند ابن عباس - رضي الله عنهما - إذ أتاه رجل، فقال: يا أبا عباس! إني إنسان إنما معيشتي من صنعة يدي، وإني

(١) الحديث رواه البخاري في صحيحه، كتاب البيوع، باب: الإذخر والحشيش في القبر (٩٣/٢)، رقم (١٣٤٩).

(٢) انظر: فتح الباري (٢١٤/٣)

(٣) هو: عَبْدُ الرَّحْمَنِ بن طَرْفَةَ بن عرفجة بن أسعد التميمي، العطاردي، حديثه في أهل البصرة. قال العجلي ثقة وذكره ابن حبان في الثقات. انظر: تهذيب التهذيب، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، طبعة دائرة المعارف النظامية، الهند، الطبعة الأولى، ١٣٢٦هـ (٢٠١/٦).

(٤) هو: عرفجة بن أسعد بن كرب التميمي، بصري، وهو الذي أصيب أنفه يوم الكلاب في الجاهلية. انظر: أسد الغابة (٢١/٤)

(٥) يوم الكلاب: اسم حرب معروفة من حروب العرب.

(٦) الحديث رواه أبو داود في سننه، انظر: سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني.

تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت. كتاب الخاتم، باب ما جاء في ربط الأسنان بالذهب (٩٢/٤) رقم: ٤٢٣٢. و حسنه الألباني

(٧) هو: سعيد بن أبي الحسن أخو الحسن بن أبي الحسن واسمه يسار مولى زيد بن ثابت ويُقال مولى جابر بن عبد الله الأنصاري البصري حدث عن ابن عباس، ات قبل الحسن ومات سنة عشر ومائة وَقَالَ كَاتِبُ الوَاقِدِيِّ: مَاتَ قَبْلَ الحَسَنِ سَنَةَ مِائَةٍ. انظر: لهداية والإرشاد في معرفة أهل الثقة والسادات، أحمد بن محمد بن الحسين بن الحسن، أبو نصر البخاري الكلاباذي، تحقيق: عبد الله الليثي، دار المعرفة - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٧ (٢٩٨ / ١).

أصنع هذه التصاویر، فقال ابن عباس: "لا أحدثك إلا ما سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم- يقول، سمعته يقول: ((من صور صورة فإن الله معذبه حتى ينفخ فيها الروح، وليس بنافخ فيها أبدا)) فربا الرجل ربوة شديدة، واصفر وجهه، فقال: "وبحك إن أبيت إلا أن تصنع فعليك بهذا الشجر، كل شيء ليس فيه روح"^(١).

١٧- الإشارة إلى حل الانتفاع ببعض المواد الأولية في الحرف بغير صورة البيع المنهي عنها.

عن جابر بن عبد الله الأنصاري أنه سمع رسول الله - صلى الله عليه وسلم- يقول عام الفتح وهو بمكة: ((إن الله ورسوله حرم بيع الخمر والميتة والخنزير والأصنام)) فقيل: يا رسول الله! أرأيت شحوم الميتة فإنه يطلى بها السفن ويدهن بها الجلود ويستصبح بها الناس؟ فقال: (لا، هو حرام) ثم قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم- عند ذلك: ((قاتل الله اليهود، إن الله عز وجل لما حرم عليهم شحومها أجملوه ثم باعوه فأكلوا ثمنه))^(٢).

قال النووي عند شرحه لهذا الحديث: "وأما قوله - صلى الله عليه وسلم-: (لا هو حرام) فمعناه: لا تبيعوها فإن بيعها حرام، والضمير في "هو" يعود إلى البيع لا إلى الانتفاع، وهذا هو الصحيح عند الشافعي وأصحابه..^(٣)

١٨- قبول عذر صاحب الحرفة إذا اعتذر عن التصديق بلوازم حرفته؛ كونها مصدر رزقه وعياله.

(١) الحديث رواه البخاري في صحيحه، كتاب البيوع، باب بيع التصاویر التي ليس فيها روح (٨٢/٣) رقم: ٢٢٢٥.

(٢) الحديث رواه مسلم في صحيحه، كتاب المساقاة/ باب تحريم بيع الخمر والميتة/ حديث ٢٩٦٠.

(٣) شرح صحيح مسلم للنووي ٦/١١.

فعن بشير الأسلمي^(١) قال: لما قدم المهاجرون المدينة استنكروا الماء، وكانت لرجل من بني غفار عين يقال لها رومة، كان يبيع القرية منها بالمد، فقال له رسول الله - صلى الله عليه وسلم-: ((بعنيها بعين في الجنة)) فقال: يا رسول الله! ليس لي ولا لعيالي غيرها، فبلغ ذلك عثمان فاشتراها بخمسة وثلاثين ألف درهم^(٢).
هذه بعض الأمور التي يمكن أن نلاحظ من خلالها اهتمام السنة النبوية بالحرف والمهن وأصحابها، وفي ذلك جزء من فقه التعامل معها.

(١) هو: أبو معشر الأسلمي، من أصحاب الشجرة، صحب النبي صلى الله عليه وسلم، وله حديثان. روى عنه: ابنه بشر. انظر: معرفة الصحابة لابن منده، أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى بن مَنذَه العبدى (المتوفى: ٣٩٥هـ)، حققه وقدم له وعلق عليه: الأستاذ الدكتور/ عامر حسن صبري، مطبوعات جامعة الإمارات العربية المتحدة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م ص ٢٥٠.
(٢) الحديث رواه الطبراني في المعجم الكبير (٤١/٢) رقم: ١٢٢٦. وهو في الإصابة في تمييز الصحابة (٥٤٣/٢).

المطلب الثاني: صور من الحرف والمهن في وقت النبي صلى الله عليه وسلم

مما لا شك فيه أنه كان في عهد النبي صلى الله عليه وسلم في المدينة المنورة وفي مكة المكرمة وفي الطائف وفي غيرها من التجمعات السكانية التي فيها المسلمون أو غيرهم صناعات عديدة مما يحتاجه أي مجتمع بشري، إضافة إلى الأعمال التي يقدم أصحابها من خلالها خدمة للآخرين في شأن من شؤون الحياة سواء كان هذا الشأن ضرورياً أو حاجياً أو تحسينياً.

وسنستعرض هنا بعض تلك الصناعات أو الحرف والأعمال من خلال التعرف على وجودها في زمن النبي صلى الله عليه وسلم، وإقراره لها وتشجيع عامة المسلمين على الاحتراف والعمل وتقديم الخدمات للآخرين ونفعهم، واعتبار ذلك عبادة وقربة إلى الله سبحانه.

فعن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه قال: ((قلت يا رسول الله أي الأعمال أفضل؟ قال: الإيمان بالله والجهاد في سبيله" قلت: أي الرقاب أفضل؟ قال: أنفسها عند أهلها وأكثرها ثمناً. قلت: فإن لم أفعل؟ قال: تعين صانعاً أو تصنع لأخرق. قلت: يا رسول الله أرايت إن ضعفت عن بعض العمل. قال: تكف شرك عن الناس فإنها صدقة منك على نفسك))^(١). ففي الحديث حث على الصناعة والمعونة للذين لا يجيدون شيئاً من الصناعات والأعمال؛ لأنه في ذلك نفع للناس وتيسير لحياتهم وعيشهم.

وإذا نظرنا إلى الحرف والمهن والصناعات التي كانت في مكة المكرمة والمدينة المنورة إبان عهده صلى الله عليه وسلم وجدناها بمقياس ذلك العصر تشمل طائفة كبيرة متنوعة من الخدمات والأعمال من جهة، كما نجدها تقي إلى حد ما بحاجة الأمة... إلا أننا مع ذلك لا نستطيع القول إن المجتمع كان مجتمعاً صناعياً أو

(١) الحديث رواه البخاري في صحيحه، كتاب: العتق، باب: أي الرقاب أفضل، (٣/١٤٤) رقم: ٢٥١٨. وهو في صحيح مسلم، كتاب: الإيمان، باب بيان كون الإيمان بالله تعالى أفضل الأعمال (١/٨٩) رقم: ٨٤.

حرفياً؛ فقد كان العرب عموماً قبل البعثة النبوية يأنفون من العمل اليدوي ويتجنبونه بل ويحقرّون صاحبه، ويعتقدون أن الحرف عموماً لا تليق إلا بالعبيد وضعفة الناس ومن لا قدر لهم... فكان عليه السلام بحكمته وحنكته ونظرته البعيدة إلى حاجات المجتمع يسعى جاهداً لكسر تلك العادة وإبطالها بشتى الأساليب، فحث على العمل وشجع الصناعات والحرف ورغب فيها، كما مرّ معنا في الأحاديث والآثار السابقة. ولقد حصل من هذا الحث والتشجيع أن وصل الاجتهاد في العمل والتجارة إلى أن أصبح بعض الصحابة رضي الله عنهم يعمل بالمضاربات بما يشبه اليوم الشركات الكبيرة ذات النشاط الواسع جداً.

وقد اشتهرت مجموعة من المهن والصناعات في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومن تلك المهن والصناعات:

أولاً : المهن التجارية:

والمهن التجارية هي ما تختص بالبيع والشراء والتعاملات التي تتبعها. وقد كانت التجارة من أوفر المهن حظاً عند العرب، وقد كانت الأسواق التجارية منتشرة في جزيرة العرب، بصورة موسمية أو بصورة دائمة؛ والداعي لازدهار التجارة هي الحاجة الاجتماعية للسلع والخدمات بصورة طبيعية مما يستدعي استيراد السلع والترويج لها. وقد اشتهرت التجارة في قريش كما ذكر الله تعالى ذلك عنهم فقال يبين رحلاتهم ممّتا عليهم بتأمينها: ﴿لَا يَلْفُ قُرَيْشٌ ۝١ إِيْلَهُمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ۝٢﴾. فليعبدوا ربّ هذا البيت ۝٣ الذي أطعمهم من جوعٍ وءامنهم من خوفٍ ۝٤. قريش: ١ - ٤.

ويبين الله أن التجارة والواردات التجارية كانت تأتي إلى مكة دوماً من غير أن يعترضها أحد، فقال ممّتا عليهم أيضاً: ﴿وَقَالُوا إِن نَّبِيعِ الْهُدَىٰ مَعَكَ نُنْخِطِفُ مِنْ أَرْضِنَا

أَوْلَمَ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجِبُّ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ القصص: ٥٧. وقد أنزل الله آيات كثيرة تدل على ممارسة بعض المهن التجارية، وأهمها البيع والشراء، ولذلك جاءت أحكام الربا والتطفيف وغيرها مواكبة للحركة المهنية التجارية..

وقد اشتهر عدد من الصحابة الكرام بالتجارة المتنوعة منهم: الزبير بن العوام، وعبد الرحمن بن عوف، وغيرهم.. فقد ذُكر أنه كان للزبير ألف مملوك يؤدون إليه الخراج، وكان صاحب حظ في التجارة^(١)، وكان الناس يودعون أموالهم عنده أو يعطونه إياها ليعمل فيها بالربح^(٢)... وهكذا كان عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه: تاجرا مجدودا في التجارة، وكسب مالا كثيرا، وخلف ألف بعير وثلاثة آلاف شاة، ومائة فرس ترعى بالبيع، وكان يزرع بالجرف على عشرين ناضحا^(٣).

ثانيا: المهن الزراعية:

وهي مهمة في البيئة العربية في ذلك الوقت حيث إنهم كانوا يعتمدون كثيرا على المنتجات الزراعية وتدويرها، وقد تنوعت المحاصيل الزراعية بحسب المناطق والمناخات، إلا أن الزراعة كانت تعتمد على مواسم الأمطار، ولم تكن نظم الري معروفة أو مستخدمة إلا في مناطق السودان، كاليمين مثلا. وبالتالي تعددت الوظائف الزراعية تبعا لنوع الزراعة والمحاصيل، من فواكه ومحاصيل حيوانية وحبوب وغيرها.

(١) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر، تحقيق: علي محمد الجاوي، دار الجبل، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م، (٥١٤/٢).

(٢) وهو مسمى في الأحكام: مضاربة، وذلك أن يشتغل بأموالهم على نسبة من الربح يتفقون عليها.

(٣) انظر: الاستيعاب (٨٤٧/٢) وغيرها. وممن اشتهر بالتجارة من الصحابة: عثمان بن عفان، والعباس بن عبد المطلب وغيرهم..

وقد ذكر الله كثيرا من الممارسات الزراعية والمحاصيل في القرآن الكريم، وفي ذلك بيان إلى معرفتهم بها حال نزول القرآن الكريم، كما قال تعالى مثلا: ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكْلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَءَاتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿١٤١﴾ الأنعام: ١٤١ والآيات في هذا الباب كثيرة، وكذلك الأحاديث والآثار. وكانت المدينة من المناطق المشهورة بالزراعة في الجزيرة العربية، وكان الصحابة يعملون بالزراعة ولهم أراضي كثيرة، وهذا معلوم في الآثار بحيث لا يخفى على أحد.

ثالثا: المهن الصناعية:

وقد اشتهرت الجزيرة العربية في عهد النبي صلى الله عليه وسلم بعدد من الصناعات، والمهن الصناعية، لحاجة المجتمع لها ولتشجيع الإسلام لتحصيلها، لما لها من مردود إيجابي في تسهيل الحياة وتيسيرها ورخائها.

ومن تلك المهن والصنائع، ما يلي:

١- صناعة الغزل والأقمشة :

والغزل والنسيج وبيع القماش والألبسة يبدو أنه كان منتشراً فاشياً أكثر من غيره حتى كان هناك أسواق خاصة بذلك تشتهر في كل المدن. وقد اشتغل بعض الصحابة الكبار في بيع البز والاتجار به ونسجه^(١).

(١) وكان طلحة بن عبيد الله كان بزازاً- أي يبيع البز والثياب، وكانت غلة طلحة ألفاً وافية (دنانير) كل يوم، وكان خالد بن أسيد بن العاص خزازا. انظر: الاستيعاب (٢/٤٧٤، ٧٧٠)، وأسد الغابة (٢/١١٤) و تلبيس إبليس لابن الجوزي جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي ، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة: الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م ص ٢٥١.

وكانت مهنة النسيج مما يشتهر في البيوت وتمارسه النساء، ففي الحديث: ((جاءت امرأة ببردة منسوجة، فقالت: يا رسول الله إني نسجت هذه بيدي فجئت أكسوكها. فأخذها النبي صلى الله عليه وسلم.))^(١).

ويلحق بالغزل والنسيج عمل الخياطة بصورة عامة، وعن عائشة رضي الله عنها قالت: ((كان صلى الله عليه وسلم يعمل عمل البيت وكثيراً ما يعمل الخياطة))^(٢). وقد استحسّن النبي صلى الله عليه وسلم صنعة الخياطة للرجال وصناعة الغزل للنساء فقال: ((عمل الأبرار من الرجال الخياطة وعمل الأبرار من النساء الغزل))^(٣). وقد كان الخياط ذا مكانة اجتماعية، وربما تسلّم بعض الأعمال الجليّة^(٤).

٢ - صناعة الجلود ودباغتها:

وأما صناعة الجلود ودباغها فتلك صناعة راجت في المدينة المنورة وانتشرت بكثرة... وقد حض عليها النبي صلى الله عليه وسلم.

(١) الحديث رواه البخاري في صحيحه، كتاب: البيوع، باب: ذكر النساج (٦١/٣) رقم: ٢٠٩٣. وغيره. من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه.

(٢) الطبقات الكبرى أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي، البغدادي المعروف بابن سعد، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م (١/٢٧٥). والحديث ضعفه الألباني، وغيره. أنظر: سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين الألباني، دار المعارف، الرياض - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م، قال: والمحفوظ عن السيدة عائشة بلفظ: "كان يخيّط ثوبه، ويخصف نعله، ويعمل ما تعمل الرجال في بيوتهم". السلسلة الضعيفة (٩/ ٢٧٦، ٢٧٧) رقم: ٤٢٨٢. وقد وردت آثار كثيرة تؤيد انتشار صناعة الغزل والخياطة في المجتمع في عهد النبي صلى الله عليه وسلم. وفي بعض تلك الآثار ضعف، ولكن الأمر إنما هو بيان وجود مهنة ليس فيها ما يدعوا إلى الحرام ولا المنكر. بل في ذلك دعوة إلى العمل والكسب والتحرر..

(٣) الحديث أورده الألباني في ضعيف الجامع الصغير ص ٥٥٦، رقم: ٣٨٠٨. وفي غيره.

(٤) كما مر عن الصحابة الكبار رضي الله عنهم، وورد أن عثمان بن طلحة، صاحب مفتاح الكعبة كان خياطاً انظر: تلبيس إبليس ص ٢٥١.

فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ((تُصَدِّقُ عَلَى مَوْلَاةٍ لِمَيْمُونَةَ بَشَاةٍ فَمَاتَتْ فَمَرَّ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: هَلَا أَخَذْتُمْ إِهَابَهَا فِدْبَغْتُمُوهُ فَانْتَفَعْتُمْ بِهِ. قَالُوا: إِنَّهَا مَيْتَةٌ. قَالَ: "إِنَّمَا حَرَّمَ أَكْلَهَا"))^(١).

وكان بعض الصحابة يتاجر بالقرظ.. وهي المادة المستخدمة في الدباغة. وهذا الصحابي هو سعد القرظ الذي أشار عليه النبي صلى الله عليه وسلم بلزوم تجارة هذه المادة^(٢).

وممن اشتغل بالدباغة بعض أمهات المؤمنين زوجات النبي صلى الله عليه وسلم^(٣)، وبعض الصحابييات رضي الله عنهن^(٤) وقد كان بعض نساء المهاجرين في المدينة يقمن بدبغ الجلود، مما يدل على أنهن كن يُجَدْنَ هذه الصنعة بمكة وأنهن كن يعملنها، ثم نقلنها إلى المدينة فكن يدبغن الجلود بها أيام الرسول صلى الله عليه وسلم..

وكثير من الصحابة الكرام كانوا يعملون بهذه المهنة، كما ورد في كتب التراجم.

(١) الحديث رواه البخاري في صحيحه، كتاب: الذبائح والصيد باب: جلد الميتة (٩٦/٧) رقم: ٥٥٣١. وغيره من المواضع.

(٢) انظر: معجم الصحابة، أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز بن المرزبان بن سابور بن شاهنشاه البغوي (المتوفى: ٣١٧هـ)، تحقيق: محمد الأمين بن محمد الجكني، مكتبة دار البيان، الكويت، الطبعة: الأولى ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م (٣٩/٣، ٤٠)، وسعد القرظ هذا كان مؤذنا لرسول الله صلى الله عليه وسلم، أمره رسول الله بالتجارة، لأنه شكى إليه قلة ذات يده، فربح من تجارة القرظ، فأمره بلزومها. معجم الصحابة نفس الموضوع. وكان سعد القرظ يؤذن بقاء ولما ترك بلال الأذان في مسجد رسول الله بعد موت نبي الله، نقله إليه أبو بكر واستمر فيه وتوارث الأذان فيه أبناؤه إلى زمن الإمام مالك. انظر: الاستيعاب (٥٩٣/٢، ٥٩٤).

(٣) ذكر أن سودة بنت زمعة إحدى أمهات المؤمنين كانت تعمل الأديم الطائفي. انظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة، عز الدين ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض - عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م، (٧ / ٨٨)، وورد أن أم المؤمنين زينب بنت جحش كانت امرأة صناع اليد فكانت تدبغ وتخرز وتتصدق. انظر: الطبقات الكبرى (٨٦/٨).

(٤) ورد في (طبقات ابن سعد) عن أسماء بنت عميس زوجة جعفر بن أبي طالب قالت: أصبحت في اليوم الذي أصيب فيه جعفر وأصحابه فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولقد هنأت. يعني دبغت. أربعين إهاباً من أدم وعجنت عجيني، "فدخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرها بمقتل جعفر وأصحابه". (٨ / ٢٢٠).

والدباغة: حرفة تقوم على أساس إصلاح جلود الحيوانات وإبعاد الصوف والشعر منها وتليينها وتنظيفها وتبديل رائحتها لكي تكون صالحة للاستفادة منها، والمكان الذي يدبغ فيه يسمى مدبغة^(١).

وتتم هذه العملية بواسطة طرق خاصة وباستخدام بعض الأشجار المعينة والنباتات التي تفيد في هذه العملية، وكانت أهم الأشجار المعروفة لديهم والمستفاد منها في الدباغة شجر (القرض) وهي أجود ما يدبغ بثمره وورقه، وينبت في الصحاري والقيعان من بلاد العرب وكان يباع في الأسواق في مدن الحجاز^(٢).

ويلحق بصناعة الجلود مهنة وصناعة الخرازة:

وهي خياطة الجلود وتفصيلها، والخراز: هو المحترف لخياطة الجلود وتفصيلها . ولا تزال كلمة خراز تستعمل حتى الآن لمن يعمل في صنع الأحذية أو الأحزمة أو غيرها من المصنوعات الجلدية. وقد كانت هذه الصناعة من الحرف الموجودة في الحجاز إذ عن طريقها يتم الاستفادة من الجلود فجميع منتجات الجلود لا بد من مرورها على الخرازين لكي تتم صناعة الأشياء منها من أثاث وأحذية أو أحزمة أو غيرها.

وقد كانت الكثير من الحاجيات تنتج من الجلود وهي تلبى متطلبات ذلك الزمان، وأهم ما كان يصنع من ذلك (القرب) وهي التي ينقل فيها الماء من مكان إلى آخر، كما يخزن فيها الماء وغيره من السوائل سواء في السفر أم في الحضر، عند البوادي أو الحواضر، وذلك لما تتميز به القرب من مرونة وليونة وخفة الوزن وقدرة على حفظ السوائل، وقد وردت عدة نصوص تدل على استخدام القرب في عصر

(١) المعجم الوسيط (٢٧٠/١) مادة : دبغ.

(٢) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام (٢٢٥، ٢٢٧/١٤). ومن جودة واشتهار هذه الصناعة، فقد كانت منتوجاتها من الهدايا المميزة، وقد ثبت أن الجلود المدبوغة كانت ضمن هدايا قريش إلى النجاشي في الحبشة أيام هجرة الصحابة إليها، كما هو مشهور في السيرة.

الرسول صلى الله عليه وسلم وأنها هي المستعملة في حفظ الماء والسمن والنبيد وغيرها.

واستخدمت الجلود لصناعة كثير من الأثاث: كالوسائد والأحذية والأحزمة والكساء، وسرج الخيول، وأدوات الحرب وغير ذلك.

ومما يؤكد الاستفادة من الجلود ووجود أناس يعملون بها قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَابِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثْنَا وَمِئَةً إِلَى حِينٍ ﴿٨٠﴾ النحل: ٨٠

٣- صناعة الأخشاب والنجارة:

وأما صناعة الأخشاب، فهي من الصناعات التي أرشد إليها النبي صلى الله عليه وسلم بعض أصحابه ورعاها، وهي من المهن الحضارية التي تشهد بحضارة المدن والأمم بحسب تنوع الصنعة وإتقانها، ومن مظاهرها الأولية الاحتطاب، وقد مر معنا أمر النبي صلى الله عليه وسلم لبعض أصحابه بالاحتطاب للاستغناء عن طلب الناس، والنجارة هي المظهر المهم لصناعة الأخشاب، وكان المحترفون للنجارة موجودين في عهد النبي صلى الله عليه وسلم. ونجارة الأخشاب تدخل في صناعات مختلفة، كصناعة المدرج والسلالم والأبواب والقوارب والسفن وغيرها من الأدوات التي تستخدم في المجتمع، وكان كل ذلك يتم صنعه في مدن الجزيرة العربية، بل كان بعض الصحابة ومواليهم يمارسون بعض من تلك المهارات والصناعات^(١).

(١) انظر: أسد الغابة (٣٤٩/١) ومما يدل على الاهتمام بالنجارة أنه صلى الله عليه وسلم رمى أهل الطائف بالمنجنيق وكان يصنع من الأخشاب بطريقة فنية ترمي الحجارة إلى مسافة بعيدة، وأن جماعة من الصحابة زحفوا إلى سور الطائف ليحرقوه تحت دبابة من الخشب. قال: وهذه الدبابة أول دبابة في الإسلام مما يدل على أن هذه الصناعة كانت نافقة في الزمن النبوي. انظر: المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا. دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م (٣/٣٤٢). وغيره.

٤ - صناعة الحديد والمعادن:

الحِدادَة هي معالجة الحديد وتشكيله بما يحتاجه المجتمع وينفعه، ويسمى عامل ذلك الحداد^(١).

وقد كانت الحدادة قديمة بين الناس نظراً لأنها تسد حاجات كثيرة لا غنى للإنسان عنها. وأكثر ما توجد الحدادة في المدن والحضر وتكاد تنعدم عند العرب في البادية، ونظراً لقلة الحاجة إليها فإنهم يجلبون ما يحتاجون إليه من أدوات قليلة من المدن. كما ان الأعراب خاصة والعرب عامة كان لديهم احتقار لأهل الصنائع كلها وبالدرجة الأولى (الحداد) فكانوا يعيرونه ويعتبرونه من طبقة وضيعة وكانوا يسمونه القين^(٢).

وقد أراد الرسول صلى الله عليه وسلم تغيير نظرة الناس إلى الحداد بدفعه ولده إبراهيم الى امرأة قين في المدينة لكي ترضعه، في الوقت الذي كان الناس يدفعون أولادهم إلى أشرف القبائل وزعمائهم ليرضعوا أولادهم^(٣).

وكانت الحدادة منتشرة في مدن الحجاز المختلفة وتلبي احتياجات الناس المختلفة، وكان معظم الحدادين إما أرقاء أو من أصل غير عربي نظراً لاحتقار العرب لهذه الصناعة ولمن يقوم بها، وللأسف فهذا الاحتقار لا زالت له بقية عند بعض البوادي التي ما زال أهلها ينظرون الى الصانع باحتقار، وهي عادة من بقايا الجاهلية.

(١) المصباح المنير (١٢٤/١) مادة: ح د د.

(٢) انظر: المفصل في تأريخ العرب قبل الإسلام (١٤/٢٤٤، ٢٤٢).

(٣) معرفة الصحابة لأبي نعيم (٥/٢٩٢٥). وجاء في الحديث الصحيح، عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ولد لي الليلة غلام، فسميته باسم أبي إبراهيم» ثم دفعه إلى أم سيف، امرأة قين يقال له أبو سيف، فانطلق يأتيه واتبعته، فانتهينا إلى أبي سيف وهو ينفخ بكيره، قد امتلأ البيت دخاناً، فأسرعت المشي بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقلت: يا أبا سيف أمسك، جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأمسك فدعا النبي صلى الله عليه وسلم بالصبي، فضمه إليه...»، رواه مسلم في صحيحه، كتاب: الشمائل، باب: رحمته صلى الله عليه وسلم بالصبيان. (٤/١٨٠٧) رقم: ٢٣١٥.

وقد استغل هذا الجانب غير العرب فكانوا في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم يقومون بهذه الصنعة وتدر عليهم الكثير من الأموال، كما استغلها اليهود أيضا فعملوا بالحدادة واحتكروها لأنفسهم فكانت مصدر دخل كبير بالنسبة لهم، وكانوا مختصين في صناعة الاسلحة المختلفة والأدوات الزراعية حتى أصبح لديهم مستودعات يطلب الناس منهم السلاح والآلات في وقت الحاجة فيدفعونها لهم بأثمان باهضة^(١).

وقد أشار القرآن الكريم إلى حرفة الحدادة عند قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ ءَانَيْنَا دَاوُدَ

مِنَّا فَضَلًا يَجِبَالٍ أُوْبَىٰ مَعَهُ وَالطَّيْرِ وَأَلْنَا لَهُ الْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنْ أَعْمَلَ سَبِغَاتٍ

وَقَدَّرَ فِي السَّرْدِ وَأَعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١﴾ سبأ: ١٠ - ١١

حيث نجد أن المفسرين ذكروا أسماء ليهود أو لموالي كانوا صناعا أو صياقل في مكة زعم المشركون أنهم كانوا يعلمون محمداً صلى الله عليه وسلم، فرد عليهم القرآن الكريم بهذه الآيات^(٢).

(١) اشتهر في السير ما كان يقوم به اليهود من التحريش بين قبيلتي الأوس والخزرج وكيف كانوا يديرون الحروب بين القبيلتين من أجل بيع السلاح لهما واستنزاف مواردهما، بل كانوا يأخذون رهائن على ذلك، وكذلك اشتهرت أسواق اليهود التي كانت في المدينة المنورة، ببني قينقاع وبني النظير وقريظة، وغيرها من الأسواق في الجزيرة عامة.. انظر: أسواق العرب في الجاهلية والإسلام، سعيد الأفغاني (د. ت) ص ٢٤، ٥٩، ٦٥.

(٢) ومن الحدادين الذين عاصروا الرسول فمنهم الصحابي الجليل (خباب بن الأرت) الذي كان حداداً في مكة في أول الدعوة وكان يعمل للناس كثيراً من الحاجات من السلاح والأواني. انظر: الطبقات الكبرى، لعبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد، تحقيق: زياد محمد منصور، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة الثانية، ١٤٠٨ هـ (١٢٢/٣). وكان منهم أيضاً أبو سيف وهو قين في المدينة من الأنصار زوج ام سيف مرضعة ابراهيم ابن النبي صلى الله عليه وسلم، كما مر معنا في الحديث الصحيح في مسلم، ومنهم (مرزوق الصيقل) وقد ذكر انه صقل سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم (نو الفقار). انظر: معرفة الصحابة لأبي نعيم (٥/٢٦٣٤)، ومن الحدادين في الطائف كان الأزرق بن عقبة الثقفي وكان رومياً حداداً وهو من رقيق أهل الطائف الذين نزلوا الى الرسول صلى الله عليه وسلم اثناء حصاره للطائف فأعتقهم .

ولا شك أن الحدادة كمهنة كانت منتشرة في الجزيرة العربية بصورة عامة كونها بيئة زراعية ويحتاج الناس في معظم الأحيان إلى الآلات الزراعية للزراعة والحصاد وغير ذلك، كما أن الحدادة يتم من خلالها صناعة كثير من الأدوات والآلات التي يستخدمها الناس في حياتهم اليومية.

والحدادة مهنة تستلزم وجود معدن الحديد، وهو مهم لها ولذلك فإن من مستلزمات الحدادة استخراجها، وهذا ما يسمى بالتعدين وهو: استخراج المعادن الخام من مناجمها وتفتيتها والاستفادة منها^(١).

وحيث إن بلاد الحجاز لا تخلو من المعادن، فإن التعدين قد عرف في العصر النبوي، ويتبين لنا ذلك من بعض النصوص الواردة، منها: ما ذكر أن أبا الحصين السلمي^(٢) قدم بذهب من معدنه فأتى به النبي صلى الله عليه وسلم^(٣). وهم يطلقون لفظة (معدن) ويريدون به المنجم أو ما يؤخذ منه المعدن^(٤). كما ذكر أن الرسول صلى الله عليه وسلم أقطع بلال بن الحارث المزني^(٥) معادن القُلبية^(٦).

(١) المعجم الوسيط (٥٨٨/١) مادة : عَدَنَ.

(٢) هو: أبو الحصين السلمي ، له صحبة، كما في الاستيعاب وغيره. انظر: الاستيعاب (٤/ ١٦٣٢).

(٣) الاستيعاب (٤/ ١٦٣٢). وهذا يدل على أنه كان له منجم يعمل فيه بالتعدين. وهناك نصوص كثيرة وردت في هذا المعنى.

(٤) انظر المعجم الوسيط (٥٨٨/١) مادة: عَدَنَ.

(٥) هو: بلال بن الحارث المزني، أبو عبد الرحمن: صحابي، شجاع، من أهل بادية المدينة. أسلم سنة ٥ هـ. وكان من حاملي ألوية (مزينة) يوم الفتح. وسكن موضعا وراء المدينة يعرف بالأشعر. ثم شهد غزو إفريقية مع عبد الله بن سعد بن أبي سرح، فكان حامل لواء مزينة يومئذ، ومعه منهم أربعمئة مقاتل. وتوفي في آخر خلافة معاوية، عن ٨٠ عاما. انظر: أسد الغابة (١/ ٤١٣) .

(٦) معجم الصحابة بو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز بن المرزبان البغدادي، تحقيق: محمد الأمين بن محمد الجكني مكتبة دار البيان، الكويت، الطبعة الأولى ، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م (١/ ٢٧٨). والقلبية: بفتح أوله وثانيه، وكسر اللام؛ وتشديد الياء أخت الواو على لفظ المنسوب: قال أبو عبيد: هي من ناحية الفرع؛ وسيأتي

والشواهد التاريخية والآثار تدل على وجود صناعة التعدين في شبه الجزيرة العربية ضرورةً، وأن أهلها كانوا يشتغلون بالتعدين^(١).

٥ - صناعة الصياغة والنقش:

ويلحق بصناعة الحديد والمعادن صياغة الذهب، وهي مهنة ملازمة لصناعة استخراج الذهب؛ وذلك لاستعماله كعملة أو كحلي وزينة، وهذا مما اشتهر في التاريخ بحيث لا يحتاج إلى دليل لإثباته.

وقد مر بنا كلام العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه، حيث نبه النبي صلى الله عليه وسلم على أن نبات الإذخر يكثر استعماله من الصاغة، فأباحه في مكة لهم حتى لا يدخلوا في الحرج إذا حرم عليهم، فقال: "إلا الإذخر لصاغتتا ولسقف بيوئتا". فقال: ((إلا الإذخر)). والصياغة تكون في المعادن وخاصة الذهب والفضة، وذلك لتشكيلهما للزينة والتحف، كما أنهما عملتان يستعملهما الناس.

ويبدو أن الصياغة كانت حرفة رائجة في الحجاز، ولدى أهلها معرفة بالصياغة وطرقها، وكان لديهم صُواع قبيل ظهور الإسلام وبعده، حيث إن أهالي الحجاز في العصر الجاهلي عرفوا الحلي الذهبية والفضية والنحاسية وغيرها مما يدل على وجود أناس كانوا يعملونها، إضافة إلى أن بعضاً من هذه الحلي كان مستورداً، كما كان ذلك يعرف في تجارات قريش ورحلاتها.

وفي المدينة المنورة اشتهر اليهود بإجادتهم للصياغة حيث كان هناك عدداً كبيراً من الصواع من بني قينقاع وغيرهم من اليهود، كما هو معلوم في السير.

ذكرها في رسم قدس، وهي التي أقطعها رسول الله صلى الله عليه وسلم بلال بن الحارث المزني . انظر: معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٣ هـ (١٠٤٧/٣).

(١) العرب في العصور القديمة، لطفي عبد الوهاب، دار المعرفة الجامعية، الطبعة: الثانية، ص ٣٣٥.

٦- صناعة الخوص والقفاف:

وهي حرفة اشتهرت في المدينة في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم، والمراد بها نسج بعض الأدوات والأثاث من خوص النخيل^(١)، فقد كانت المدينة بلداً زراعياً اشتهرت بزراعة النخيل، وقد استفيد من جريد النخيل في عمل الخوص، فكان الخوص ينسج منه بعض الأشياء كالحصر، وكان الأنصار في المدينة يعملون الخوص وقد تعلم سلمان الفارسي - رضي الله عنه- هذه الصنعة منهم واتخذها حرفة يأكل منها^(٢). وصناعة القفاف^(٣) هي من الخوص وهي على شكل أوعية توضع فيها الأمتعة والمحاصيل، وهي تختلف في الحجم، ولا تنفع للسوائل، وهي قوية وخفيفة الوزن، ولا تزال تستعمل حتى الآن في القرى.

٧- الصباغة :

بالإضافة إلى النسيج والخياطة كانت هناك بعض العمليات التي تلحق بها من ذلك صبغ الملابس، فقد كانت الملابس تصبغ على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد كان صبغ الملابس يجري في الحجاز على مختلف الألوان وذلك يقتضي وجود أصباغ معينة، كما يقتضي معرفة بطريقة الصبغ.

وقد وضع البخاري في صحيحه عدة أبواب منها: (باب الخميصة السوداء) و(باب الثياب الخضراء) و(باب الثياب البيض)، وقد وردت عدة أحاديث عن الثياب الحمر وغيرها، مما يدل على معرفتهم بهذه الألوان وبطريقة صبغها .

(١) انظر: الصحاح (١٠٣٨/٣) مادة : خوص.

(٢) انظر: تلقيح فهوم أهل الأثر في عيون التاريخ والسير، جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٩٧ ص ٩٩.

(٣) القفَّة كهيئة القرعة تتخذ من خوص، وهو وعاء، والجمع قفاف. العين (٢٨ / ٥) مادة: قفّ.

٨- الصناعات الحربية:

وهي من الوضوح بحيث لا تخفى على كل مطلع على السيرة النبوية أو تاريخ العرب والجزيرة، فقد كانت صناعة السيوف والرماح والنبال والدرع والتروس والدبابات والمنجنيقات، وغيرها من الآلات الحربية مزدهرة بحيث تعرف من خلال قراءة الغزوات والمعارك والحروب والغارات التي كانت لا تنقطع بين العرب، ولما جاء النبي صلى الله عليه وسلم كانت المدينة في صراع دائم وكان اليهود هم الذين يقومون بصناعة وتمويل الصناعات الحربية، وقد كان في المدينة جماعة كبيرة من اليهود اقتصت بصناعة السيوف وغيرها من الأسلحة مستغلين احتقار العرب لمن يقوم بالحدادة، فأتقنوا هذه الصناعة واستغلوها، إضافة إلى قيامهم بصناعة بعض الأسلحة الأخرى، وقد كانت كثير من السيوف المستعملة لدى كبار القوم مرصعة بالفضة أو بالذهب أحياناً زيادة في إكرامها، وكان العرب يفتخرون بسيوفهم وأسلحتهم، وكلما كانت أتقن صنعا كانت أعلى وأدعى للفخر. وقد ذكر القرآن الكريم بعضاً من الآلات الحربية مشيراً إلى أنهم كانوا يعرفونها ويعملونها، كالرماح مثلاً، قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِبَلْوَتِكُمْ ءَللَّهُ بِشَىْءٍ مِّنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ ءَأَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ﴾ (٩٤)

المائدة: ٩٤.

وقد ذكرت السنة السيف وغيره من الآلات الحربية في أحاديث وآثار كثيرة.

رابعاً: المهنة الطبية:

وهي مهنة متعددة، منها:

١ - التمريض والتطبيب:

وهو القيام على المريض وخدمته وعلاجه. وقد كان التمريض بهذه الصفة معروفاً عند العرب منذ العصر الجاهلي، فكان أهل المريض وأقاربه يقومون على خدمته ومداواته سواء كان مريضاً أو جريحاً، والعرب بطبيعتهم كانوا أهل حرب وغزو فيكثر فيهم الجرحى، فهم بحاجة إلى من يمرضهم، فكانت نساؤهم تقوم بذلك مع وجود بعض الأطباء.

وبعد قيام الدولة الإسلامية في المدينة وبدء حركة الجهاد المباركة على يد الرسول صلى الله عليه وسلم، ووجود جرحى كثيرين من المسلمين خلال هذه الغزوات ظهرت لدى المسلمين الحاجة إلى التمريض ومداواة الجرحى خلال المعارك ومساعدتهم، وقد دلت النصوص والوقائع على وجود الكثير من النساء يقمن بذلك بمصاحبة جند الرسول صلى الله عليه وسلم، فنجد أن النساء كن يسرن مع الجيش يداوين الجرحى ويسقين العطشى ويحملن القتلى لأجل أن يتفرغ الرجال للقتال، وقد وضع البخاري في كتابه الصحيح باباً سماه: (باب مداواة النساء الجرحى في القتال)، وأورد حديثاً عن الربيع بنت معوذ^(١) قالت : ((كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم نسقي ونداوي الجرحى ونرد الجرحى إلى المدينة))^(٢).

(١) هي: الربيع بنت معوذ بن عفراء من المبايعات تحت الشجرة. صحبت النبي صلى الله عليه وسلم ولها قدر عظيم. روى عنها أهل المدينة، وكانت ربما غزت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فتداوي الجرحى وترد القتلى إلى المدينة، وكانت تبيع العطر. انظر: أسد الغابة (٧/ ١٠٨) و الاستيعاب (٤/ ١٨٣٧).

(٢) الحديث رواه البخاري في صحيحه، كتاب: الجهاد، باب: مداواة النساء الجرحى في الغزو (٤/ ٣٤) رقم: ٢٨٨٢. وقد كانت أم سُلَيْط الأنصارية من بني عدي بن النجار مع المسلمين في غزوة أحد تجلب لهم الماء وتشارك مع النساء الأخريات في مداواة الجرحى، وقد شهدت مع الرسول وأصحابه غزوة خيبر وغزوة حنين وكان

٢ - الختانة:

وهي عمل يتعلق بإزالة قطعة من موضع الختان في الذكر أو الأنثى، وكانت العرب تختن قبل الإسلام، فكانت قريش قبل الإسلام تختن وكانت العرب ترى عدم الختان عيباً^(١).

كما أن اليهود كانوا يُعرفون بالختان، فكان يهود الحجاز وعلى رأسهم يهود المدينة يختنون وكل هذا مما جعل هناك أناساً مختصين بهذه العملية على قدر كاف من الخبرة لأن معظم سكان الحجاز سواء منهم العرب أو اليهود كانوا يختنون^(٢).

٣ - التوليد:

وهي أمر قائم بين الناس في كل زمان، ولكن تختلف الآليات والطرق، وقد اشتهرت كثير من النساء في زمن النبي صلى الله عليه وسلم باسم: القابلات^(٣)، وهن اللاتي يقمن بتوليد النساء^(٤).

وما زال هذا الاسم يطلق على النساء اللاتي يقمن بذلك إلى اليوم.

عمر بن الخطاب رضي الله عنه يذكر لها ذلك بعد ولايته الخلافة. وقد كان من أشهر الصحابيات في هذا المجال الصحابية الجلييلة (رُفيدة الأُسلمية الأنصارية) كانت تداوي الجرحى من المسلمين وتقوم بنفسها بخدمة من به ضيعة من المسلمين الجرحى، وقد جعلت في المسجد خيمة تداوي فيها الجرحى، فامر الرسول أن يحول بعض المسلمين إلى خيمتها فحينما أصيب (سعد بن معاذ) رضي الله عنه في غزوة الخندق قال الرسول صلى الله عليه وسلم: (اجعلوه في خيمة رُفيدة حتى أعوده من قريب).

(١) انظر: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام (٢٤٤/٨).

(٢) انظر: المرجع السابق (١/١٦٠).

(٣) انظر: الاستيعاب (٨٤/١) و(١٨٦٨/٤). وغيرها

(٤) انظر: مختار الصحاح ص٢٤٦، مادة: ق ب ل.

٤ - الحجامّة:

وقد كانت معروفة ومشهورة عند أهل الحجاز ومنتشرة بينهم بكثرة، حتى لقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إن كان في شيء من أدويتكم شفاء ففي شرطة محجم أو لذعة بنار وما أحب أن أكتوي))^(١).

وكان هناك مجموعة من الحجامين في زمن النبي صلى الله عليه وسلم اشتهروا بالحجامّة^(٢).

ويلاحظ أن الذين كانوا يحترفون الحجامّة في الغالب من الموالى.

٥ - العطارّة والصيدلة:

والعطارّة مشتقة من العطر بكسر العين وهو الطيب، والعطار هو بائع الطيب وحرفته العطارّة، ولكن العطار لا يقتصر في عمله على بيع العطر وإنما يبيع الأعشاب الطبية المختلفة الأخرى التي تستعمل في علاج المرضى، أيضاً.

فكل عطار في القديم هو إلى الصيدلة أقرب منه إلى العطارّة، وكانوا يسمون الصيدلة العطارّة، وكانوا يسمون أحياناً بالصيدلاني^(٣).

(١) الحديث رواه البخاري في صحيحه، كتاب: الطب، باب: الحجامّة (١٢٥ / ٧) رقم: ٥٧٠٢. وكان يوجد حجامين في عهد النبي صلى الله عليه وسلم: منهم: سالم الحجام ويكنى أبا هند، كان يحجم النبي صلى الله عليه وسلم. انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب (١٧٧٢/٤) ومنهم: أبو طيبة الحجام. انظر: تلقيح فهوم أهل الأثر ص ١٨٦.

(٢) منهم: سالم الحجام ويكنى أبا هند، كان يحجم النبي صلى الله عليه وسلم. انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب (١٧٧٢/٤) ومنهم: أبو طيبة الحجام. انظر: تلقيح فهوم أهل الأثر ص ١٨٦.

(٣) انظر: لسان العرب (٣٨٦/١١) مادة: صندل.

رابعاً: المهن التعليمية:

وقد كانت قليلة عند العرب، ولكن جاء الإسلام وشجع على العلم والتعليم، حتى أصبح كثير من الناس يقومون بالتعليم والتدريس، ولكن لم يكن ذلك عملاً للتكسب في المقام الأول، بل ابتغاء الأجر والثواب، ولكن ذلك لا يمنع أن نسمي العمل باسمه سيما وقد تطور فيما بعد وأصبح مهنة وعملاً يتفرغ له جماعة من الناس، بل كان النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء من بعده يرسلون إلى المناطق من يقوم بتعليم الناس كتاب الله وسنة رسوله والشرائع بصورة عامة.

خامساً: مهن عامة:

وهي المهن التي لا تجتمع تحت مسمى واحد بحيث يمكن إطلاقه عليها، ولكنها موجودة في الواقع يمارسها الناس، بل أحياناً تكون من ضروريات الاجتماع البشري، ومن هذه المهن والصنائع، ما يلي:

١- مهنة بيع اللحوم:

ومهنة بيع اللحوم من المهن المهمة في المجتمع، وذلك لأن المجتمعات لا تستغني عن اللحوم مطلقاً، وقد كان بعض الصحابة في زمن النبي صلى الله عليه وسلم يعمل في بيع اللحوم، ولم تكن هذه المهنة محترمة عند النبي صلى الله عليه وسلم، ولا عند الصحابة الكرام رضوان الله عليهم، ولذلك فقد ورد أن عدداً منهم اشتغل بها، بل من كبارهم .

٢- الإجارة:

من المعروف أن الأجير هو الشخص المستأجر للخدمة، ولكفاية مؤونة العمل وتختلف نوعية العمل الذي يتفق الأجير مع صاحبه عليه من خدمة أو حمالة أو

سقاية أو دلالة أو غير ذلك من الأعمال الشائعة التي يطلب أصحابها الأجراء من أجلها.

وقد كانت الإجارة من المهن الموجودة أيام الرسول صلى الله عليه وسلم في مختلف الأعمال، ويبدو من خلال النصوص أنها قليلة، وربما يعزى ذلك إلى كثرة الرقيق الموالي الذين يقومون بخدمة أسيادهم وعمل ما يحتاجون إليه من الأشياء بالنسبة لكبار القوم، أما صغار القوم فكانوا يقومون بأعمالهم بأنفسهم ويفضلون ذلك على دفع أجرة لمن يقوم لهم بالعمل.

وقد وضعت كتب الحديث أبواباً للإجارة وذكرت ما ورد فيها من أحاديث وأحكام.

وقد حث الرسول صلى الله عليه وسلم على إعطاء الأجير أجرته فقال النبي صلى الله عليه وسلم: ((قال الله تعالى : ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة: رجل أعطى بي ثم غدر، ورجل باع حراً فأكل ثمنه، ورجل استأجر أجيراً فاستوفى منه ولم يعطه أجره))^(١)، ومن الحديث يتبين وجود العمل بالأجرة، وكان الظلم فاشياً في هذا الباب، وإلا لما احتاج كل هذا الوعيد ومقارنة الإجارة بالغدر وبيع الحر.

٣- المهن الحكومية ووظائفها:

ويمكن أن ندخلها هنا، مع أنها أقرب لمسمى الإجارة، ولكنها تطورت فيما بعد حتى أصبحت تعرف بالوظائف الحكومية. وقد كان للنبي صلى الله عليه وسلم عمال يستعملهم على البلدان أو لأعمال ووظائف محدودة.

(١) الحديث رواه البخاري في صحيحه، كتاب: البيوع، باب: من باع حراً (٨٢/٢) رقم: ٢٢٢٧. من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

٤- مهنة الرعي وملحقاتها:

وقد بينا في فصل سابق أن الرعي من أهم المهن التي كان يشتغل بها العرب، وذلك لمناسبتها لتنقلاتهم وعدم استقرارهم في مكان، ثم لحاجاتهم إلى منتجات الإبل والغنم والضأن التي يقومون برعيها ورعايتها.

هذه أنواع من المهن التي كانت موجودة في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، ولا شك أن قد يفوتنا بعض المهن ولكن ليس قصدنا الاستقصاء وإنما التمثيل للصورة التي كانت عليها المهن في ذلك الوقت؛ لبيان أهميتها ومدى الاهتمام بها في السنة والسيرة النبوية.

المبحث الثالث

الاحتراف في الفقه الإسلامي

وفيه مطلبان

المطلب الأول: الأدلة العامة على احترام المهن والحرف وأهميتها

المطلب الثاني: موقع الاحتراف المهني في الأحكام التكليفية

المطلب الأول: الأدلة العامة على احترام المهن والحرف وأهميتها

سبق البيان أن من مميزات الاحتراف والامتهان لمهنة معينة هو: القيام بها بصفة مستمرة ومتكررة، بحيث تصير نشاطاً رئيساً للقائم بها، أما القيام بعمل ما بصفة عارضة فلا يُكسب صاحبه صفة الاحتراف والمهنة وإن كان عمله يخضع لأحكام وقانون المهنة.

والاحتراف ضروري لكسب المعيشة، وتحقيق المستهدفات الأخرى في الحياة. والعمل له أيضاً وظيفة اجتماعية ونفسية، فهو يسبغ على صاحبه قيمة معينة، ويساعده في تحقيق الذات، ويعطيه جملة من المشاعر الإيجابية نحو نفسه ونحو الآخرين.

وفي المجتمع العربي والإسلامي نجد الدين والتراث الإسلامي، ومختلف أدوات التنشئة من مناهج تعليمية وبرامج إعلامية وغيرها تحرض على العمل، وتدعو إلى احترامه.

ويعتبر العمل والاحتراف واجباً إسلامياً على كل فرد، حيث إن قواعد الإسلام، وسلوك الأنبياء والصالحين تبين وجوب العمل في مختلف أشكاله، فقد عرف الأنبياء - عليهم السلام - قيمة العمل على النحو الاحترافي وبينوا ذلك عملاً وقولاً؛ حيث كان إدريس خياطاً، ونوح وزكريا نجارين، وموسى رعى الغنم، ومحمد صلى الله عليه وسلم تاجراً مع عمه أبي طالب، ثم لحساب خديجة بنت خويلد قبل أن يتزوجها. وكذلك كان راعياً للغنم، وكان صالح تاجراً، وإبراهيم زارعاً، وشعيب راعياً وصاحب

ماشية، وداوود زرادا - يصنع الدروع -، وكان سليمان ملكا، وكانت حواء تغزل الشعر فتكتسيه هي وأولادها^(١)، صلوات الله وسلامه على أنبيائه ورسوله.
ولا يجوز لنا أن نستهيين بأية مهنة أو حرفة مهما بدت ضئيلة القيمة؛ فإنها في النهاية لها أهميتها في حركة الحياة، ولا تستقيم الحياة بدونها. والتوجيه النبوي يقول:
((اعملوا فكل ميسر لما خلق له))^(٢).

والعمل الذهني مثله مثل العمل العضلي، كلاهما ضروري لحركة الحياة، ولا يمكن الاستغناء بأحدهما عن الآخر. وممارسة الحرف لا تنقص قدرا ولا قيمة، بل قد تزيد من مكانة المرء في الحقيقة، بخلاف ما قد يتوهمه بعض الناس متأثرا بتراث فيه الدخن الذي ذكرنا في مواضع سابقة من البحث، وقد بينا أن مثل هذه الثقافة ليست سليمة ولا من الدين أو التدين في شيء.

ورد عن لقمان عليه السلام أنه قال لابنه: "يا بني استعن بالكسب الحلال على الفقر، فإنه ما افتقر أحد قط، إلا أصابته ثلاث خصال. رقة في دينه، وضعف في عقله، وذهاب مروءته، وأعظم من هذه الثلاث: استخفاف الناس به"^(٣).
وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: " قيمة كل امرئ ما يحسن"^(٤).

بل إن علوم الحرف ومعارفها قد جعلها الإمام الغزالي من العلوم الشرعية فقال: "من العلوم الشرعية علوم محمودة ترتبط بها مصالح أمور الدنيا كالطب والحساب"^(٥).

(١) المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ) تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م (١٤٦/٢).

(٢) جزء من حديث رواه البخاري في صحيحه، كتاب: التفسير، باب: فسنيسه للعسرى (١٧١/٦) رقم: ٤٩٤٩. ومسلم في صحيحه، كتاب: القدر، باب: كيفية خلق الأدمي في بطن أمه (٤/٤٠٢٠) رقم: ٢٦٤٧. وغيرهما.

(٣) الآداب الشرعية والمنح المرعية، محمد بن مفلح، عالم الكتب (د، ت) (٢٧٧/٣).

(٤) الآداب الشرعية (٣٥٦/١) وغيره.

(٥) إحياء علوم الدين، الإمام الغزالي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت عام ١٩٧٨م، (١٦/١).

وهذه نظرة معمقة جدا لهذه العلوم التي كانت تحقّر وتعتبر من علوم الدنيا، بمعنى أن لا علاقة لها بالآخرة والأجر والثواب، وهي في الحقيقة أجراها قد يكون أحيانا مساويا وأحيانا أعظم من أجر العلوم الشرعية الأخرى؛ لما يتعلق بها من أهمية.

مع هذا فإن الإنسان لا يعمل لمجرد الحصول على الأجر، أو لمجرد الحصول على الطعام والمأوى، وإنما مع ذلك الهدف فهو يعمل لإشباع مجموعة من الحاجات، كالحاجة إلى الأمن، والاحترام والتقدير، والحاجة الفسيولوجية، والحاجة إلى تحقيق الذات وسعادتها.

إن الإنسانية ممثلة بمجتمعاتها المختلفة خلال تاريخها كانت تعيش أغلب حياتها بلغة العمل، وكان علماء الآثار يقيسون مدى التطور الذي بلغه الإنسان الأول بالفحص الدقيق لأدواته البدائية المكتشفة، وعلماء الأجناس يستعينون بالعلاقات المختلفة للمجتمع بالعمل لتحديد أوجه التباين في المميزات الثقافية لمجموعة مختارة من البشر^(١).

وإذا كانت مهمة الإنسان في هذه الحياة هي إعمار الأرض، كما قال الله تعالى:

﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾ (٦١) هود:

٦١ ، وذلك لن يتحقق إلا بالعمل، فالحياة بلا عمل موت، والإنسان قد أعطاه الله تعالى من القوى والطاقات ما يجعله قادراً على قيادة سفينة الحياة بالعمل الجاد المنتج الذي يعود خيره على الفرد والمجتمع.

ومن هنا كان اهتمام الإسلام بالعمل اهتماماً بالغاً: فالإسلام يربط بشكل مستمر بين الإيمان والعمل الصالح، وهذا العمل الصالح يعني كل الأعمال التي يقوم بها

(١) مقال: التربية الحياتية في المرحلة الابتدائية، سعد الهاشل، مجلة العلوم الاجتماعية ج ١٣ العدد ١، الكويت،

الإنسان في حياته ويقصد من ورائها وجه الله تعالى، ونفع الناس ودفع الأذى عنهم، وجلب المصالح والمنافع لنفسه ولأهله ولكل من هو مسئول عنه.

وكل عمل يشتمل على ذلك فإنه يندرج أيضاً تحت مفهومي العبادة والتقوى. وآيات القرآن الكريم التي تشتمل على الربط بين الإيمان والعمل الصالح كثيرة، وقال الحسن البصري^(١) رحمه الله تعالى: "إِنَّ الْإِيمَانَ لَيْسَ بِالتَّحَلِّي وَلَا بِالتَّمَنِّي، إِنَّمَا الْإِيمَانُ مَا وَقَّرَ فِي الْقَلْبِ، وَصَدَّقَهُ الْعَمَلُ"^(٢).

ومن شأن العمل أن يؤدي إلى تطوير الحياة، ومن خلاله يحصل الناس على أقاتهم، والقرآن الكريم يأمرنا أن نجوب الأرض بحثاً عن الرزق، ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَأَمْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ الملك: ١٥.

والحياة سلسلة من الأعمال متصلة الحلقات، والذي يقعد عن العمل مع القدرة عليه لا يستحق الحياة؛ لأنه بذلك يصبح عبئاً على غيره، ويصير طفيلياً على الحياة ذاتها، فالقعود عن العمل أو بغير عمل كسل ممقوت، ومن أجل ذلك لا بد من استغلال الوقت في عمل مفيد، وقد قال أحد السلف لبنيه يوصيهم: "لا يقعدن أحدكم في السوق، فإن كنتم لا بد فاعلين، فإلى زراد أو سراج أو وراق"^(٣). فهو ينصحهم أن لا يقعدوا بغير عمل مفيد أو استفادة وتعلم.

وهذا يعود إلى أن الإسلام - بنصوصه وروحه - دستور ونظام، وعقيدة وشريعة، وعمل للدارين: الآخرة والأولى، وهما في الإسلام موصولتان.

(١) هو: الحسن بن أبي الحسن البصري، واسم أبي الحسن يسار، مولى الأنصار، ولد الحسن لسنتين بقينا من خلافة عمر رضي الله عنه ومات بالبصرة سنة عشر ومائة وهو ابن ثمانين سنة. انظر: طبقات الفقهاء، أبو اسحاق إبراهيم بن علي الشيرازي، هذبه: محمد بن مكرم ابن منظور، تحقيق: إحسان عباس، دار الرائد العربي، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٩٧٠م ص ٨٧.

(٢) الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، أبو بكر بن أبي شيبة، تحقيق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد - الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٠٩هـ، (١٦٣/٦) رقم: ٣٠٣٥١.

(٣) الأعلام، (١٦٦/٢).

والفقه الإسلامي شقان متكاملان متلازمان: عبادات ومعاملات - بحسب الاصطلاح المشهور -، فالى جانب أحكام الصلاة والصيام والزكاة والحج؛ نجد أحكام الشراكة والمزارعة والمساقاة والمضاربة والوكالة والكفالة والحوالة إلى آخر هذه الأمور التي تتصل أوثق اتصال بالحياة الدنيا، والتي تستوعب الأبواب الكثيرة للمعاملات.

والعمل قيمة ينبغي الحرص عليها؛ فالأخذ بها يؤدي إلى التقدم والارتقاء، والتخلي عنها يؤدي إلى التخلف والجمود والموت؛ حيث إن الإنسان - في الإسلام إذا كان مكلفاً بعمارة الأرض، فإن ذلك لن يتحقق بأي حال من الأحوال دون عمل. ونحن لا نقصد هنا بالعمل القيمة المطلقة للعمل فحسب، كشيء فطري في الخلق، وإنما نعني بالعمل ارتباط الفكر بساحات الأداء البشري المفصل، واتصال المعارف بالتجربة والتطبيق كذلك؛ فالإسلام دعا الإنسان إلى الاهتمام بالصناعات بقدر اهتمامه بتحصيل العلوم النظرية.

المطلب الثاني: موقع الاحتراف المهني في الأحكام التكليفية

الفرع الأول: بين العبادات والمعاملات

عندما تسأل كثيرا من المسلمين عن مسائل في فقه العبادات وبالأخص الصلاة وما يتعلق بها فإن جمهورهم يجيبون إجابات متقاربة عن معرفة وعلم - وإن بصورة متفاوتة-، وكلما خرجت من باب العبادات إلى المعاملات تجد عددهم في تناقص مستمر حتى تصل إلى من لا يعرف أن ما تسأله هو من أبواب الفقه. والسبب في ذلك يعود - بحسب نظرنا - إلى الأمور التالية:

١- الترتيب الفقهي للموضوعات الفقهية، الذي تواضع عليه علماء الفقه والشريعة، فدارس الفقه وموضوعاته يرى أن الترتيب الفقهي يبدأ من أبواب الطهارة في الصلاة ثم بقية العبادات، ثم الجنائز ثم المعاملات. وكثير من الناس لا تسمح ظروفه بمواصلة التعلم إلى أن يصل إلى أبواب المعاملات لدراستها، فضلا عن فهمها واستيعابها، وبالتالي يتخرج إلى الحياة بفقه ناقص أو مبتور.

٢- الفكر الخاطيء السائد بين المسلمين في اختزال الإسلام في العبادات وأنها فقط هي: الصلاة والصوم والزكاة والحج ونوافلها، ويصاحب ذلك سيل برامج من التوعية الرسمية التي تركز على العقيدة والعبادات وتوحي باختزال العبادات في الفرائض المذكورة ونوافلها، وهذا كله دون ربط بين العبادات كلها، ودون بيان أن السلوك من العبادات ومن أسس القيم الدينية، ومن هنا يخرج جيل مشوه الفكر والثقافة لا يرى قيمة للحياة العملية بجانب مفردات العقيدة النظرية والعبادات التي يغلب عليها النفع الفردي.

فتجد مسلماً يصلي الصلوات الخمس وربما في جماعة فإذا عاملته بالدينار والدرهم رأيت العجب، مما يؤدي إلى وجود ظلال من الوعي غير السليم وغير المتوازن للقيم الدينية، وبالتالي يؤثر على الأداء والأخلاق والإنتاج. وخير شاهد على ذلك الانفصام: ازدحام البنوك الربوية في البلدان الإسلامية بالعملاء والمودعين مع علم الجميع أنه ربا محرم.

وتسمية الأحكام الفقهية الخاصة بالأعمال والمهن وتعاملات الناس الدنيوية وأحوالهم الحياتية بفقه المعاملات دون إضافة ذلك إلى مصطلح العبادة، يجعل الكثير من الناس يسحب معاني النصوص التي تحدثت عن الدنيا ودمها ودم أصحابها والمحبين لها على الذم في كل الأحوال، وتُغفل النصوص الكثيرة التي مدحت هذه الأعمال والمهن وما تنتجه من سلع وخدمات، وهي تفوق بكثير النصوص التي جاءت في الشعائر التعبدية، بحسب المفرقين بين الشعائر والأعمال.

٣- ما يجري على السنة الفقهاء في كتب التراث الفقهي من جعلهم الأوامر بالعمل والسعي من الأمور المباحة التي مردها إلى الفرد نفسه، ومن ذلك ما ورد عن الأصوليين والمفسرين في قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ الجمعة: ١٠. من أن الأمر بالانتشار يوم الجمعة للإباحة، وهذا هو قول أغلب الأصوليين أو كلهم، مع أن الآية تتكلم حول واجبات ومنهيات بصيغة واحدة، قال تعالى: ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ الجمعة: ٩. ففي الآية عدد من الأوامر: (اسعوا، ذروا البيع، انتشروا في الأرض، اذكروا الله). وكلها في سياق واحد بصيغة الأمر فما الذي جعل

الأمرين الأولين للوجوب وما بعدهما للندب والإباحة ؟ وإذا كانت القرينة العقلية هي التي سوغت القول بأن الأمر في بعضها للوجوب وفي بعضها للإباحة، فهل يمكن أن يتغير النظر العقلي في المسألة أم لا ؟ وهل يمكن أن نقول إن النظر العقلي يقتضي أن يقال: إن صلاة الجمعة واجب عيني - بشروطه-، والانتشار للعمل والكسب واجب أيضا- بتفصيل بين العيني والكفائي-.

والآية يفهم منها: ترتيب الواجبات من حيث الأوقات والأداء، لا سقوط بعضها ببعض، مع التسليم باختلاف درجة الوجوب لملايسات أخرى. ثم ما دلالة وضع الانتشار في الأرض والابتغاء من فضل الله بين عبادتين من أهم العبادات وهما: الصلاة والذكر؟ وما دلالة الأمر بالانتشار في يوم الجمعة وهي عيد المسلمين وفيه راحتهم؟ وما معنى الانتشار؟

والذي يظهر - والله اعلم- من خلال الآية :

أن الانتشار بعد صلاة الجمعة ينتزل عليه الأحكام الخمسة : فهو واجب على من لديه عقود عمل مع جهات أخرى تلزمه، وعلى من في معناه من أصحاب المهن الذين يتضرر الناس بغيابهم عنها ويصيبهم الحرج . وهو مندوب لأهل المهن والمتاجر الذين يقدمون خدماتهم للأمة بسعر يومها، مع وجود غيرهم، إذ بانتشارهم إلى أعمالهم تحقيق لمصالح الأمة. وهو مباح لجمهور الأمة الذين يرجون تحقيق مصالحهم دون تعليق ذلك بمصالح غيرهم أو مضارهم.

وهو مكروه لمن يكون انتشاره من أجل مصلحة ذاتية لكنه على حساب التفريط الدائم في بعض المندوبات من زيارات الأرحام وغيرها.

وهو محرم لمن يكون انتشاره لتحقيق مصلحة ومنفعة عن طريق الحرام والمعصية، فسكونه يقلل عليه الوقوع في الحرام كما يقلل الضرر بالآخرين.

والداعي لهذا القول هو ما يلي:

١- أن الآية فيها أكثر من أمر، وحمل بعضها على الوجوب والبعض الآخر على الإباحة المطلقة، غير مبرر على وجه كاف؛ كون المسلم مطالب شرعا أن يؤدي صلاة الجمعة ويذر البيع وقت أدائها كما هو مطالب شرعا بالعمل وبذل الجهد في تحصيل المعاش في الوقت الآخر.

٢- أن المطلوب شرعا هو الانتشار، ومعناه يدل على التفرق والتشعب^(١) والانبساط^(٢)، كما يدل على سهولة ويسر، فهو غير السعي، إذ أن السعي يوحي بالإسراع^(٣)، ويوضح ذلك آية سورة الملك: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَأَمْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ الشُّورُ ﴿١٥﴾ الملك: ١٥. فالآية تأمر بالمشي في طلب الرزق، والمشي هو: الانتقال من مكان إلى مكان بإرادة^(٤)، ويترتب على هذا النقطة التالية.

٣- في الآية بيان لحالتين من التعامل:

- التعامل مع القضايا الأخروية، والآية تبيّن أن التعامل معها يكون بالسعي والإسراع، كما قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ آل عمران: ١٣٣.

- التعامل مع القضايا الحياتية، وفي الآية بيان أن التعامل معها يكون بالانتشار والمشي، وليس من داع لأن يقال إن الأمر للإباحة، إلا أن يقال إن طلب الرزق والمعيشة أمر مباح لا واجب، وهو غير ذلك.

(١) انظر: مقاييس اللغة (٤٣٠/٥) مادة: نشر.

(٢) المعجم الوسيط (٩٢١/٢) مادة: نشر.

(٣) انظر: العين (٢٠٢/٢) مادة: سعى.

(٤) تاج العروس (٥٣٣/٣٩) مادة: مشى.

وإذا كان المقصود بالإباحة هو كون الانتشار عقب الصلاة مباشرة كما تفيد الفاء التي في الآية " فانتمشوا"، فحسنٌ، وكذلك في قوله: "فامشوا في مناكبها" يحمل الأمر على إباحة العمل والمشى لتحصيل المنافع عقب سماع الآية، أو المباح هو التوجه في المشى إلى أي مَنكِبٍ كان.

ومن المسلم به أن الفقهاء ذهبوا إلى أن الاكتساب فرض على المحتاج إليه إذا كان قادراً عليه، لأن الكسب يعين المكلف على القيام بما وجب عليه من التكاليف المالية، من الإنفاق على النفس والزوجة والأولاد الصغار، والأبوين المعسرين، والجهاد في سبيل الله^(١)، وغير ذلك.

ومما يدل لما ذهب إليه، من اهتمام الإسلام الكبير بأعمال الحياة:

- عدم ورود نص يدعو إلى ترك العمل وتوقيفه ولو للحظة واحدة إلا في صلاة

الجمعة، في قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ

فَأَسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ الجمعة: ٩.

- توسعة أوقات الصلوات الخمس وعد تحديد الوقت بلحظة واحدة كما يظن الكثير.

فقد وضع الشارع لكل شعيرة وقتاً جعل له طرفين بداية ونهاية، وأضاف لذلك وقت قضاء لكل عبادة لم تؤد في وقتها المعين لسبب من الأسباب المقبولة، بأن تؤدى عند تذكرها، فعن أنس بن مالك قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((مَنْ

(١) انظر: المبسوط، محمد بن أحمد بن أبي سهل شمس الأئمة السرخسي، دار المعرفة، بيروت،

١٤١٤هـ، ١٩٩٣م (٣٠ / ٢٤٤) وما بعدها. الآداب الشرعية (٣ / ٢٧٨ و ٢٨٢) وغيرهما.

نَسِيَ صَلَاةً أَوْ نَامَ عَنْهَا، فَإِنَّمَا كَفَّارَتُهَا أَنْ يُصَلِّيَهَا إِذَا ذَكَرَهَا))^(١) ، وفي حديث جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ((أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَاءَهُ جِبْرِيلُ، فَقَالَ: قُمْ فَصَلِّ، فَصَلَّى الظُّهْرَ حِينَ زَالَتِ الشَّمْسُ، ثُمَّ جَاءَهُ العَصْرُ، فَقَالَ: قُمْ فَصَلِّ، فَصَلَّى العَصْرَ حِينَ صَارَ ظِلُّ كُلِّ شَيْءٍ مِثْلَهُ - أَوْ قَالَ: صَارَ ظِلُّهُ مِثْلَهُ - ثُمَّ جَاءَهُ المَغْرِبُ، فَقَالَ: قُمْ فَصَلِّ، فَصَلَّى حِينَ وَجَبَتِ الشَّمْسُ، ثُمَّ جَاءَهُ العِشَاءُ، فَقَالَ: قُمْ فَصَلِّ، فَصَلَّى حِينَ غَابَ الشَّفَقُ، ثُمَّ جَاءَهُ الفَجْرُ، فَقَالَ: قُمْ فَصَلِّ، فَصَلَّى حِينَ بَرَقَ الفَجْرُ - أَوْ قَالَ: حِينَ سَطَعَ الفَجْرُ، ثُمَّ جَاءَهُ مِنَ الغَدِ لِلظُّهْرِ، فَقَالَ: قُمْ فَصَلِّ، فَصَلَّى الظُّهْرَ حِينَ صَارَ ظِلُّ كُلِّ شَيْءٍ مِثْلَهُ، ثُمَّ جَاءَهُ لِلعَصْرِ، فَقَالَ: قُمْ فَصَلِّ، فَصَلَّى العَصْرَ حِينَ صَارَ ظِلُّ كُلِّ شَيْءٍ مِثْلِهِ، ثُمَّ جَاءَهُ لِلمَغْرِبِ، وَقَتًا وَاحِدًا لَمْ يَزَلْ عَنْهُ، ثُمَّ جَاءَ لِلعِشَاءِ، حِينَ ذَهَبَ نِصْفُ اللَّيْلِ - أَوْ قَالَ: ثَلَاثُ اللَّيْلِ - فَصَلَّى العِشَاءَ، ثُمَّ جَاءَهُ لِلفَجْرِ حِينَ أَسْفَرَ جِدًّا، فَقَالَ: قُمْ فَصَلِّ، فَصَلَّى الفَجْرَ، ثُمَّ قَالَ: مَا بَيْنَ هَذَيْنِ وَقْتٌ))^(٢).

وفي هذا توضيح لأوقات الصلوات الخمس، ونلاحظ سعة الأوقات، وهذا يعني أن من صلى في أي لحظة من هذا الوقت فصلاته صحيحة كونه صلاها في التوقيت النبوي، ولأن هذه المدة الزمنية هي التوقيت المقصود في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا ﴾^(١٣) النساء: ١٠٣ .

(١) الحديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٣٤/١٩) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، قال محققه: إسناده صحيح على شرط الشيخين. وجاء نحوه مخرج في البخاري ومسلم ، بلفظ ((من نسي صلاة فليصل إذا ذكرها، لا كفارة لها إلا ذلك)) انظر: صحيح البخاري، كتاب: الصلاة، باب من نسي صلاة فليصل إذا ذكر (١٢٢/١) رقم، ٥٩٧. وصحيح مسلم، كتاب: الصلاة، باب: قضاء الصلاة الفائتة (٤٧٧/١) رقم: ٦٨٤.

(٢) الحديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٤٠٩/٢٢) من حديث جابر رضي الله عنه، وقال محققه: إسناده صحيح، وأخرجه النسائي بمثله، في السنن الصغرى لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي، عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب، الطبعة: الثانية، ١٤٠٦ - ١٩٨٦م، (٢٥٥/١) رقم: ٥١٣، وقال الألباني: صحيح.

وأداء النبي صلى الله عليه وسلم للصلاة خلف جبريل في أول الوقت وآخره ثم قوله "ما بينهما وقت" دليل بالقول والفعل على المشروعية.

- التوسعة في مكان أداء الصلاة، كما في قول النبي صلى الله عليه وسلم: ((وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، فأیما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل))^(١) ، وهذا فيه دليل على مخالفة اليهود والنصارى الذين شدد عليهم بطلب أداء شعائهم في الكنائس والدير والبيع.

وهذا التسهيل في التعبد يثبت كون الإسلام هو الدين الخاتم الوسط العدل، الذي يسع كل الناس زماناً ومكاناً، بحسب أعمالهم ومكانتهم، فهو يهدف إلى أسلمة جميع البقاع والمحلات والحياة كلها، بحيث يصير فيها مصليات تقام فيها الشعائر ويقضى فيه على الفصل الحاصل بين التدين الشعائري والتدين المعاملاتي، وبالتالي ينسحب مسمى العبادة على الجانبين (الشعائري والحياتي) ليسهل على المهنيين تذكر القصد الشرعية من الأعمال والوظائف، وتتحسن النيات والتصرفات. ومن هنا كان القيام بعبادة الصلاة جائزاً في أي مكان وله نفس المردود، لمن كان ذا مهنة أو حرفة منشغلاً بها، خاصة وأنه لم يرد دليل يدعو إلى ترك الأعمال والتوجه إلى المساجد إلا في يوم الجمعة فقط، كما ذكرنا سابقاً، إذ حملت الآية أمراً بالسعي الحثيث السريع إلى المساجد وترك العمل والبيع عند سماع المنادي يؤذن وينادي لصلاة الجمعة، ولم يرد دليل آخر يدعو إلى توقيف العمل سواه، وحتى هذا الأمر الذي يحمل حظراً للبيع والشراء والأعمال والأشغال بعد سماع النداء من يوم الجمعة لم يستمر بل جاء بعده أمر بالانتشار للابتغاء من فضل الله من الأرزاق والنعمة، فقال تعالى مرشداً وأمرًا: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ

(١) الحديث رواه البخاري في صحيحه، كتاب: التيمم (٧٤/١) رقم: ٣٣٥. من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه.

وَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾ الجمعة: ١٠ . فارشد الى العودة للأعمال والأشغال والتخصصات مع الإكثار من ذكر الله الذي تمثل الصلاة جزء منه حيثما حللتم ونزلتم.

وكما حملت الآية الأولى أمران بالسعي إلى الصلاة والتوقف عن ممارسة العمل حملت الآية الثانية أمران بالانتشار في الأرض والابتغاء من فضل الله تعالى.

ومما سبق يتبين أن الشعائر جزء لا يتجزأ من منظومة العبادات الدينية التي تحوي كل الأعمال والأقوال والتصرفات، وأن أهم شعيرة منها وهي الصلاة، لا يلزم لإقامتها توقف الحياة والأعمال وإغلاق الأسواق والمتاجر. ومن يعرف المصانع بآلاتها ومعداتها التي تعمل ليل نهار دون توقف على مدار الأيام والساعات، وما يتطلب لتشغيلها من عمال وموظفين يعملون في ورديات متعاقبة، وما يمكن أن تخسره هذه المصانع عند توقفها للحظات، يدرك أننا بحاجة إلى ترتيب صلاة الجماعة وفق هذه الورديات في إطار التوقيت الذي ذكرنا سابقا، حتى لا يحرم أحد من الصلاة في وقتها، ولا مانع أن تتوزع الجماعات على الوقت المذكور فتكون جماعة في أوله وجماعة في وسطه وكذا في آخره، ولعل الشارع الحكيم أراد بهذه الأحكام أن يضع حلولا عملية وواقعية لمثل هذا الأمر الهام.

وعلى هذا فليس من الفقه ما يمارس في بعض الدول من إغلاق للمحلات وإلزام للناس بالتوقف عن العمل وممارسة الإنتاج، وإيقاف عجلة الحياة والأسواق، والتوجه إلى المساجد لأداء الصلوات في أول أوقاتها وفي المساجد، إذ لا يوجد دليل على ذلك، بل المنطوق والمفهوم من النصوص يدل على عكس ذلك كما سبق، وندرك أن كثيرا من الأحكام التي نسمعها اجتهادات تتردد بين الصواب والخطأ، وإن سَوَّقَ لها على أنها صواب محض وقطعية الدلالة.

وفي إعمال النصوص على وجهها الصحيح نكون قد قمنا بواجب الشعائر بصورة صحيحة، مع قيام واستمرار العمل والإنتاج، فيتحقق بذلك الاستقرار الاقتصادي والاكتفاء الذاتي من جميع متطلبات الحياة المادية والمعنوية، ولا فرق بين الأمر من حيث التدبير والاهمية والأثر في الواقع.

الفرع الثاني: الواجب العيني حده ونسبته من الأعمال

حدده وتعريفه:

هو ما يطالب بأدائه المكلفون كلهم وإذا فعله بعضهم لم يسقط الطلب عن الآخرين كالصلاة والصوم، وسمي بذلك لأن الخطاب يتوجه إلى كل مكلف بعينه بحيث لو عجز عن فعل الواجب لم يطلب الفعل من غيره، ولا تبرأ ذمة المكلف إلا بفعله^(١).

فالواجب العيني لا يسقط بحال.

نسبته من الأعمال:

فقد ذكرت القرآن الكريم الشعائر

الصلاة	(٦٣) مرة
الزكاة	(٣٢) مرة
الحج	(٧) مرات
الصوم	(٩) مرات

المجموع ١١١ آية من (٦٢٣٦) من آيات القرآن الكريم

وبنسبة ٢% تقريبا من آيات القرآن الكريم .

جميع الأعمال الفردية المطالب بها الأفراد من صلاة وصيام وزكاة وحج وغيرها في المفردات العينية تشغل حيزا بسيطاً في وقت المكلف وعمره.

فالصلاة - الواجب اليومي - تحتاج جزء من أربعة وعشرين جزءا من اليوم، وبنسبة

$$(١: ٢٤) \text{ من اليوم وذلك بقسمة } ٦٠ \text{ دقيقة } \div ١٤٤٠ \text{ و } ١٠٠ \times = ٤,١٦\%$$

(١) انظر: المُهَدَّبُ فِي عِلْمِ أَصُولِ الْفَقْهِ الْمُقَارِنِ (تحريرٌ لمسائله ودراستها دراسةً نظريَّةً تطبيقيَّةً)، عبد الكريم بن علي بن محمد النملة، دار النشر: مكتبة الرشد - الرياض، الطبعة الأولى: ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م (٢١٤/١).

والصوم واجب في نهار رمضان يحتاج إلى : (١ : ٢٤) جزءا من العام إذا خصمنا الليل من ليالي رمضان، بما يساوي: ٤,١٦%

$$١٥ \text{ يوم} \div ٣٤٥ \text{ يوم} = ١٠٠ \times ٤,١٦\%$$

والزكاة الفريضة السنوية تحتاج إلا نسبة قد تساوي نسبة الصوم أي نصف شهر في العام (١ : ٢٤) وبنسبة ٤,١٦% وذلك لحاجة التاجر إلى وقت لاحتساب نسب

الزكاة من أمواله بأصنافها المختلفة وأنصبتها المحددة لكل صنف

، والحج هو العبادة العمرية تحتاج إلى قرابة عام لتوفير مصاريف واحتياجات الحج

من ٦٥ عام باعتباره متوسط التقدير النبوي لأعمار أمته فيكون النسبة

$$١٢ \text{ شهر} \div ٧٨٠ \text{ شهر} = ١,٥\% \text{ تقريبا.}$$

وعند الجمع وقسمة الناتج على الأربع الشعائر يكون الناتج يساوي: ٣,٥% تقريبا

من عمر الإنسان،

ومن الأدلة على ما ذهبُ إليه من هذا الحساب التقريبي هو نسبة ما ذكره الله

في كتابه وما بينه في قرآنه عن هذه الشعائر والعبادات.

والآيات التي ذكرت الفروض التي تلقب بالكفائية تستحوذ على معظم آيات القرآن

الكريم، في إشارة واضحة إلى الأهمية القصوى لها.

الفرع الثالث : الواجب الكفائي حده ونسبته من الأعمال

أولاً: حده:

هو ما يطالب بأدائه مجموع المكلفين وإذا قام به البعض سقط الطلب عن الباقيين وإذا لم يفعله أحد أثموا جميعاً، مثل: تغسيل الموتى وتكفينهم والصلاة عليهم ودفنهم وغير ذلك مما يهم الجماعة ولا يسقط إلا بأدائه^(١)، ومن ذلك أيضاً: الولايات العامة، والجهاد، وتعليم العلم، وإقامة الصناعات المهمة، فهذه كلها فروض كفايات^(٢).

ومن خلال التعريف السابق نجد أن الواجب الكفائي هو الفعل المطلوب وجوده من جميع المكلفين على العموم، وإذا لم يقم به أحد كان الإثم على الجميع، وإذا حصل على صورة ناقصة بقي من إثمه بقدر نسبته على الجميع.

وما ساقه الفقهاء في التعريف السابق من أمثلة كان على طريق التمثيل لا الحصر. وإذا كانت هناك واجبات كفاية نحو الفرد المسلم عند موته لما تقتضيه أخوة الإسلام، فكذلك هناك واجبات في حياته وهي أهم من الأولى، مثل: إطعام الجائع وكسوة العاري وتوفير كافة الحاجات اللازمة للحياة السعيدة للفرد والمجتمع.

وهناك واجبات كفاية عامة نحو المجتمع المسلم مثل: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقيام الولايات العامة والجهاد والعلم وإقامة الصناعات.

وتحت كل بند من هذا البنود مباحث وأبواب وفقرات وأنواع، ومجموع ما على المسلم من الواجبات الكفاية يمكن أن يشغل النسبة العالية من عمره وحياته وأعماله، وذلك بالمقارنة بالواجب العيني، وكل ذلك وفق الإمكانيات والقدرات والتخصصات.

ويلتقي الجميع في تحقيق الاستخلاف على هذه الأرض من خلال كل تلك الأعمال الحرفية والمهنية والوظيفية، فردية وجماعية، وبهذا يتلخص لنا أن جزءاً

(١) انظر: المَهْدَبُ في عِلْمِ أُصُولِ الْفِقْهِ الْمُقَارِنِ (١/٢١٤).

(٢) الموافقات (٤/٢٠٥).

كبيراً من الواجب الكفائي هو القيام بأداء المهن والحرف والوظائف في المجالات والتخصصات التي يحتاجها المجتمع.

والاحتراف كما سبق فرض كفاية، ولذلك يجب على عموم الأمة توفير المهن والحرف التي تلبى احتياجات المجتمع، وحتى تسقط الفرضية التي عليها.

وفي ذلك تحقيق لمبدأ الاستخلاف في الأرض، كما قال تعالى: ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ البقرة: ٣٠، وكما هو مفهوم الاستعمار الذي ذكره الله بقوله: ﴿ هُوَ أَشْأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ﴾ هود: ٦١، أي من أجل أن تعمروا الأرض، فهي المشيئة العليا تريد أن تسلم لهذا الكائن الجديد في الوجود زمام هذه الأرض، وتطلق فيها يده، وتكل إليه إبراز مشيئة الخالق في الإبداع والتكوين، والتحليل والتركيب، والتحويل والتبديل، وكشف ما في هذه الأرض من قوى وطاقات وكنوز وخامات، وتسخير هذا كله- بإذن الله- في المهمة الضخمة التي وكلها الله إليه^(١).

ويرتبط بمعنى "الاستخلاف" و"عمارة الأرض" مفهوم "التسخير"؛ فالله سبحانه وتعالى قد سخر لعباده ما في السموات وما في الأرض؛ كما قال سبحانه ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ الجاثية: ١٣، والتسخير هو التذليل كما قال سبحانه: ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَأَمْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴾ الملك: ١٥.

ويتضح من الآيات التي ورد فيها ذكر التسخير أنها تتضمن تعداد الموارد التي حبانا الله إياها في هذا الكون، وأنها مدللة لنا؛ لكي نبذل وسعنا في استثمارها واستغلالها، وكذلك تتضمن ذكر النعم والمخلوقات المسخرة لنا، وقد يقترن ذلك بذكر منفعة معينة، أو عمل مهني معين، بشكل تفصيلي واضح؛ كما في قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي، دار الشروق - بيروت - القاهرة، الطبعة: السابعة عشر - ١٤١٢ هـ (٥٦/١).

الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حَبْلَةً ثَلَسُونَهَا وَتَرَى
الْفَلَكَ مَوَازِيرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾ النحل: ١٤ .

ومن خلال ما سبق يتضح أن معنى الاستخلاف وعمارة الأرض إنما يتم ببذل
الجهد الذهني والعضلي من خلال العمل والممارسة المهنية التي تتم في جنبات
الأرض، وفي ثنايا الموجودات المسخرة للإنسان، ليحقق بذلك عمارة الأرض وفق
منهج الله الذي شرعه للحياة. هذا من حيث الأصل والغاية، أما من ناحية الواقع
فربما ارتقى الفرد في كدحه وعمله إلى أن يكون محققا لمنهج الله في نفسه وفي
الحياة من حوله، وربما هبط في كده وعمله إلى أن يكون محاربا لمنهج الله ودينه
وشرعه الذي شرعه لصالح عباده، وربما كان في عمله في منزلة من المنازل
المتعددة بين هذين النقيضين.

وقد نص العلماء على وجوب القيام بكثير من الأعمال والصنائع التي تهيب
للمجتمع حياة طيبة واجتماعية، وتضمن له التقدم والازدهار والحفاظ على الصحة
والعلاقات والروابط الاجتماعية العامة، والقيام بالصناعات والحرف الضرورية
للمجتمع، من أجل أن تصل الأمة إلى درجة من الاكتفاء الذاتي لا سيما في
الصناعات الاستراتيجية^(١).

ويقرر علماء الإسلام دور الدولة في إيجاد الحرف الصغيرة فيقول ابن تيمية في
مؤلفه "الحسبة في الإسلام" إنه " إذا كان الناس محتاجين إلى فلاحه قوم أو نساجتهم
أو بنائهم صار هذا العمل واجبا يجبرهم ولي الأمر عليه إذا امتنعوا عنه بعوض

(١) انظر: الآداب الشرعية (٣/٢٧٠). الإدارة في عصر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، أحمد عجاج كرمي،
دار السلام - القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٧ هـ. ص ١٧٨. وغيرهما.

المثل، ولا يمكنهم من مطالبة الناس بزيادة عن عوض المثل^(١). ويقول الغزالي: "إن الصناعات والتجارات لو تركت بطلت المعاش وهلك أكثر الخلق، فانتظام أمر الكل بتعاون الكل وتكفل كل فريق بعمل، ولو أقبل كلهم على صنعة واحدة لتعطلت البواقي وهلكوا"^(٢).

والأعمال الكفائية متى لم يقد بها إلا إنسان بعينه صارت فرض عين عليه، إن كان غيره عاجزاً عنها^(٣).

ولا ريب في أن هذه الحرف والصناعات ضرورية للحياة، والضروريات من أعلى مراتب مقاصد الشريعة، وتحصيل الضروريات واجب، ولن تحصل إلا بتعلم تلك الحرف وممارستها، وتوفير المحترفين الذين يعملون في هذه الصناعات، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب.

(١) الحسبة في الإسلام، أو وظيفة الحكومة الإسلامية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم ابن تيمية، دار الكتب العلمية، ص ٢٦.

(٢) إحياء علوم الدين، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، دار المعرفة، بيروت (٨٣/٣).

(٣) الحسبة في الإسلام، ص ٢٦. والفتاوى الكبرى لابن تيمية، دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧ م (٢٨ / ٨٢ ، ٨٦) وغيرها.

المبحث الرابع

من فقه المهن عند السلف

المطلب الأول: مفهوم الاحتراف والتكسب والعمل

المطلب الثاني: ممارسات السلف لبعض المهن

المطلب الأول: مفهوم الاحتراف والتكسب والعمل

وهنا لن نتطرق إلى المعاني اللغوية والاصطلاحية وإنما إلى نظر السلف للموضوع ثقافة وممارسة، حيث كانت الثقافة السائدة قد اختلفت كثيراً في مفهوم العمل والاحتراف عما كانت عليه عند العرب في الجاهلية، ذلك لأن الإسلام أعلى من قيمة العمل والكسب، وزجر عن التسول والتبطل المتعمد وغير المبرر.

وقد عرفنا سابقاً أن المهن والحرف كانت محتقرة عند العرب، فيما عدا حرفة التجارة التي كان يمارسها بعض منهم، مع انتشار الفقر والحاجة في معظم المناطق العربية.

ولما جاء الإسلام حرر المهن والحرف من تلك النظرة السلبية التي لا تخدم الفرد ولا المجتمع.

والعرب قبل الإسلام لم يكن لهم دولة لها مقومات الدول التي كانت قائمة في زمنهم، كما لم تكن لديهم المدن الكبيرة التي قد تضطربهم إلى ممارسة المهن بالكثافة التي تقتضيها تلك المدن، ولم يكن لهم رسالة تدفعهم إلى ضرب المثل والقوة الحسنة في كل المجالات، وإنما كانت تسوقهم مصالح أنية يحتكمون إليها في نظرهم إلى المهن والحرف.

ولما جاء الإسلام كانت رسالته وأهدافه واضحة لدى الصحابة الكرام، فهدفه بناء أمة صالحة تعمر الأرض وتبنيها، ورسالته عالمية ذات أخلاق تحررية تفاضل بين الناس بالتقوى فقط، وتجعل قيمة كل إنسان ما يحسنه، وتوظف كل الطاقات لبناء الدولة وخدمة الأمة، ومن هنا اختلفت نظرة الناس للمهن والحرف، وطراً عليها تطور كبير دفع بها دفعة قوية بل وتخصوية أيضاً.

كان الصحابة الكرام يدركون في مبدأ نشوء الدولة المسلمة أنهم بحاجة إلى كل الكفاءات التي تخدم الدولة الفتية، وهذا أمر طبيعي في مجتمع يريد الاعتماد على ذاته، وبمقومات ذاتية، ذلك أن الاعتماد على الغير يجعل القرار مرهون إليه، ومن هنا ترجم الصحابة النصوص إلى واقع عملي فذهب كل منهم يتخصص في مجال عمل يرغب فيه ويحسنه وهو مستشعر الأجر متوخ العزة والعفة، ثم جاء بعدهم خلوف صالحون لهم نفس الفهم والإدراك.

ولقد مارس المهن والحرف عدد غير قليل من الصحابة، ولم يكونوا يفرقون بين المهن من حيث هي، ولذلك مارسوا مهناً متعددة، مثل: الحدادة والجزارة والتجارة والزراعة والنجارة والكتابة والتعليم وغيرها.. من المهن التنموية.

من هنا يمكن لنا أن ندرك أن الخلفية الثقافية هي التي كان لها الأثر الفعال في تغيير نظر الناس إلى الحرف والمهن والعمل والكسب ومن ثم الممارسة العملية.

لماذا العمل والاحتراف؟

جعل الله هذه الدنيا مطية الآخرة، وسبباً يستعين بها الإنسان على أمر الآخرة؛ ولذلك بين الله في كتابه أنه سخر الأرض وما فيها للإنسان، قال الله تعالى: هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾ البقرة: ٢٩، وقال تعالى: ﴿ أَمْ أَمِنْتُمْ مَن فِي السَّمَاءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ۗ فَسَتَعْمُونَ كَيْفَ نَذِيرٍ ﴿١٧﴾ الملك: ١٧.

والمعنى: "فسافروا حيث شئتم من أقطارها، وترددوا في أقاليمها، وأرجائها، في أنواع المكاسب، والتجارات"^(١).

وكثير من الآيات والأحاديث جاءت بالحث على الكسب، والضرب في الأرض، وكل ذلك من أجل تحصيل المال، ليس لمجرد جمعه، بل ليكرم به الإنسان وجهه، ويصل به رحمه، ويستعين به على طاعة ربه.

وكان السلف يرون للمال وإيجاده أهمية كبيرة في حياة الفرد والجماعة، فقد بين ابن القيم أن الله سبحانه " سمى المال خيراً في غير موضع من كتابه، كقوله تعالى: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةَ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴾ (البقرة: ١٨٠) ، وقوله ﴿ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴾ (٨) العاديات: ٨ ... وجعل الله المال قواماً للأنفس، وأمر بحفظه، ونهى أن يؤتى السفهاء، ولا خير فيمن لا يريد جمع المال من حله، يكف به وجهه عن الناس، ويصل به رحمه، ويعطي حقه"، والآثار عن السلف في هذا كثيرة بحيث لا تحصر، وذلك يدل على فهمهم الواسع لوظائف المال وأهميته في فقه التدين^(٢).

ولتحقيق هذه الغايات الشريفة للمال: عمل الأنبياء والرسل بمهن وحرف ووظائف مختلفة، كالرعي والتجارة والنجارة والمهن والوظائف الحكومية الإدارية، كما هو معلوم من القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة^(٣).

(١) تفسير القرآن العظيم ١٩٩/٠٨.

(٢) عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية ، دار ابن كثير، دمشق، بيروت/مكتبة دار التراث، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م ص ٢٥٨، ٢٥٩.

(٣) ففي الحديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: (مَا بَعَثَ اللَّهُ نَبِيًّا إِلَّا رَعَى الْعَنَمَ)، فَقَالَ أَصْحَابُهُ: وَأَنْتَ؟ فَقَالَ: (نَعَمْ، كُنْتُ أُرْعَاهَا عَلَى قَرَائِطٍ لِأَهْلِ مَكَّةَ) رواه البخاري في صحيحه،

وقد أكد الإسلام مبدأ السعي في الأرض، وطلب الرزق، فقال تعالى ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾ (البقرة: ١٩٨) قال ابن عباس: أي: في مَوَاسِمِ الْحَجِّ^(١).

وقد نص الفقهاء والمحدثون على ذلك؛ فبواب البخاري - رحمه الله - في صحيحه كتاب البيوع، وفيه: باب "الخروج في التجارة و"باب التَّجَارَةِ فِي الْبَحْرِ"، و"باب ما قيل في الصُّوَاغِ"، و"باب ذكر القين والحداد"، و"باب الخياط"، و"باب النساج"، و"باب النَجَّارِ" ... إلى غير ذلك من أبواب في الأعمال والمكاسب.

وأراد البخاري بهذه التبويبات وأحاديثها التدليل على مشروعية العمل، والاحتراف، والتمهن. كما بين أن ما يظنه بعض الناس من أن الإسلام لا يحث على التكسب، والعمل، هو ظن غير صحيح، وما يظنه كثيرون في بعض المهن أنها دينيَّة فغير صحيح كذلك.

ولا يعارض الإسلام أن يكون الإنسان في مهنة مرموقة، ووظيفة حسنة، بل يشجع الإسلام على ذلك، وأن يكون الإنسان في أحسن مستوى، وأكمل حال، بل وأن يطلب الأفضل والأحسن، ويسعى لتحصيله، بشرط أن لا يؤثر ذلك على دينه،

كتاب: الإجارة، باب: رعي الغنم، رقم: (٢٢٦٢) وغيره، وكذا عمل نبيِّنا محمد صلى الله عليه وسلم بالتجارة مع عمِّه أبي طالب، ثم عمل في التجارة في أموال زوجه خديجة رضي الله عنها، كما هو مشهور في السيرة . وفي الحديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (كَانَ زَكْرِيَاءُ تَجَّارًا) كتاب: الفضائل، باب في فضائل زكرياء عليه السلام، رواه مسلم برقم: (٢٣٧٩) .

وقد أخبر الله تعالى عن عمل داود عليه السلام بقوله: (وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِنُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ) الأنبياء / ٨٠. والأدلة كثيرة ولكن ليس قصدنا هنا التوسع في الاستدلال؛ لأنه قد مر معنا مثل ذلك.

(١) الحديث رواه البخاري في صحيحه: كتاب: الحج، باب: التجارة أيام الموسم، برقم: (١٦٨١). عن ابن عباس.

واستقامته، فالعمل خير من البطالة وأخذ الصدقات من الناس، والمجتمع يحتاج إلى كل المهن وهي كلها ضرورية ولا تقوم وظائف المجتمع الصالح بغيرها.

وقد حث الإسلام على تحصيل الكمال الديني، والدنيوي وذلك لا يعارض الرضا بما قسم الله تعالى للإنسان؛ لأن من أسباب نيلها: بذل الأسباب، فمباشرة الأسباب التي خلقها الله بحكمته، وتدبيره تُقضي في الأغلب الأعم إلى تحصيل مسيبتها.

وأما إذا طلبها الإنسان بغير ما أحله الله، كطلبها بمعصية، أو غش، أو تدليس وكذب، أو رشوة، وكان همه الأعظم تحصيل هذه المنافع الدنيوية من غير استثمارها في طاعة الله: فقد خالف الرضا بما قسم الله، ووقع في معصيته، وكل هذا وارد في فقه السلف للأمر.

وقد نجد بعض الذم للمال والحرص عليه في بعض النصوص الواردة عنهم، والواقع أن المال إنما يُذم إذا أخذ من غير وجهه، وصرف في غير حقه، واستعبد صاحبه، وملأ قلبه، وشغله عن الله، والدار الآخرة؛ فيذم منه ما يتوصل به صاحبه إلى المقاصد الفاسدة، أو شغله عن المقاصد المحمودة، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((تَعَسَّ عَبْدُ الدِّيَارِ وَالدَّرْهَمِ وَالْقَطِيفَةَ وَالْحَمِيصَةَ))^(١)، فالذم هنا ليس للمال وإنما للتعلق به والاعتماد عليه^(٢).

وأما الزهد في الدنيا فلا يعارض طلب المال والعمل بالوظائف المرموقة، ولكن يجب أن يكون ذلك الطلب وفق الأسباب المشروعة، مع القيام بحقها وعدم احتكارها أو منعها عن الغير، فالوظائف والمناصب تتخذ خدمة للناس وقياماً بأعمالهم وحاجاتهم وإلا كانت وبالاً على صاحبها يوم القيامة.

(١) الحديث رواه البخاري في صحيحه، كتاب: الرقاق، باب: ما يتقى من فتنة المال، برقم: ٦٤٣٥. (٨ / ٩٢).

(٢) انظر: عدة الصابرين ص ٢٥٩.

وفي هذا يقول النبي صلى الله عليه وسلم: ((سَتَحْرِصُونَ عَلَى الْإِمَارَةِ وَسَتَكُونُ نَدَامَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ))^(١).

والعمل المهني مستمر إلى آخر لحظة من العمر فالأخذ بأسباب عمارة الأرض هو حتى آخر لحظة من العمر، وهذا يفهم من قوله صلى الله عليه وسلم: إذ يقول: ((إذا قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة فإن استطاع ألا يقوم حتى يغرسها فليغرسها))^(٢).

والعمل المهني يرتبط بالسعادة ارتباطاً كبيراً، فالجزاء على الخير ليس مقصوراً على الدار الآخرة وحدها بل يجري في الدنيا كذلك، فمن سنن الله فيها أن يعطي كل عامل ثمرة عمله، قال تعالى: ﴿ وَأَتَّبِعْ فِي مَآءَاتِنِكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ ﴾ القصص: ٧٧. ولما كان العامل يقوم بما تصلح به الحياة ويسهل به العيش، كان ذلك مبدأ السعادة ومنشؤها للفرد والمجتمع.

والعمل المهني أحد عناصر الإنتاج، فهو سبب لإنتاج السلع والبضائع التي تشبع بها حاجات البشر، وتتفعمهم في حياتهم الدنيا. ولو لم يكن العمل المهني هو العنصر الفعال في طرائق الكسب التي أباحها الإسلام لما جعله أبرها وأطيبها على الإطلاق، ولذا وجب أن يكون الجهد الذي يبذله الإنسان منظماً، إذ بغير التنظيم يصبح الجهد البشري ضرباً من العبث، لذلك كانت نظرة الإسلام للعمل تقوم على اعتبار العمل المنظم، إذ لا فصل بين العمل والتنظيم، فكلاهما ضروري للآخر.

(١) الحديث رواه البخاري في صحيحه، كتاب: الأحكام، باب ما يكره من الحرص على الإمارة، برقم: (٧١٤٨) (٩/٦٣).

(٢) الحديث رواه البخاري في الأدب المفرد تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار البشائر الإسلامية - بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٩ - ١٩٨٩، برقم: ٤٧٩، ص ١٦٨.

ولقد اهتم الإسلام بالاحتراف والعمل المهني بمفهومه العام والاصطلاحي وجعله من القيم التي حرص عليها، وذلك أنه يدفع إلى تطور البلاد وزيادة الإنتاج، ففي مخاطبة الله سبحانه وتعالى نبيه نوحاً عليه السلام في قوله: ﴿ وَأَصْنَعُ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحِّينَا وَلَا تَخْطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُّغْرَقُونَ ﴾ (٣٧) هود: ٣٧ مغزى صريح لأهمية الصناعة في حياة الإنسان والمجتمع، وفي قصص الأنبياء وأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم توجيهات تربوية نستوحي منها أهمية الصناعة والزراعة والتجارة والمهن الأخر في حياة المجتمعات.

وقد اعتنى القرآن الكريم بالعمل المهني وجعله نعمة تستوجب الشكر حيث قال تعالى: ﴿ لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴾ (٣٥) يس: ٣٥ ، فمشيئة الله في عمارة هذه الأرض اقتضت أن تكون للناس حاجات لا ينالونها إلا بالعمل والكد، وفلاحة هذه الأرض، وصناعة خاماتها، ونقل خيراتها من مكان إلى مكان، وتداول هذه الخيرات وما يقابلها من سلعة أو نقد أو قيم تختلف باختلاف الزمان والمكان. كما اقتضت أن يتفاوت الناس في المواهب والاستعدادات وفق حاجات الخلافة الكامنة في هذه الأرض. وهذه الخلافة لا تحتاج إلى المواهب والاستعدادات المتعلقة بجمع المال والأرزاق وحدها، وإنما تحتاج إلى مواهب واستعدادات أحر قد تحقق ضرورات أساسية لكافة الجنس الإنساني في الأرض^(١).

(١) في ظلال القرآن (٥/٢٩٧١).

ومن القواعد التي كانت معروفة تمام المعرفة للسلف في هذا الباب، الأمور التالية:

- إدراك أهمية النصح في العمل، تصديقا لما جاء عن النبي الله صلى الله عليه وسلم: ((إن خير الكسب كسب يدي عامل إذا نصح))^(١).

- مراعاة الفروق والاستعدادات، باختلاف الاستعدادات بين فرد وفرد سنة من سنن الخالق، لتقابل هذه الاستعدادات المختلفة وظائف الخلافة المختلفة المتعددة المتنوعة، وليكون الاختلاف فيها وسيلة للتكامل^(٢).

- العمل والكسب مَهْمَا كان نوعه فهو خير من السؤال، فقد جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((لَا يَفْتَحُ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَابَ مَسْأَلَةٍ، إِلَّا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ بَابَ فَقْرٍ، يَأْخُذُ الرَّجُلُ حَبْلَهُ فَيَعْمِدُ إِلَى الْجَبَلِ، فَيَحْتَطِبُ عَلَى ظَهْرِهِ فَيَأْكُلُ بِهِ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ النَّاسَ مُعْطَى أَوْ مَمْنُوعًا))^(٣).

وجاء عن عمر رضي الله عنه أنه قال: "يا معشر الفقراء ارفعوا رؤوسكم، فقد وضع الطريق، فاستبقوا الخيرات ولا تكونوا عالة على المسلمين"^(٤). وورد مثل هذا النصح بالعمل وعدم التعرض للمسألة عن كثير من السلف رضوان الله عليهم.

(١) الحديث رواه الإمام أحمد في مسنده، (٣١٨/١٤) رقم: ٨٦٩٢، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده حسن لأجل محمد بن عمار - وهو الملقب كشاكش-، وباقي رجاله ثقات من رجال الصحيح.

(٢) في ظلال القرآن (١/ ٢٨٤)

(٣) الحديث رواه الإمام أحمد في مسنده (٢٤٦/١٥) رقم: ٩٤٢١، من حديث أبي هريرة، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده قوي، عبد العزيز بن محمد - وهو الدراوردي- صدوق لا بأس به، وباقي رجاله ثقات رجال الصحيح. وله روايات مختلفة في عدد من كتب الحديث.

(٤) تنبيه الغافلين بأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين، أبو الليث السمرقندي، حققه وعلق عليه: يوسف علي بديوي، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م، ص ٤٥٢. وقد جاء مثل هذا عن سفيان الثوري رحمه الله، كما في مختصر شعب الإيمان للبيهقي، تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط، دار ابن كثير - دمشق، الطبعة: الثانية، ١٤٠٥ هـ، ص ٩٨، وغيره.

وَقَالَ سَفِيَانُ الثَّوْرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: "لَأَنَّ أَخْلَفَ عَشْرَةَ آلَافٍ دِرْهَمٍ يُحَاسِبُنِي اللَّهُ عَلَيْهَا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أُحْتَاجَ إِلَى النَّاسِ"^(١). وهذا دليل على فقه الإمام الثوري رحمه الله.

وسئل الإمام أحمد بن حنبل عن رجل جلس في بيته أو في مسجده وقال لا أعمل شيئاً حتى يأتيني رزقي، فقال أحمد: هذا رجل جهل العلم، أما سمعت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((جَعَلَ اللَّهُ رِزْقِي تَحْتَ ظِلِّ رُمْحِي))^(٢).

- التحول عن العمل غير المناسب، فقد جاء عن عمر رضي الله عنه: "من اتجر في شيء ثلاث مرات فلم يصب فيه شيئاً، فليتحول إلى غيره"^(٣).

- الشراكة في العمل لمن لم يقدر عليه وحده، فقد كان عمر رضي الله عنه يأمر أصحابه بأن يشتركوا في العمل اثنين وثلاثة، حتى يواكبوا بين جميع أعمالهم ومهماتهم^(٤).

- مراعاة القضايا الأخلاقية والقيمية في التعاملات المهنية، ومن تلك القضايا والقيم، ما يلي:

أ. عدم بخرس حقوق الناس، قال تعالى ﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾^(٥) الأعراف: ٨٥.

ب. الوفاء بالعقود، قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾^(٦) المائدة: ١.

(١) الآداب الشرعية والمنح المرعية (٣ / ٢٧٨)

(٢) تلبيس إبليس ص: ٢٥٢، والحديث رواه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد، باب: ما قيل في الرماح (٤٠/٤). من حديث ابن عبد الله عمر.

(٣) الترتيب الإدارية أو نظام الحكومة النبوية (٢ / ٢٠).

(٤) تنبيه الغافلين بأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين، لأبي الليث السمرقندي، حققه وعلق عليه: يوسف علي بديوي دار ابن كثير، دمشق - بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م، ص: ٤٥٢.

ج . عدم الاستغلال والمنافسة غير الشريفة. قال صلى الله عليه وسلم: ((لا تتاجشوا))^(١). وقال صلى الله عليه وسلم: ((لا يبيع أحدكم على بيع أخيه))^(٢).

د. الابتعاد عن الغش، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْضُوا أَلْمِيَالِ وَالْمِيزَانَ ۗ هُوَذَا ۙ ٨٤﴾ ، وقال تعالى: ﴿وَبِلِّ اللِّمَاطِفِينَ ۗ ١﴾ الَّذِينَ إِذَا أَكَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾ أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ ﴿٤﴾ المطففين: ١ - ٤ ، وقال صلى الله عليه وسلم: ((لا تصروا الإبل والغنم فمن ابتاعها فهو بخير النظرين بعد أن يحلبها إن شاء أمسك وإن شاء ردها وصاعاً من تمر))^(٣). وقال صلى الله عليه وسلم: ((لا يحل لامرئٍ باع من أخيه بيعاً وفيه عيب إلا بينه له))^(٤) .

(١) جزء من حديث رواه البخاري في صحيحه، كتاب: البيوع، باب: (يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن) (١٩/٨) رقم: ٦٠٦٦. من حديث أبي هريرة.

(٢) الحديث رواه الإمام أحمد في مسنده (٣٤٦/٨) رقم: ٤٧٢٢. وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين. من حديث أبي هريرة، وهو في صحيح البخاري ولكن ليس بنفس اللفظ المفرد.

(٣) الحديث رواه البخاري في صحيحه، كتاب: البيوع، باب: النهي للبايع أن لا يحفل الإبل، والبقر والغنم (٧٠/٣) رقم: ٢١٤٨. من حديث إبي هريرة.

(٤) الحديث رواه ابن ماجة في السنن، باب: مَنْ بَاعَ عَيْبًا فَلْيُبَيِّنْهُ برقم: ٢٢٤٦. من حديث عقبة بن عامر.

المطلب الثاني: ممارسات السلف للمهن

العمل المهني سر خلافة الإنسان في الأرض؛ فتسخير الله سبحانه وتعالى الأشياء للإنسان تجعل توظيف هذا التسخير ضرورة ملحة، حيث إن هذا التسخير النظري يقتضي العمل والاستفادة.

ولقد أصبح العمل ونشاطاته المختلفة، خاصة أساسية من خصائص الحضارة الإسلامية، بعدما كان العمل في الفلسفة الجاهلية غير ذي بال، فاندفع المسلمون يمارسونه على المستوى العقلي والعملي، ويطبقون كل النظريات العلمية التي يتوصلون إليها تطبيقاً عملياً بما ينفع الناس ويرتقي بمستواهم الحضاري والاجتماعي. ومن هنا كان ازدهار الحضارة الإسلامية لقرون عديدة في كل المجالات العلمية والصناعية والاقتصادية والاجتماعية، وذلك لأن الثقافة الإسلامية وفّرت لأتباعها أهم مقومات النظر السليم في التعامل مع الواقع، ومع البيئة المسخرة لهم من قبل الله تعالى، وفق تشريعات حكيمة تتعامل مع نظم الحياة في كل جوانبها ومرافقها.

ولذلك قامت في المجتمع الإسلامي منذ القديم، صناعات عامة اقتضت بطبيعتها تجميع أعداد كبيرة من العمال والصناع، وتطورت الصناعات والمهن تطورا كبيرا بحسب تطور المجتمع.

وكانت تلك الثقافة شاملة لجميع المهن والحرف، فلم تبق حرفة ولا مهنة إلا وتوسعت بحسب طلب المجتمع لها، ولم تكن هناك مهنة مقبولة وأخرى غير مقبولة، أو مهنة محتقرة وغير محتقرة، كما مر معنا، ولذلك فقد عمل المسلمون بصورة عامة كلّ فيما يحسن من مهنة وحرفة، ولم يكن أحد يعيب على أحد، ومن هنا فقد وجدت مهن كثيرة مارسها السلف بصورة طبيعية في حياتهم، وسنعرض هنا لبعض الممارسات المهنية في حياة السلف، وأقصد بالسلف هنا: الصحابة ومن بعدهم في عصور

الازدهار الحضاري الإسلامي، فمعرفة تعاملهم مع الحرف والمهن يعطينا صورة واضحة لحياتهم وتوثيقا أميناً لنظرهم وثقافتهم وتأصيلاً دافعاً للتقدم، فممارساتهم الكثيرة وتعاملهم الراقى مع المهن والحرف، سواء كانوا عاملين أو متكلمين عن الحرف ومؤصلين للتعامل معها. ولن نستقصي كل الأمثلة في كل المجالات المهنية، ولكن حسبنا الاستدلال بما يوضح الأمر.

أولاً: دفعهم للمهنة بصورة عامة:

فقد جاء عن عُمَرَ بنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ كَانَ إِذَا رَأَى غَلاماً فَأَعْجَبَهُ سَأَلَ عَنْهُ هَلْ لَهُ حِرْفَةٌ؟ فَإِنْ قِيلَ لَا. قَالَ: سَقَطَ مِنْ عَيْنِي^(١).

وروي عن عبد الله ابنِ الْمُبَارَكِ، أَنَّهُ قَالَ: "مَنْ تَرَكَ السُّوقَ ذَهَبَتْ مُرُوعَتُهُ وَسَاءَ خُلُقُهُ"^(٢).

وفي الفقه: من كانت له شجرة وضيّعها بترك القيام بحقها فإنه يؤمر بالقيام بها، فإن لم يفعل فإنه مأثوم. أو يقال له: ادفعها لمن يخدمها مساقاة بجميع الثمرة^(٣).

وقال الإمام ابن حزم الأندلسي: "إعلموا أن الراحة واللذة والسلامة والعز والأجر في أصحاب فلاحه الأرض، وفلاحه الأرض أهناً المكاسب جملة"^(٤).

(١) انظر: تلبيس إبليس لابن الجوزي ص ٢٥٢.

(٢) تنبيه الغافلين بأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين للسمرقندي ص: ٤٥٢.

(٣) انظر: مواهب الجليل في شرح مختصر خليل، شمس الدين أبو عبد الله محمد الطرابلسي المغربي، المعروف بالحطاب الرعيني، دار الفكر، الطبعة: الثالثة، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م (٤/٢٠٨).

(٤) التراتيب الإدارية والعمالات والصناعات والمتاجر والحالة العلمية التي كانت على عهد تأسيس المدينة الإسلامية في المدينة المنورة العلمية، محمد عبد الحَيِّ بن عبد الكبير ابن محمد الحسني الإدريسي، المعروف بعبد الحي الكتاني (المتوفى: ١٣٨٢ هـ)، تحقيق: عبد الله الخالدي، دار الأرقم - بيروت، الطبعة: الثانية (٢/٣٧).

وكان عمر يشدد على الصحابة في تركهم الاتجار لغيرهم من العامة والاخلاط^(١).

وأخبار السلف وآراؤهم في هذا الباب كثيرة اقتصرنا منها على الاستدلال.

ثانيا: من المهن التي امتنها السلف الصالح:

وسنتكلم عن ذلك باختصار:

أ. مهنة التجارة: وهي أهم المهن الحرة وأقواها، ومهن التجارة متنوعة جدا، بل ومتجددة، وقابلة للتطور بحسب الزمان والمكان. ولقد اشتهر كثير من السلف بالتجارة، منهم: أبو بكر الصديق رضي الله عنه، فقد كان معروفا بالتجارة وكان يخرج بتجارة قبل موت النبي صلى الله عليه وسلم، ومعه جماعة من الصحابة رضوان الله عليهم^(٢). واستمر على ذلك حتى بعد توليه الخلافة فجعل له المسلمون راتبا يكفيه بدل الانشغال بالتجارة.

ومنهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه، كما يدل لذلك قوله لأبي موسى الأشعري رضي الله عنه في قضية الاستئذان، حيث قال: "أخفي علي هذا من أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ ألهاني الصفق في الأسواق". يعني العمل في التجارة .

ومنهم عثمان بن عفان رضي الله عنه، فقد ثبت تعاطيه للتجارة باستفاضة، وكذلك طلحة بن عبيد الله وعبد الرحمن بن عوف..^(٣).

(١) التراتيب الإدارية (٢ / ١٨).

(٢) منهم: نعيमान وسويبط بن حرملة. انظر: معرفة الصحابة، أبو نعيم، تحقيق: عادل بن يوسف العزازي، دار الوطن للنشر، الرياض، الطبعة: الأولى ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م (٣/١٤٣٩).

(٣) التراتيب الإدارية (٢ / ٢١). وقد أورد الكلام من مصادر متنوعة.

ومن خلال النظر في التراجم نجد أن العشرة المبشرين بالجنة كان كل واحد منهم يمارس مهنة تخصصه، ولكن الغالب فيهم التجارة.

ب . مهنة الزراعة: وهي مهنة مهمة حيث إن العرب كانوا يقومون بالزراعة كثيرا، في عهود السلف، لمعرفتهم أن الغذاء أهم الأمور التي تقوم عليها النهضة والتفرد بالقرار، ولذلك نلاحظ هذا الاهتمام في ممارسات وأقوال السلف الصالح رضوان الله عليهم، وربما كانت الزراعة هي الحرفة التي أخذت الاهتمام الأكبر عندهم، ذلك أن مجتمعهم هو زراعي في الأصل، ولذلك فقد مارس كثير من الصحابة والتابعين مهنة الزراعة باستمرار وبقوة، وقد كان بعضهم يمارس هذه المهنة بيده ومنهم من يؤجر العمال لذلك، كما ورد ذلك في تراجمهم بصورة واضحة، وكانت لهم مزارع وضيعات كثيرة يقومون عليها بالرعاية والإصلاح.

وإزداد اهتمام المسلمين بالزراعة بعد أن اتسعت رقعة الدولة الإسلامية واستقرت أمورها، ويسروا كلَّ السبل لامتلاك الأراضي وتعميرها وزرعها. بل صار الاهتمام بالزراعة من واجب الأمراء والحكام، وليس الأفراد فحسب؛ وذلك لأنَّ هؤلاء الأمراء كانوا يدركون تمامًا العلاقة بين الازدهار الزراعي، وزيادة موارد بيت المال.

واهتموا بإصلاح وسائل الري وتنظيفها، وبنوا السدود وشقوا القنوات وحفروا الآبار. وتوسعوا في الأراضي الزراعية وإصلاحها. وكانت سياستهم الزراعية متطورة جدا في جميع مجالاتها، بل قدموا تسهيلات كثيرة للمزارعين والفلاحين، وألَّفوا في طرق الزراعة وكيفياتها وأساليبها، وكانت لهم جهود في مجال الرقي بالزراعة، التي أفادوا بها البشرية، وهذا يظهر أنهم لم يقصروا جُهدهم على تقديم الزاد الروحي فقط، وإنما قدموا معه زادًا ماديًّا؛ ليجمعوا للناس بين خيري الدنيا والآخرة.

ج . مهنة الكتابة والتعليم: فقد كانت الكتابة غير مزدهرة عند العرب، وكان الذين يعرفون القراءة والكتابة قلة قليلة في المجتمع، ولما جاء الإسلام شجع على التعلم

وازدهرت القراءة والكتابة، ذلك أن الإسلام هو دين العلم والتعلم يشجع عليه ويدعو أتباعه للتعلم، ولذلك كانت هناك مجموعة اختصت بكتابة الوحي عن النبي صلى الله عليه وسلم وبعضهم اختص بكتابة الرسائل، وانتشرت بعد ذلك القراءة والكتابة^(١). ولم يكن التعليم هو الوسيلة أو المهنة التي يعتمد عليها المعلم في كسب رزقه إذ كان لكل معلم مهنته الخاصة. فمنهم من كان من التجار وأصحاب الحرف، بل كان بعض المعلمين من الغنى بحيث يساعد تلاميذه أو غيره من المعلمين من ماله الخاص^(٢).

د. مهنة الصيرفة: فقد امتهن بعض الصحابة والتابعين مهنة الصيرفة، لاحتياج الناس لذلك العمل وتسهيل التبادل التجاري في السلع والخدمات^(٣).

هـ. مهنة الإدارة التي كانت تقوم عليها الدولة، فقد كانت هناك مهنة إدارية كثيرة تقوم عليها الدولة، وقد احتاجت للكوادر التي تقوم بالمهام في إدارة الدولة وتسيير شؤونها. و. حرف وصناعات متنوعة، خدمية وصناعية، وغيرها.

وقد كان كثير من السلف يمارسون حرفا كثيرة، ولذلك فقد كان كثير من السلف

(١) انظر: الإدارة في عصر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ص: ١١٩

(٢) انظر: التربية الإسلامية أصولها وتطورها في البلاد العربية ص: ٢٥٤.

(٣) انظر: الإدارة في عصر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ص: ١٧٢، وقد اتضح ذلك من قول بعض الصحابة، كما جاء عن البراء بن عازب، وزيد بن أرقم قالوا: "كنا تاجرين على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألناه عن الصرف، فقال: (إن كان يدا بيد فلا بأس، وإن كان نساء فلا يصلح) ، ويذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم اعتمد سعر السوق اليومي في الصيرفة، كما روى أبو داود عن ابن عمر قال: قلت: يا رسول الله إنني أبيع الإبل بالنقيع، فأبيع بالدنانير واخذ الدراهم، وأبيع الدراهم واخذ الدنانير، اخذ هذه من هذه، وأعطي هذه من هذه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا بأس أن تأخذ بسعر يومها ما لم تفترقا وبينكما شيء)، وهذا يوضح مدى انتشار هذه المهنة في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم. انظر: دائرة المعارف الإسلامية، الترجمة العربية (٦/٤٥٤).

يلقبون بصنائعهم: كالزجاج والنجار والحائك والخياط والنحاس والحداد.. وغير ذلك من الحرف والمهن، كما هو معلوم^(١)، ولسنا هنا بصدد إحصائها.

ثالثاً: ممارسات تدل على فقه العمل والمهنة: ومن تلك الممارسات:

١. التصدي لمشكلات الكساد التي تصيب بعض الحرف؛ لإعادة الحياة والنشاط إليها، وذلك من باب التعاون والأخوة^(٢).

٢. تمكين كل ذي موهبة وقدرة من الانتفاع بموهبته وقدرته، فقد قرر فقهاء الإسلام أن كل ما يقوم عليه العمران من هندسة وطب وإقامة المصانع والجهاد في سبيل الله تعالى دفعا للأذى وحماية للحوزة وغير ذلك واجب على الأمة، وهو واجب على وجه الخصوص على من كان قادرا بالفعل على واحد من هذه الأمور، وواجب على العموم على الأمة ممثلة إرادتها في ولي أمرها والقائمين على شئونها، وقد قرر بعض فقهاء المسلمين وجوب إتاحة الفرصة أمام الجميع ليظهروا مواهبهم وقدراتهم^(٣).

(١) من الصحابة من كان دباغا، وذكر منهم الحارث بن صبيبة، وقال عنه: أسلم يوم الفتح هو وابنه، وكانت حرفة سلمان الفارسي نسج الخوص، حتى وهو أمير في المدائن، فينسجه ويعيش بثمنه. عن السائب بن يزيد أنه كان يعمل مع عبد الله بن عتبة بن مسعود على عشور السوق في عهد عمر بن الخطاب. فكنا نأخذ من النبط نصف العشر مما تجروا به من الحنطة. انظر: الطبقات الكبرى - متمم الصحابة - الطبقة الخامسة (٢) / (٢٢٩).

(٢) ذكر صاحب التراتيب الإدارية عن محمد بن سيرين قال: "جلب رجل من التجار سكرًا إلى المدينة فكسد عليه، فبلغ ذلك عبد الله بن جعفر فأمر قهرمانه - أي خادمه - أن يشتريه وينتهبه الناس" أي يهبه للناس. وهذه صورة من صور كثيرة كانت تحدث.

(٣) انظر: بناء المجتمع الإسلامي ص: ٢٥٠.

٣. تفاوت المستحقات الضريبية عن أصحاب المهن، فالخياط والصبّاغ والإسكافي والجزّار يؤخذ منهم أقل من الموسرين، من أمثال الصيرفي والبزاز وصاحب الضيعة والتاجر والطبيب، وآلات الحرفيين كذلك كان لا يؤخذ عليها مستحقات مالية^(١).

٤. الجمع بين طلب العلم والعمل في الحرف. فمن فقه السلف أنه إن كان لا بد لطالب العلم من الكسب لنفقة عياله وغيرهم فليتكسب وليتعلم.

وقد كان الناس في الزمان الأول يتعلمون الحرفة ثم يتعلمون العلم حتى لا يطمعوا في أموال الناس. وقد ورد عن الإمام أبي حنيفة أنه كان يطلب العلم ويشغل به في الوقت الذي كان فيه يبيع الثياب ليتكسب معاشه، وينبغي للإنسان أن لا يشغله العلم عن التكسب لنفسه وعياله^(٢).

وهناك ممارسات وصور كثيرة لسلفنا الصالح في باب المهن والحرف تدل على فقه قويم وعميق، بحيث نستطيع أن نسترشد اليوم بكثير من ممارساتهم وأفكارهم، فكثير منها سبقت زمانهم.

(١) انظر: فقه العبادات على المذهب المالكي، الحاجّة كوكب عبيد، مطبعة الإنشاء، دمشق - سوريا، الطبعة: الأولى ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م، ص ٢٩٠.

(٢) انظر: التربية الإسلامية أصولها وتطورها في البلاد العربية ص: ٩١.

الفصل الرابع

قيم وأخلاق المهنة

الفصل الرابع : قيم وأخلاق المهنة

المبحث الأول: مفهوم الأخلاق والقيم المهنية وأهميتها

المبحث الثاني: أنواع القيم والأخلاق

المبحث الثالث: أثر القيم والأخلاق في الواقع

المبحث الرابع: ضمانات أخلاقية في إطار المهن

المبحث الأول: مفهوم الأخلاق والقيم المهنية وأهميتها

وفيه مطلبان

المطلب الأول: مفهوم الأخلاق والقيم المهنية

المطلب الثاني: أهمية الأخلاق والقيم المهنية

المطلب الأول : مفهوم الأخلاق والقيم المهنية الفرع الأول: مفهوم الأخلاق

الأخلاق لغة:

الأخلاق جمع خُلُق، والخُلُق اسم لسجية الإنسان وطبيعته التي خلق عليها، وهو مأخوذ من مادة (خ ل ق) التي تدل على تقدير الشيء.

والخُلُق سجية: لأن صاحبه قد قدر عليه وصار ملازماً له، يقال: فلان خليق بكذا: أي قادر عليه وجدير به، وهو ممن يقدر فيه ذلك، ويمكن له اكتسابه^(١)، ولرسوخ الخُلُق في الإنسان شُبّه بالخُلُق، لكن خص الخُلُق بالهيئات والأشكال والصور المدركة بالبصر، وخص الخُلُق بالقوى والسجايا المدركة بالبصيرة^(٢).

وتطلق كلمة خُلُق ويراد بها: الطبع مطلقاً، حسناً أو سيئاً.

ومن خلال هذا العرض اللغوي يمكن ملاحظة ثلاثة أمور، هي:

- ١- الدلالة على أن الأخلاق صفات طبيعية في الإنسان.
- ٢- الدلالة على أن بعض الأخلاق مكتسبة.
- ٣- الأخلاق لها جانبان: جانب نفسي باطني، وجانب سلوكي ظاهري.

الأخلاق اصطلاحاً :

الأخلاق هي " مجموعة القواعد والتصورات الذهنية التي تحدد السلوك الانساني وتنظمه . وينبغي أن يحتذيها الإنسان فكراً وسلوكاً في مواجهة المشكلات الاجتماعية

(١) انظر: معجم مقاييس اللغة (٢/ ٢١٤). ولسان العرب (١٠/٨٦). والمفردات ص ١٥٨.

(٢) المفردات في غريب القرآن ص ١٥٨

والمواقف الخُلقية المختلفة، والتي تبرز المغزى الاجتماعي لسلوكه بما يتفق وطبيعة الآداب والقيم الاجتماعية السائدة^(١) .

وتوصف الأخلاق بما يلي^(٢):

- ١ - أنها متمكنة في النفس.
 - ٢ - أنها تقع من الإنسان بلا روية، بعد التمكن فيه. وقد يتحكم بها المرء أحياناً.
 - ٣ - أنها تبعث على عمل يناسبها من خير أو شر.
 - ٤ - أنها تشمل طبائع الخير وطبائع الشر.
- وقد مدح الله رسوله بقوله: (وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ) وفي الخلق العظيم ثلاثة أوجه: أحدها: أدب القرآن، والثاني: دين الإسلام، والثالث: الطبع الكريم وهو الظاهر^(٣).

(١) دراسة لبعض المشكلات التي تعوق الوظيفة الخلقية للمدرسة الثانوية، عبد الودود مكروم، رسالة ما جستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة المنصورة، ١٩٨٣ م، ص ٢٢. نقلاً عن نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، تأليف عدد من المختصين بإشراف الشيخ/ صالح بن عبد الله بن حميد إمام وخطيب الحرم المكي، دار الوسيلة للنشر والتوزيع، جدة، الطبعة : الرابعة، (١ / ٦٣).

(٢) انظر: التحرير والتنوير (١٧٢/١٩) و (٦٥/٢٩).

(٣) النكت والعيون، تفسير الماوردي، علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان (٦ / ٦١).

الفرع الثاني: مفهوم القِيم

القِيم لغة:

القِيم (بكسر القاف وفتح الياء) هي من القِيمَة (بكسر القاف وفتح الميم)، وقيمة الشيء قدره، ويقال: ما لفلان قيمة: أي ليس له ثبات ودوام على الأمر^(١). والقيمة من الشيء النفيس الذي له قيمة^(٢). وتأتي من الاستقامة أيضا^(٣).

القِيم اصطلاحاً:

والقيم هي محكّات ومقاييس يحكم بها على التطبيقات العملية المتعلقة بالتصرف الإنساني، كما يحكم بها على الأفكار والأشخاص والأشياء والمواقف الفردية والجماعية، من حيث الحسن والقبح^(٤).

وتعمل القيم بوعي أو بدون وعي كمؤثرات تربية في سلوك الإنسان، وهي هنا تلتقي مع الأخلاق^(٥).

وبعبارة أخرى فإن القيم هي: "مجموعة من المعايير والأحكام النابعة من تصورات أساسية عن الكون والحياة والإنسان والإله، كما صورها الإسلام، وتتكون لدى الفرد والمجتمع من خلال التفاعل مع المواقف والخبرات الحياتية المختلفة، بحيث تمكنه من اختيار أهداف وتوجهات لحياته تتفق مع إمكانياته، وتتجسد من خلال الاهتمامات أو السلوك العملي بطريقة مباشرة وغير مباشرة"^(٦).

(١) المعجم الوسيط (٧٦٨/٢) مادة: قوم.

(٢) المرجع السابق (٩٤٠/٢) مادة: نفس.

(٣) انظر: المرجع السابق (٧٦٨/٢) مادة: قوم.

(٤) فلسفة التربية الإسلامية (دراسة مقارنة بالفلسفات التربوية المعاصر)، ماجد عرسان الكيلاني، ط ٢٠٠٩م، دار الفتح للدراسات والنشر، عمان الأردن، ص ٤٢٧.

(٥) انظر: المرجع السابق ص ٤٢٧.

(٦) نضرة النعيم ي مكارم أخلاق الرسول الكريم (١ / ٧٩).

المطلب الثاني: أهمية الأخلاق والقيم المهنية

تأتي أهمية القيم والأخلاق من أنها تتبع من احتياجات بشرية إنسانية بحثه، ثم دينية، وفي هذا الإطار تبرز عدد من المعالم الهامة التي تبين مدى أثر القيم والأخلاق في حياة الناس - سلبا وإيجابا - ومن هذه العوامل، ما يلي:

- القيم والأخلاق ليست أمرا عاديا في الإسلام، ولكنها شيء جوهري يمثل روح النظام الإسلامي، فالنظام الإسلامي عموما مبني على فلسفته الخلقية أساسا^(١).

- ارتباط القيم والأخلاق بالمعرفة والتربية الإنسانية، فهي تربط بين الجانب النظري والجانب السلوكي، والإنسان بحاجة إليهما في كل مراحل حياته لتصل به إلى مراحل متقدمة من الكمال البشري علما وعملا^(٢).

- الأخلاق والقيم الإسلامية تخضع سلوك الإنسان كله لروح الأخلاق والقيم، وهي تستهدف من وراء ذلك صلاح الإنسان وسعادته في هذه الحياة، وإذا كان الأمر كذلك فإن مجال الأخلاق والقيم هو هذه الحياة كلها...، ولهذا يمكن القول: إن كل سلوك مجال أخلاقي قيم^(٣).

- تقدم الأخلاق والقيم علامة على تقدم الحياة الاجتماعية مثل: زيادة العدالة والتعاون والأمن والطمأنينة، وما إلى ذلك^(٤).

- تستهدف الأخلاق والقيم في الإسلام بناء الشخصية الحرة ذات المسؤولية، فهي ليست تعبيراً نظرياً وإنما هي منهج واقعي يستمد من صميم واقع الإنسان بحسبانه أحد أفراد المجتمع.

(١) علم الأخلاق الإسلامية، مقداد يالجن محمد علي، دار عالم الكتب للطباعة والنشر - الرياض، الطبعة الثانية

١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م ص ١٠٢.

(٢) انظر: علم الأخلاق الإسلامية ص ١٠٢.

(٣) انظر: علم الأخلاق الإسلامية ص ٩٤.

(٤) انظر: المرجع السابق ص ٣٥.

- ومما يبين أهمية القيم والأخلاق حديث الرسول صلى الله عليه وسلم الذي أخبرنا فيه فقال: ((إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ))^(١). فإتمام مكارم الأخلاق هي سبب لبعثة النبي صلى الله عليه وسلم، وكفى بذلك أهمية ، ولكن ماهي الأخلاق التي جاء النبي صلى الله عليه وسلم لإتمامها وتكميلها ؟ وأين توجد هذه الأخلاق ؟

وفي نظري أن النبي صلى الله عليه وسلم جاء لتتميم مكارم مشترك الموروث القومي (الجاهلي العربي) والديني لآخر ديانة سبقت الإسلام المتمثل في المسيحية (النصرانية) وبهذا الحديث أعلن النبي صلى الله عليه وسلم أنه لا خصومة ولا عداوة لهذا الدين مع أي جهة ولا فئة ولا جماعة بعينها تتسم بجميل الصفات ونبيل الأخلاق والقيم والتصرفات ، ولم يكتفي بهذا الإعلان بل بنى على ذلك أكبر القرارات واستفاد من مكارم الموروث الجاهلي كمبدأ التحالف الذي حمى الدعوة ورسولها من هلاك محقق بعد رحلة الطائف و ما جرى فيها فدخل في حلف ابن الدجنة والمطعم بن عدي وامتدح حلفا حضره في دار عبدا لله بن جدعان فقال : لو دعيت لمثله في الإسلام لأجبت. كما استفاد من مكارم الموروث الديني كعدل ملك الحبشة المسيحي فكانت الهجرتين الأولى والثانية إلى الحبشة والتي فتح بها قارة جديدة وأمن الدعوة وبعض رجالاتها ليقوموا بمواصلة المشوار إذا حدث للنبي وأصحابه أي مكروه ، ولهذا مارس المهاجرون مهاما دعوية كان لها الأثر الكبير في مستقبل الدعوة وتجلى ذلك في الردود الايجابية كل من ملك مصر المقوقس وملك الروم على كتابي النبي صلى الله عليه وسلم إليهما، وفي تعامل باذان والي اليمن مع نبوته (صلى الله عليه وسلم) بمقتل كسرى ملك الفرس بعد تعامله المتعالي مع كتاب النبي إليه ، وتأخر عودة مهاجري الحبشة إلى يوم خيبر وبعد تطهير الجزيرة العربية من اليهود خير دليل على استكمالهم للدور الذي عليهم . وهكذا استفاد النبي وأصحابه من مكارم الموروث القومي والديني.

(١) الحديث رواه أحمد والبيهقي والحاكم وصححه من حديث أبي هريرة. انظر: المغني عن حمل الأسفار في الأسفار، ص ٦١١.

- ومما يبين أهمية القيم والأخلاق: الارتباط الكبير والعميق بينها وبين العقائد والعبادات ؛ وذلك لأهمية الإيمان في تحديد السلوك إذ أن تصرفات المرء دائما مرتبطة بتحقيق مصالحه ودفع الأذى عن نفسه ومن يعول ولا يتصور ممن يؤمن بالله الإيمان الكامل أن يتصرف بما يخالف القيم الجميلة والأخلاق الحميدة وذلك لأنه على يقين بان مصالح الإنسان جميعها بيد الله وحده والله حافظ عدل قوي قاهر

وأما العبادات فكثير من النصوص في القرآن الكريم والسنة النبوية تشير إلى العلاقة الترابطية بين الشعائر التعبدية والسلوك القولي والفعلي، وسوف نقتصر على بعض من الجوانب التي فيها ارتباط وصلة واضحة، كما يلي:

١ - ففي الترابط بين الصلاة والزكاة وسلوك الوفاء بالعهد والصبر، قال الله تعالى: ﴿ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُؤْتُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ البقرة: ١٧٧..

٢. وفي الترابط بين الصلاة وسلوك الانتهاء عن الفحشاء والمنكر، قال تعالى: ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ العنكبوت: ٤٥. وفي الترابط بين الصلاة والزكاة وسلوك صلة الرحم: يوصي رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلاً بعمل يدخله الجنة، فيقول: ((تعبدُ الله لا تشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصل الرحم))^(١).

٤. الترابط بين الصيام والبعد عن سلوك قول الزور: فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : ((من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة بأن يدع طعامه وشرابه))^(٢).

ونجد هذا الربط بين العبادة والسلوك في كل أنواع العبادات، إذ إن السلوك الحسن هو ثمرة التعبد.

(١) الحديث رواه البخاري في صحيحه، كتاب: الزكاة، باب: وجوب الزكاة (١٠٤/٢) رقم: ١٣٩٦. وهو عند غيره.. من حديث أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه.

(٢) الحديث رواه البخاري في صحيحه، كتاب: الصيام، باب: من يدع قول الزور والعمل به في الصوم (٢٦/٣) رقم: ١٩٠٣. من حديث أبي هريرة رضي الله عنه

٥. الترابط بين العقيدة والأخلاق والقيم الصالحة، كما قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوْمِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَٰٓءَ ۤأَلَّا تَعْدِلُوٓاْ ءَعْدِلُوٓاْ هُوَ ۤأَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ المائدة: ٨ .

والإيمان بالله عز وجل يقتضي أن يكون المؤمن متصفاً بالأخلاق الفاضلة من الكرم والجود والسماحة وحسن الجوار، يعرف حقوق جاره عليه، فيؤديها، ولا يفعل ما يؤذيه أو يضره، ويعلم حق ضيفه عليه فيؤديه، يقول عليه الصلاة والسلام: ((من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فليكرم ضيفه))^(١). والأحاديث والآثار في هذا كثيرة، ولكن المقصود هو التمثيل.

وبهذا يتبين لنا أن العلاقة وثيقة بين الإيمان والأخلاق، وأن الرابطة الإسلامية والأخوة الإيمانية تزيد كلما التزم أفراد المجتمع بالأخلاق الفاضلة، فالصدق في الحديث والمعاملة، والعدل في الحكم والأمانة في جميع الأمور، والوفاء بالعهد والحياء والصبر والحلم والرفق والتعاون على البر والتقوى توجد الثقة والمحبة وتشعر الجميع بالرضى والأمن.

ومن هنا تبرز أهمية طرح المفهوم الإسلامي للعمل التقني والمهني وربطهما بالمفهوم الإسلامي والمبادئ والقيم والآداب والأحكام والأخلاق الإسلامية. ونظرة الإسلام إلى الحرّف والمهن التقنية نظرة كلها تكريم وإجلال تكمن في أنه جعلها ضرورة من ضروريات الحياة، كما رتب عليها الأجر وجعلها من أفضل وسائل الكسب، ورفع من شأن تعلمها وتعليمها حتى جعلها في ذاتها عبادة ما دامت في حدود ما شرعه الله تعالى، وجعل أداؤها وإتقانها والإخلاص فيها غاية يجب أن يسعى إليها المسلم، وإذا أدرك الإنسان حقيقة الإيمان وجد باعثاً من داخل نفسه إلى العمل في مجالات الحياة المختلفة ليقوم بمهمته في عمارة الأرض.

(١) الحديث رواه البخاري في صحيحه، كتاب: الأدب، باب: من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره (١١/٨) رقم: ٦٠١٨. من حديث أبي هريرة.

- للأخلاق والقيم أهمية بالغة في حياة الأفراد والجماعات والأمم، فهي ضرورة إنسانية لا يستغنى عنها مجتمع ولا أمة من الأمم ويتضح ذلك من الآتي:

- أ. تأثير القيم والأخلاق على ارتقاء السلوك الفردي للأفراد، بل نستطيع القول أن سلوك الإنسان موافق لما هو مستقر في نفسه من معانٍ وصفات.
- ب. تأثير القيم والأخلاق على ارتقاء القوى المعنوية للأمم والشعوب، وانهايار القوى المعنوية أيضاً ملازم لانهايار أخلاقها. فالأخلاق تزود المجتمع بالصيغة التي يتعامل بها مع العالم وتحدد له أهداف ومبررات وجوده، وتعطى نمطاً معيناً من الشخصيات الإنسانية القادرة على التكيف الإيجابي في المجتمع سواء المحلي أو الدولي.
- ج. تأثير الأخلاق والقيم على ميزان الأفعال والتروك: فإن وزن الأفعال والتروك يتوقف على نوع المعاني الأخلاقية التي يحملها الفرد، من حيث جودتها أو رداءتها^(١).

- الأخلاق والقيم ضمان لسلامة الأمم والمجتمعات من الهلاك والفساد، ومتى فقدت الأخلاق تفكك أفراد المجتمع، وتصارعوا، وتناهبوا مصالحهم، ثم أدى بهم ذلك إلى الانهيار والدمار.

- جعل الله القيم والأخلاق مناط الثواب والعقاب في الدنيا والآخرة، فهو يعاقب الناس بالهلاك في الدنيا لفساد أخلاقهم، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَهَلَكْنَا الْقُرُونََ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٣﴾﴾ يونس: ١٣ وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلِهَا مُصْلِحُونَ ﴿١١٧﴾﴾ هود: ١١٧.

(١) انظر: الأخلاق الإسلامية ص ١٢.

ويأتي اهتمام الإسلام بالأخلاق لأنها أمر لا بد منه لدوام الحياة الاجتماعية وتقدمها من الناحيتين المادية والمعنوية، فالإنسان - دائما - بحاجة ماسة إلى نظام خلقي يحقق حاجته الاجتماعية، ويحول دون ميوله ونزعاته الشريرة ويوجهه إلى استخدام قواه في مجالات يعود نفعها عليه وعلى غيره .

إن الإسلام يدرك تمام الإدراك ماذا يحدث لو أهملت المبادئ الأخلاقية في المجتمع، وساد فيه الخيانة والغش، والكذب والسرقة، وسفك الدماء، والتعدي على الحرمات والحقوق بكل أنواعها، وتلاشت المعاني الإنسانية في علاقات الناس، فلا محبة ولا مودة ، ولا نزاهة ولا تعاون، ولا تراحم ولا إخلاص. إن المجتمع بلا شك سيكون جحيما لا يطاق، ولا يمكن للحياة أن تدوم فيه، والإنسان بطبعه ينزع إلى التسلط والتجبر والأنانية والانتقام، قال تعالى : ﴿ وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ ﴾ البقرة: ٢٠٥ ، لذا جاء الإسلام بأسس ومعايير يتحتم علينا السير وفقا لها.

وتمتاز الأخلاق الإسلامية بأنها واقعية عملية وليست مثالية، كما أنها تؤكد حرية الإنسان واختياره ومسئوليته عن فعله، وتتميز أيضا بأنها إيجابية شاملة بعيدة عن الانحراف والغلو، وهي بذلك صالحة لكل زمان ومكان.

وقد كانت عناية القرآن الكريم منذ بداية نزوله على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، بأمرين اثنين:

الأول: تقرير الإيمان بالله تعالى وحده لا شريك له، وغرس عقيدة التوحيد الصافية في النفوس، والتحذير من الشرك.

الثاني: غرس الأخلاق الفاضلة لتزكية القلوب وتطهير النفوس واستئصال رذائلها والأخلاق السيئة منها.

ولقد أودع الله تعالى في النفس الإنسانية ما تدرك به فضائل الأخلاق ووزائلها، فالنفس الإنسانية منذ تسويتها وتكوينها ألهمت في فطرتها طريق الخير، وطريق الشر يقول سبحانه: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴿١٠﴾﴾ الشمس: ٧ - ١٠ ويقول سبحانه: ﴿بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ ﴿١٥﴾﴾ القيامة: ١٤ - ١٥ ، فالإنسان لديه بصيرة يحاسب بها نفسه محاسبة أخلاقية على أعماله.

وهكذا كان اهتمام الإسلام بالقيم والأخلاق اهتماما بالغا من أجل بناء حياة طيبة وسعيدة لكل البشر، يسعدون فيها ويشاركون بفاعلية وكفاءة في بنائها، ولا يقتصر العمل فيها على فئة دون أخرى، بل الكل على نفس المستوى من المسؤولية القانونية والخلقية.

المبحث الثاني: أنواع القيم والأخلاق

وفيه مطلبان

المطلب الأول: شروط أخلاقية في المهنة

المطلب الثاني: أخلاق وقيم مهنية

المطلب الأول: شروط أخلاقية في المهنة

المهنة والحرفة أمر لا يخص صاحب المهنة وحده ولكن آثار ممارسة المهنة والحرفة تتعدى إلى غيره - سلبا وإيجابا- ولذلك يشترط فيها بعض الشروط التي تكون من باب المحافظة على استقامتها وأداء رسالتها في المجتمع والأمة، ومن هذه الشروط، ما يلي:

الشرط الأول: كون المهنة مما يصح وبياح ممارسته من الأعمال - على رأي من لا

يقول بوجوبها- والمباح هو الطيب الذي أباحه الله لنا بقوله سبحانه: ﴿ قُلْ أَحَلَّ لَكُمْ

الطَّيِّبُ ۗ ﴾ المائدة: ٤ وقال: ﴿ وَيَحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ ۗ ﴾ الأعراف: ١٥٧ ، فكل

حلال طيب، قال سبحانه: ﴿ يَأْتِيهَا النَّاسُ كُلُّوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا

خُطُوبَ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ۗ ﴾ البقرة: ١٦٨ ، والعمل في الحرام عملٌ في

الخبائث، وقد حرم الله تعالى الخبائث بقوله: ﴿ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبِيثَ ۗ ﴾ الأعراف:

الآية ١٥٧، والخبث هو الحرام. فيشترط في الوظيفة أن تخلو من الحرام والخبث،

فلا يجوز العمل بالربا مثلاً؛ لأنه محرم بقوله سبحانه: ﴿ وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا

ۗ ﴾ البقرة: ٢٧٦ . ولا يجوز اكتساب المال بالغش كالتطيف في الكيل، قال سبحانه ﴿

وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۗ ۝١ الَّذِينَ إِذَا أَكَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۗ ﴾ المطففين: ١ - ٢ .

ويمكن أن تكون الوظيفة مشتملةً على الحلال والحرام، من خلال رأس مالها، أو

بعض أنشطتها، وفي هذه الحالة تكون مشتبهة، والعمل فيها مكروه، لقوله صلى الله

عليه وسلم : ((إن الحلال بيِّن وإن الحرام بيِّن، وبينهما مشتبهات لا يعلمهن كثيرٌ

من الناس، فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات وقع في

الحرام، كالراعي يرمى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه، ألا وإن لكل ملك حمى، ألا وإن حمى الله محارمه ((^(١)).

والتحريم يتناول جهة النشاط، أو جهة مصدر الدخل، أو جهة مخالفة الأنظمة، ومثال ذلك في النشاط التجاري: أن يكون العمل قائماً على نشر المعاملات الربوية، أو صناعة الخمر، أو الأصنام، أو تصوير مفاتن النساء أمام الرجال الأجانب ونحو ذلك، فهذه الأعمال محرمة شرعاً، وما ينبني عليها من أجورٍ محرمة أيضاً؛ لأن الله تعالى إذا حرّم شيئاً حرّم ثمنه، ولأن ما يبني على الباطل فهو باطل، قال صلى الله عليه وسلم: ((لعن الله اليهود، حرم الله عليهم الشحوم، فجملوهما "أذابوها" فباعوهما))^(٢) ومثال ذلك في مصدر الدخل: أن يكون كل رأس مال العمل ربوياً، أو نتيجة تقديم خدمات محرمة، أو تأجير مباني للأنشطة المحرمة شرعاً.

ومثال ذلك في مخالفة الأنظمة: أن يكون العمل المطلوب من الموظف يتضمن دفع رشوة، أو إنتاج أو بيع مواد مخالفة للنظام، كالمنتجات المغشوشة، أو المواد الممنوعة صحياً، أو خلقياً.

الشرط الثاني: أن تكون نافعة، فالهدف من الوظيفة أن ينفع الإنسان نفسه، ومجتمعه، وبلده، وإخوانه المسلمين.

والنفع أبوابٌ كثيرة؛ منها الاجتماعي، والاقتصادي، والأخلاقي، ولا خير في وظيفة لا نفع فيها، فضلاً عن كونها ضارة؛ فإن وقت الإنسان نفيس، فليس من الحكمة تضييعه في عملٍ لا فائدة فيه، قال الله سبحانه: ﴿ وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ، وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا

(١) الحديث رواه مسلم في صحيحه، كتاب: المساقاة، باب: أخذ الحلال وترك الشبهات (١٢١٩/٣) رقم: ١٥٩٩. من حديث: النعمان بن بشير رضي الله عنه.

(٢) الحديث رواه البخاري في صحيحه، كتاب: البيوع، باب: بيع الميتة والأصنام (٨٤/٣) رقم: ٢٢٣٦. من حديث جابر بن عبد الله. رضي الله عنه.

وَلَا تُطِيعُ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ، عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوْنَهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرْطًا ﴿٢٨﴾ الكهف: ٢٨ فالكافر أمره فرط لا هدف له في حياته.

والضرر هنا يشمل الضرر المعنوي والأخلاقي والحسي؛ فالضرر المعنوي هو الإضرار بعقيدة الإنسان وفكره، كإنتاج أفلام أو إصدارات إلكترونية تشكك في العقيدة الإسلامية، أو تنشر الإلحاد أو النصرانية، أو طباعة الكتب التي تتناول ذلك. والضرر الأخلاقي هو إفساد أخلاق المجتمع كشركات الإعلام الفاضحة، وإشاعة العري، ومواقع الانترنت الإباحية، ونحو ذلك.

والضرر الحسي هو الإضرار بالجسد والصحة، مثل تأسيس شركات التدخين أو الخمر والعمل فيها، أو زراعة المخدرات أو تصنيعها، أو صناعة المنتجات الضارة بالصحة كالأدوية المقلدة والمغشوشة، أو تسويق وإنتاج المواد الغذائية النباتية والحيوانية المطعمة بالكيماويات الضارة أو المتعدية بها.

فإذا تضمنت الوظيفة ضرراً متيقناً على النفس، أو المجتمع، أو البلد، حرمت؛ لأن الضرر منصوصٌ على تحريمه في الشرع، في قوله صلى الله عليه وسلم: ((لا ضرر ولا ضرار))^(١)، وقوله صلى الله عليه وسلم: ((من ضارَّ ضارَّ الله به))^(٢).

وكيف يرضى المسلم أن يستفيد هو على حساب غيره؟ وإذا كان كل واحدٍ منا لا يقبل الضرر على نفسه من الآخرين، فكذلك ينبغي أن ينظر إلى ما ينتج عن عمله، هل فيه إضرارٌ بالآخرين أم لا.

والعبرة في هذه الأعمال بالغالب، فقد حرم الله تعالى الخمر مع أن فيها منافع للناس؛ قال سبحانه: ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْفَعَةٌ لِلنَّاسِ

(١) الحديث رواه ابن ماجة في سننه، باب: من بنى في حقه ما يضر بجاره، وغيره (٧٨٤/٢) رقم: ٢٣٤١. من حديث: ابن عباس رضي الله عنهما. قال الألباني في تحقيقه على سنن بن ماجة: صحيح لغيره.

(٢) الحديث رواه الترمذي في سننه باب: ما جاء في الخيانة والغش (٣٣٢/٤) رقم: ١٩٤٠. وغيره، من حديث أبي صرمة رضي الله عنه، وحسنه الترمذي. والألباني.

وَأَمَّهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ
لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾ البقرة: ٢١٩ . وكلّ الشركات الربحية فيها منافع اقتصادية
لأفراد أو فئات أو دول، ولكن إذا كانت المنافع الاقتصادية والتجارية تتعارض مع
المبادئ والقيم فإنها تبطل، وهو ما يعرف شرعاً بالمصالح الملغاة.

الشرط الثالث: أن لا تؤدي إلى محرم ولا تكون سبباً لذلك، كمثل أن تستلزم خلوة بين
رجل وامرأة، فذلك مما لا ينبغي، والمسلم يحرص على التورع عن الخلوة المحرمة
منعاً للفتنة، وسداً للذريعة، وحفاظاً على العفة والسُّمعة، ودرءاً لإساءة الظن^(١).
ويشار هنا إلى أن منع الاختلاط والخلوة لا يعني أن لا تعمل المرأة عملاً تكتسب
به، فالنساء كنّ يبعن ويشترين على عهد النبي صلى الله عليه وسلم دون إنكار
منه^(٢).

الشرط الرابع: الوفاء بالعقود: لقوله سبحانه: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ
أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرِ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴿١﴾
المائدة: ١ ، وقوله عز وجل: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ﴿٣٤﴾﴾ الإسراء: ٣٤.
وقوله صلى الله عليه وسلم: ((المسلمون عند شروطهم))^(٣)، ما لم يتضمن العقد
محرمًا.

(١) موقع مفكرة الإسلام في الانترنت في ٢ صفر ١٤٢٧ هـ الموافق ٢ مارس ٢٠٠٦ م.

(٢) عن الربيع بنت معوذ رضي الله عنها: كانت أسماء بنت مخربة تبيع العطر بالمدينة (رواه إسحاق بن راهوية
في مسنده بسند حسن: ١٤٢/٥). وعن أنس رضي الله عنه قال: كانت بالمدينة امرأة عطارة تسمى حولاء بنت
ثويب (رواه الطبراني في الأوسط بسند فيه ضعف: مجمع الزوائد: ٢٩٢/٤). وقال الكتاني: كانت مليكة والدة
السائب بن الأقرع تبيع العطر، وكانت أم المؤمنين زينب بنت جحش رضي الله عنها امرأة صناع اليد، فكانت
تدبغ وتخز وتصدق به. وقالت قبيلة الأنمارية: يا رسول الله، إني امرأة أشترى وأبيع. (الكتاني/ المرجع السابق
: ٢ / ٤٠، ٥٢، ١١٦) . المرجع السابق.

(٣) الحديث رواه البخاري في صحيحه، كتاب: البيوع، باب: أجر السمسة (٩٢/٣) رقم: ٢٢٧٣. من حديث: ابن
عباس رضي الله عنه.

ومن الوفاء بالعقد توفية الأجير أجره تماماً حسب الاتفاق، لقوله عليه الصلاة والسلام ((ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة : رجلٌ أعطى بي ثم غدر، ورجلٌ باع حراً فأكل ثمنه، ورجلٌ استأجر أجيراً فاستوفى منه ولم يعطه أجره))^(١).

الشرط الخامس: التقيد بمتطلبات المهنة.

وهذا يحتاج إلى إعداد مهاري خاص من ناحية عضلية ومن ناحية تدريبية. وليست كل المهن سواء فيما تتطلبه من مهارة وخبرة وقوة جسدية. فمهنة الطب غير مهنة الهندسة غير مهنة الطبخ غير مهنة حمل الأثقال، مثلاً.. وهناك أشياء ينبغي أن يقوم بتحصيلها صاحب المهنة لنفسه، وهناك أشياء يتحصل عليها من الجهة التي يعمل لها أو معها. ومما ينبغي له تحصيله:

- المحافظة على صحته الجسدية.
- تنمية المهارة الفردية، فيما عليه تحصيله.
- متابعة الخبرات والمستجدات في إطار مهنته، والتدريب عليها..
- الإتيان والإحسان في العمل ((إن الله يحب من أحكم إذا عمل عملاً أن يتقنه))^(٢)، وهذه قاعدة عامة في كل عمل.

الشرط السادس: المحافظة على الذوق العام، بحيث يشجع على احترام المهنة، ولا تبعث تصرفاته على احتقارها.

الشرط السابع: المحافظة على المظهر العام للمهنة وقواعدها^(٣).

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب: البيوع، باب: من باع حراً (٨٢/٣) رقم: ٢٢٢٧. من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) الحديث قال في مجمع الزوائد: رَوَاهُ أَبُو يَعْلَى، وَفِيهِ مُصْعَبُ بْنُ ثَابِتٍ وَثَقَّةُ بْنُ جَبَّانَ، وَضَعَّفَهُ جَمَاعَةٌ. انظر: مجمع الزوائد (٩٨/٤) رقم: ٦٤٥٧. من حديث عائشة.

(٣) انظر: أخلاقيات المهنة ص ٥٥.

الشرط الثامن: وهو من ضوابط إتقان المهنة و جودة المنتج. وهنا ينبغي على المهني الانضباط بما يلي:

- الالتزام المهني، وهذا لا يتأتى بغير محبة المهنة والافتتاع بها.
- التقيد بالمواعيد المضروبة لمن يتعلق بهم العمل.
- الالتزام بالمعايير الثابتة للخدمات.
- احترام التخصصات، فلا يدخل في تخصص لا يتقنه.
- سرعة الإنجاز مع المحافظة على الجودة.
- التعاون والانسجام مع الناس أو مع فريق العمل.
- تغليب جانب الأخوة والمحبة على جانب الأنانية والتنافس السلبي، بين أبناء المهنة الواحدة.
- رسم الأهداف والسياسات قبل بدء أي عمل.

الشرط التاسع: الوعي بالمسؤولية الأخلاقية والقانونية.

وهذا معناه أن المهني بعد ما يقدم نفسه للناس تصير عليه مسؤولية ينبغي له القيام بها، وهذا المسؤولية تتخذ الجوانب التالية^(١):

- المسؤولية الأخلاقية: وتتعلق بالأفعال التي يكون فيها المرء مسؤولاً أمام ضميره، وأمام الله، والمراد بها أهدافه الخاصة ومراميه الخفية، فإنه لا يطلع عليها إلا الله تعالى. ويدخل هنا الغش الذي لا يظهر، والتلاعب بالمعايير، وقلة الإتقان.. وإخفاء بعض السلع التي يحتاجها المجتمع، والتنصل من المسؤوليات ..
- المسؤولية المدنية: وتتعلق بالأفعال الظاهرة، وتتحدد هذه المسؤولية وفقاً للقانون الوضعي.

(١) انظر: أخلاقيات المهنة ص ٥٧.

- المسؤولية الاجتماعية: وتتعلق بالمجتمع، وذلك بتقديم الصالح العام وحفظ الأمان في المهنة للمجتمع، وتلبية حاجاته.

الشرط العاشر: عدم الاستغلال لحاجة الناس.

فالمتوخى من صاحب الحرفة والمهنة والإنتاج في المجتمع المسلم أن يساعد الناس ويراعي حاجتهم ولا يستغل السوق لمصلحته الشخصية، فإن ذلك مما يضر بالناس، والرسول صلى الله عليه وسلم يقول: ((لا ضرر ولا ضرار))^(١).

الشرط الحادي عشر: المنافسة الشريفة.

فالإسلام جاء بمنهج التسامح والمحبة، وأي عمل يؤدي إلى الحقد والبغض وتنافر أبناء المجتمع يعتبر عملاً مرفوضاً وإن كان فيه نفع لصاحبه؛ لأن مآله الضرر على صاحبه وعلى مجتمعه، والريح الآني سيزمحل ولا يبقى غير الود والمحبة، ولذلك فقد نهى صلى الله عليه وسلم عن كل ما يؤدي إلى ذلك من أنواع المعاملات، فقال صلى الله عليه وسلم: ((لا تتاجشوا، ولا يبيع المرء على بيع أخيه، ولا يبيع حاضر لباد...))^(٢).

الشرط الثاني عشر: البعد عن الغش والخداع.

والغش يتخذ صوراً كثيرة في المعاملات وغيرها، وهو مما يناقض روح المحبة والجماعة، وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عنه، ومن صورته التي نهى عنها: ما

(١) الحديث رواه بن ماجه في سننه، باب: من بنى في حقه ما يضر بجاره (٧٨٤/٢) رقم: ٢٣٤٠. وصححه الألباني من حديث عبادة بن الصامت.

(٢) الحديث رواه مسلم في صحيحه، كتاب: البيوع، باب: تحريم الخطبة على الخطبة، وغيره (١٠٣٣/٢) رقم: ١٤١٣. وهو عند غيره أيضاً، من حديث أبي هريرة.

في قوله: عليه الصلاة والسلام: ((لا تصروا الإبل والغنم))^(١). وفي قوله: ((لا يحل
لامرئ باع من أخيه بيعاً وفيه عيب إلا بينه له))^(٢).
هذه جملة من الشروط التي يمكن أن نشترطها في أي مهنة على العموم؛ من أجل
أن تؤتي ثمارها، وذلك أن المسلم صاحب رسالة في كل عمل يقوم به، وليس
مقصوده - فقط - الربح المادي، وإلا لتساوى مع غيره من الأشخاص الذين ليس لهم
أهداف وغايات ورسالة ذات أبعاد أخلاقية.

(١) الحديث رواه البخاري في صحيحه، كتاب: البيوع، باب: النهي للبائع أن يحفل الإبل.. (٧٠/٣) رقم: ٢١٤٨.
من حديث أبي هريرة.

(٢) الحديث رواه ابن ماجة في سننه، باب: من باع عيباً فليبينه (٧٥٥/٢) رقم: ٢٢٤٦. وصححه الألباني من
حديث عقبة بن عامر.

المطلب الثاني: أخلاق وقيم مهنية

تمهيد:

إن حظوظ الناس من الطبائع الفطرية تختلف وتتفاوت، وكذلك تتفاوت طبائعهم النفسية، وهذه فطرة فطر الله الناس عليها، وهي في أصل التكوين البشري ولذلك سيظل هذا التفاوت ملازماً لهم.

وأخلاقيات المهنة هي المبادئ والمعايير التي تعتبر أساساً للسلوك المطلوب لأفراد المهنة والتي يعتمد عليها المجتمع في تقييم أدائهم إيجاباً وسلباً.

ومن هنا يمكن تقسيم الأخلاق والقيم إلى قسمين أساسيين من حيث مصدرها: الأول: الأخلاق والقيم الفطرية، وهي التي تولد مع الإنسان وتكبر معه ولا يستطيع الانفكاك عنها.

الثاني: الأخلاق والقيم المكتسبة، وهي التي بإمكان الإنسان اكتسابها من خلال التربية المقترنة بالإرادة والتصميم. والناس في ذلك متفاوتون بمدى سبقهم وارتقائهم في سلم الفضائل وهذا التفاوت لا ينافى وجود استعداد عام صالح لاكتساب مقدار من الصفات الخلقية.

ووفق هذا الاستعداد جاءت التكاليف الشرعية بالتزام فضائل الأخلاق، واجتناب الرذائل. وهذه القيم والأخلاق تنتظم في جانبين عامين، هما: أخلاق وقيم عامة، وأخلاق وقيم مهنية خاصة. وسوف نذكر ذلك فيما يلي:

أولاً: أخلاق وقيم عامة (معيارية):

ونحن هنا بصدد بيان القيم والأخلاق المعيارية من قيم الحرف والمهنة، ويمكن أن نذكر بعضها منها، كما يلي:

١- **الاتقان:** وهو انجاز العمل على الوجه الاكمل والنحو الأتم، قال النبي صلى الله عليه وسلم ((ان الله تعالى يحب اذا عمل احدكم عملا ان يتقنه))^(١).

٢- **الأمانة:** وهي من أهم وأعظم القيم الأخلاقية التي يعتمد عليها المنهج الإسلامي في بناء الحياة وفي كل عمل يمكن أن يقوم به الناس، فمن ولي أمانة في وظيفته فإنه يحتاج إلى مراقبة الله فيها أولاً، ثم أدائها على أتم وجه، فمن فعل ذلك فإنه مع النبيين والصديقين، قال عليه الصلاة والسلام: ((التاجر الصدوق الأمين مع النبيين والصديقين والشهداء))^(٢).

وهذه الصفة قليلة في آخر الزمان مما يتطلب من أصحاب الأعمال كثيرا من التحري عن يتحلى بهذه الصفة عن طريق الاختبار والسجل الوظيفي. وللأمانة مجالات عدة، من أهمها:

أ- الأمانة في المال:

وهو من أهم المجالات؛ لأنه هو المقصود الأول بالتعاملات، والمال فتنة فما لم يكن المتعامل معه أمينا فإن ذلك قد يؤدي إلى التفريط أو الاحتيال أو غير ذلك من أنواع السرقة التي تحصل.

ومن الأمانة في المال: المحافظة على أدوات العمل، وعدم استعمالها فيما لا يخص مصلحة العمل، كالأوراق والأجهزة والسيارات وغيرها.

ومن الأمانة في المال: أداء الحقوق، وذلك بأن يعطى العمال حقوقهم غير منقوصة وفي وقت الاستحقاق، وأن يعطى العمال أيضا ما يستحقونه من التقييم العادل من غير محاباة ولا مجاملة.

(١) الحديث روي في أكثر من مصدر من مصادر الحديث الشريف، انظر: مجمع الزوائد، باب: بيع ما لم يقبض، وغيره، (٩٨/٤) رقم: ٦٤٦٠، وهو من حديث عائشة، وقال: رواه أبو يعلى، وفيه مصعب بن ثابت وثقه ابن جبان، وضعفه جماعة.

(٢) الحديث رواه الترمذي في سننه، وحسنه، انظر: سنن الترمذي، باب: ما جاء في تسمية التجار (٥٠٧/٣) رقم: ١٢٠٩. من حديث أبي سعيد.

ب- الأمانة في الوقت:

والأمانة فيه تعني الالتزام بالحضور والانصراف في وقت الدوام المتفق عليه بين العامل وصاحب العمل؛ لأن المؤمنين عند شروطهم.

ج- الأمانة في المحافظة على أسرار الوظيفة:

وهذا يتأكد في الوظائف ذات الصفة الخاصة، كالطبية والعسكرية، والقضاء، والمناصب العليا، ففيها من الأسرار ما يحتاج فيه العامل إلى درجة عالية من الأمانة؛ لئلا يفشي أسرار العمل أو أسرار الناس، ولذا وضع في بعضها قسم يؤديه المتقدم زيادة في التعهد بحفظ الأسرار.

ومن أسرار العمل المؤتمنة: أسرار العملاء بكل صورهم، أفرادا أو مؤسسات.

د- الأمانة في عدم استغلال السلطة والنفوذ لمصالح شخصية، كطلب الرشوة والتنازل عن المواصفات المطلوبة مقابل أخذ مبلغ من المال، وقبول الهدايا الشخصية، وتأخير المستحقات ليرغم المتقدمين على دفع المال.

هـ- الأمانة في جودة المنتج، وكفايته، فالغش والخديعة حرام.

والأمانات الوظيفية التي ينبغي الحفاظ عليها كثيرة، وتتحدد بحسب المهنة والوظيفة والحرفة.

٣- القوة، وهي تعني ملاءمة المهنة لصاحبها، بحيث يستطيع القيام بها على أكمل

وجه، ولذلك قال تعالى: ﴿أَسْتَعِجْرُهُ إِنَّكَ خَيْرٌ مِّنْ أَسْتَعِجْرَتِ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾ (٢٦)

القصص: ٢٦. وهذه الآية تدل لصفة الأمانة، المذكورة سابقا أيضا.

والقوة ذات أبعاد عديدة كلها تصب في مصلحة الوظيفة التي سيقوم بها

الفرد، بحيث يكون صالحا وملائما لها، ومن تلك القوى:

- القوة الفكرية والعقلية وتتبع الجديد في مجال العمل، أو ما يسمى بالابتكار والإبداع.

- القوة الجسدية والنفسية.

- القوة القلبية.

وكل نوع من هذه الأنواع له متطلبات تحصل بسببها القوة الفاعلة التي من خلالها يستطيع الفرد ممارسة المهنة بسهولة ويسر، بحيث تثمر لصالح الفرد والمجتمع.

٤- **العدل:** وهو من القواعد الأساسية في العمل في الإسلام، حيث إنه يثمر قناعات تنعكس على الإنتاج والاجتهاد في العمل.

ويجب على من يضع أنظمة العمل أن يراعي هذا المبدأ، بحيث يعرف كل عامل أو صاحب عمل ماله وما عليه من الحقوق والواجبات، بالعدل في كل حق من الحقوق وفي كل واجب من الواجبات.

ومن هنا يتبين أن أخلاقيات العمل ليست فريضة إسلامية فحسب، بل هي ضرورة وظيفية، وممارسة دعوية، وشعبة حضارية، لا يقتصر بعدها على إنجاز العمل، بل تتعدى أبعادها تنمية المجتمع بأجمعه.

٥- **الكفاءة والنزاهة:**

وهذا الأمر يتعلق بالعامل كما يتعلق بأرباب العمل أو المسؤولين عن التوظيف، فلا بد لكل عمل ناجح من اعتماد الكفاءة والنزاهة معياراً أساسياً لاختيار العمال من غير محاباة، وإلا كان ذلك من ضياع الأمانة، كما قال صلى الله عليه وسلم: ((إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة، قيل: وما إضاعتها؟ قال: إذا وسد الأمر إلى غير أهله))^(١).

هذه بعض القيم والأخلاق المعيارية العامة والتي ينبغي الالتزام بها في كل الأحوال وخاصة في تنفيذ الأعمال والقيام بالمهام والوظائف الخدمية التي تتعدى آثارها إلى المجتمع والأمة.

(١) الحديث رواه البخاري في صحيحه، كتاب: الآداب، باب: رفع الأمانة (١٠٤/٨) رقم: ٦٤٩٦. من حديث أبي هريرة.

ثانيا: أخلاق وقيم مهنية خاصة:

أ/ ما يختص بالعاملين

الأخلاق والقيم الفاضلة نحتاجها في كل حياتنا، ولكن هناك أخلاق وقيم نحتاجها كثيرا عند ممارسة الأعمال والوظائف والحرف، وذلك لضمان استمرارها وتحسين الأداء والفاعلية في العمل والإنتاج، ومن تلك الأخلاق والقيم:

١. التفاعل بإبداء الرأي في تطوير العمل وتحسينه، وهذا لا يكون إلا من شعور صادق بالانتماء ومن محبة للمؤسسة والعمل.

٢. حب نفع الآخرين، فالوظيفة مجال جيد لخدمة الآخرين، فمن احتسب الأجر عند الله في أداء وظيفته- التي لها علاقة بخدمة عموم الناس- فإن الله ينزله منازل الأبرار، قال صلى الله عليه وسلم: ((أحب الناس إلى الله أنفعهم))^(١).

٣. المبادرة، بحيث يقوم العامل بما يطلب منه على وجه من المبادرة، وهذا لا يتأتى إلا عن محبة للعمل والحرفة التي يمارسها، ولذلك ينبغي أداء جميع الحقوق للعامل والاهتمام به ومتابعته حتى يكون مبادرا غير كسول.

٤. التعاون مع الزملاء والرؤساء، فذلك مما يشيع روح المحبة والألفة، كما أنه يثمر جودة العمل والانسجام بين العاملين.

٥. الشعور بالمسؤولية، قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته))^(٢)، والمسؤولية تتطلب أن يشعر العامل بأنه هو صاحب العمل وأنه هو المعني بالإنجاز والجودة، قبل صاحب العمل.

(١) الحديث أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط برقم: ٥٧٨٧، من حديث جابر، قال: لم يَرَوْ هَذَا الْحَدِيثَ عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ إِلَّا عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ أَبِي كَرِيمَةَ، تَقَرَّدَ بِهِ عَلِيُّ بْنُ بَهْرَامٍ ". انظر: المعجم الأوسط للطبراني، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين - القاهرة (٥٨/٦) .

(٢) الحديث رواه البخاري في صحيحه في أكثر من موضع، وكذلك غيره، انظر: صحيح البخاري، كتاب: الجمعة، باب: الجمعة في القرى والمدن (٥/٢) رقم: ٨٩٣. من حديث عبد الله بن عمر.

٦. حسن الخلق والتعامل مع الآخرين، وهذا يكون عن محبة وانسجام، كما أن الألفة التامة تكون ثمرة لحسن الخلق، ومن حسن الخلق: الكلمة الطيبة والابتسام والوقوف مع الغير لشد أزره أو نصيحته..
٧. العلم المهني والتمرس فيه، بحيث يؤدي مهامه بأحسن صورة، فالعلم يورث البصيرة، والبصيرة في العمل هي تأديته على صورة حسنة كما تكون أيضا في القيام بما يحسنه من العمل.
٨. الصبر والمثابرة وعدم التضجر والملل السريع، فإن الصبر يولد كثرة الإنتاج ووفرتة، وفيه خدمة للأمة، وللمستهلك بصورة عامة.
٩. مراقبة الله تعالى في كل حال، في حال العمل والإنتاج وفي نوعية الإنتاج، وهذه من أعظم القيم التي ينبغي ملاحظتها.
١٠. توخي العدل في الحكم على كل عمل أو ممارسة، ولا يجعل الهوى يطغى على تصرفاته وأحكامه.
- ب: أخلاق خاصة بالرؤساء والمدراء.**
- ومن أهم هذه الأخلاق:

١. التواضع، وهو مما يشيع روح الفريق الواحد بين المسؤولين والعاملين معه، ويفسح المجال لتقديم النصح فيما فيه مصلحة العمل.
- ومن الأمراض الوظيفية: التعالي من قبل المسؤولين وأرباب الأعمال، وهذا مما يجعل العمل غير مرغوب فيه من قبل العمال، وبالتالي ينعكس ذلك على الإنتاج ووفرة وجودة، والأصل أنه لا فرق بين العامل وصاحب العمل في الإنسانية بل وربما حتى في المهارة، ولكن إنما هو رزق قسمه الله بين الناس فينبغي على الرؤساء التواضع مع العاملين مراعاة لمشاعر الأخوة والإنسانية، وذلك لا ينقص من الهيبة.
٢. المشورة: فذلك مما يولد الاهتمام والشعور بالمسؤولية، ويوزع المهام ويخفف العبء على المسؤول، والمشاورة من أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم:

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((مَا خَابَ مَنْ اسْتَخَارَ، وَلَا نَدِمَ مَنْ اسْتَشَارَ، وَلَا عَالَ مَنْ اقْتَصَدَ))^(١).

٣. مراعاة العاملين وأداء حقوقهم، قال عليه الصلاة والسلام: ((إخوانكم خولكم جعلهم الله تحت أيديكم، فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل وليلبسه مما يلبس، ولا تكلفوهم ما يغلبهم فإن كلفتموهم فأعينوهم))^(٢).

٤. القيام بواجب المسؤولية، قال النبي صلى الله عليه وسلم ((كلكم راع، وكلكم مسئول عن رعيته، الإمام راع ومسئول عن رعيته، والرجل راع في أهله وهو مسئول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسئولة عن رعيته، والخادم راع في مال سيده ومسئول عن رعيته))^(٣).

٥. القدوة الحسنة، فالمدير باعتباره المرجع الأول والأهم لجميع الموظفين ينبغي عليه أن يكون المثل الأعلى لمروؤسيه في الكفاءة الوظيفية والمقدرة الإنتاجية والسلوك القويم والخلق الكريم والتزامه بواجباته واحترامه للوقت. فلا يضيعه فيما لا يفيد العمل كما أن عليه أن يبرز ولاءً كبيراً لمؤسسته وأن يزرع حب العمل والانتماء في نفوس مروؤسيه، والوظيفة العامة في الفكر الإداري الإسلامي تغلفها المسؤولية التي ليس فيها تسلط على الرعية^(٤).

والعاملون دائماً ما يتأثرون بما يلقيه رؤسائهم من تعاليم وقرارات، سلباً وإيجاباً، ومن هنا تظهر أهمية اختيار القيادات الإدارية الفاعلة الصالحة.

(١) الحديث رواه الطبراني في المعجم الأوسط والمعجم الصغير، وقال: لَمْ يَرَوْهُ عَنِ الْحَسَنِ إِلَّا عَبْدُ الْقُدُّوسِ بْنُ حَبِيبٍ، تَقَرَّرَ بِهِمَا وَوَلَدُهُ عَنْهُ . انظر: المعجم الأوسط للطبراني (٣٦٥/٦) رقم: ٦٦٢٧. وضعفه صاحب مجمع الزوائد (٩٦/٨) رقم: ١٣١٥٤. من حديث أنس.

(٢) الحديث رواه البخاري في صحيحه، كتاب: باب: المعاصي من أمر الجاهلية (١٥/١) رقم: ٣٠ من حديث أبي ذر.

(٣) سبق تخريج الحديث.

(٤) انظر: دستور الأخلاق في القرآن، حمد بن عبد الله دراز، مؤسسة الرسالة، الطبعة: العاشرة ١٤١٨ هـ / ١٩٩٨ م ص ١٤٨. وغيرها، وانظر: مفتاح الأفكار للتأهب لدار القرار، أبو محمد عبد العزيز بن محمد بن عبد الرحمن بن عبد المحسن السلطان . (١١٣/٢).

٦. العدل والمساواة بين المرؤوسين جميعاً، فإله يأمر بالعدل بين الناس دون تمييز، ولذلك فأولى الناس بالعدل هم الذين لهم حق التصرف في أمور الناس.

ومن هنا ينبغي على المدير أن يحصن إدارته بالعدل وفق الأمور التالية:

- النظر في مظالم مرؤوسيه بنفسه.
- تفقد أحوال مرؤوسيه.
- إنصاف المظلوم من الظالم.
- مجازاة كل بما يستحقه، بحيث يقول للمحسن أحسنت وللمسيء أسأت ولا يساوي بين المحسن والمسيء في الحوافز والعلاوات والترقيات بل يعطي كل ذي حق حقه^(١).

- التخلص من المحسوبة والفساد الإداري، وأن يدفع إدارته نحو الاستقامة في العمل حسب قواعد الجدارة وتكافؤ الفرص.

- الارتقاء بالمؤسسة وفق أفضل أخلاقيات التعامل الإنساني والإداري. ولا شك أن شعور الموظف بعدالة الإدارة سيقوي مشاعره نحوها وينمي روح انتمائه لها مما يدفعه لبذل أقصى جهوده لرفع مستوى الإنتاج ومستوى الأداء^(٢).

هذه بعض القيم والأخلاق المهنية المهمة للقيام بمهام العمل المهني والحرفي، من أجل تحسينه وتطويره وأدائه على الوجه الأكمل، وحتى لا يظن العاملون أن عليهم العمل وحسب، ولا يهتم أرباب العمل بتوفير المال والسلع فقط، ولكن على كل

(١) انظر: العلاقة والتأثير بين قيم الفرد والمنظمات في بناء أخلاقيات المهنة من منظور الفكر المعاصر والإسلامي، د. إبراهيم فهد الغفيلي، ورقة مقدمة إلى الملتقى الثالث لتطوير الموارد البشرية "استراتيجيات تنمية الموارد البشرية - الرؤى والتحديات" أكتوبر ٢٠٠١م.

(٢) انظر: المرجع السابق.

واحد واجبات وأخلاق ينبغي أداءها ضمانا للاستمرار في العمل والإنتاج، وضمانا لترابط المجتمع ووحدته واستقراره.

ولكن ليس كل المهن والوظائف تحتاج إلى نفس القدر من القيم والأخلاق، فهناك أخلاق عامة تدخل في كل عمل ومهنة، وهناك أخلاق وقيم خاصة بكل عمل ومهنة، كما تحتاج بعض المهن والأعمال تركيزا خاصا لنوع من القيم دون بعض. فالعاطفة الإنسانية مثلاً، صفة أخلاقية مهمة ولكن الحاجة إليها في مهنة الطب أكثر من بعض المهن الأخرى، وقد لا تكون مطلوبة أبداً في بعض المهن كالمهن الصناعية مثلاً لأن صاحبها يتعامل مع مدخلات الصناعة. والعدل مثلاً يكون صفة أساسية في بعض المهن كالحكم والقضاء والإدارة، وكذلك القدوة الحسنة تكون أعظم وأبلغ عند الحكام والقياديين والمعلمين وكبار المسؤولين أكثر من غيرهم، ويكون الورع أعظم وأبلغ عند أئمة المساجد والعلماء والممارسين للمهام المالية، ولكن ذلك لا يعني سائر الموظفين المهنيين من التحلي بها وإن اختلفت نسب الطلب^(١).

(١) انظر: المرجع السابق.

المبحث الثالث: أثر القيم والأخلاق في الواقع

وفيه مطلبان

المطلب الأول: آثار عامة

المطلب الثاني: آثار خاصة

المطلب الأول: آثار عامة

الحرفة والمهنة يتعدى أثرها إلى أفراد المجتمع ولا يقتصر أثرها على صاحبها، ولذلك ينبغي الاهتمام بها ومعرفة القيم والأخلاق التي ينبغي التحلي بها من قبل العاملين والحرفيين، حتى تستثمر بطريقة نافعة للمجتمع والأمة ولل فرد كذلك، وتبعا لهذه الأهمية تأتي أهمية القيم والأخلاق المهنية، ذلك أن لها أثارا على السلوك الفردي والجمعي، من حيث التعديل والتوجيه، ومن حيث الإنشاء والترسيخ، فكل إنسان لا بد أن لديه ميولا وأهدافا يسعى إليها ويسير في حياته وفقا لها، والأخلاق والقيم تمثل الإطار الذي لا يصح للمسلم أن يتعداه في تصرفاته، فلها أثر في إحكام السير العام، كما أن لها أثر في تهيئ تصرفات الإنسان وتوجيهها الوجهة التي ينبغي.

إن أثر الأخلاق والقيم يأتي من حيث إن هدفها النهائي وغايتها: تحقيق السعادة في الحياة الفردية والجماعية، فالحياة في ظل الأخلاق والقيم هي حياة خيرة بعيدة عن الشرور بجميع أنواعها وصورها، ينتشر فيها الخير والأمن والأمان الفردي والاجتماعي، وتنتشر فيها أيضا الثقة المتبادلة والألفة والمحبة بين الناس^(١).

كما أن القيم والأخلاق وسيلة لنجاح الإنسان في الحياة، فالناس يحبون صاحب الخلق الحسن ويتفاعلون معه وبالتالي يتقون به ويكون ذلك سببا لنجاحه في حياته العملية بلا شك، كما أن قيم الخير والفضيلة تؤسس للنهوض بالأمة في كل مجالاتها، فتتعزيز روح المحبة والقوة والطمأنينة والثقة والاحترام ومن ثم الجودة والوفرة والتخصص الفاعل والمنتج، مما يقيم في الأمة نهضة عامة في جميع جوانب الحياة.

إن آثار القيم والأخلاق على المهن والحرف تتجلي في عدة جوانب:

- جانب إنشاء القيم والأخلاق المهنية الفاضلة والإيجابية.

(١) انظر: علم الأخلاق الإسلامية ص ٨.

- جانب تهذيب القيم والأخلاق المهنية غير السوية.
- جانب ترسيخ وتعزيز القيم والأخلاق المهنية الفاضلة الموجودة.
- جانب توجيه السلوك والتصرف المهني الفردي والجمعي نحو القيم الإيجابية الفاعلة.

فإنشاء القيم المهنية أمر ركز عليه النظام الأخلاقي الإسلامي، فجاء بقيم عديدة كانت غير موجودة في المجتمع، ومن ذلك ربط أمور كثيرة في الحياة العملية باليوم الآخر والثواب في الآخرة، بجانب الربح المادي والفائدة الدنيوية، سواء في أنواع الأعمال أو الخدمات، أو توفيرها وجودتها، أو في التعاملات بصورة عامة. ومن ذلك قيم التسخير والتنمية المربوطة بالعبادة، وكذلك توسيع معنى العبادة ليشمل عموم التصرفات حتى التي فيها نفع شخصي ذاتي.. إلى غير ذلك.

وتهذيب القيم والأخلاق جانب مهم من جوانب الرسالة والدين، فقد قال صلى الله عليه وسلم: ((إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق))^(١)، وإتمام مكارم الأخلاق يدل على تهذيب وإصلاح القائم منها لما فيها من نقص يحتاج إلى إتمام، وقد تهذبت قيم مهنية كثيرة كانت تخالف المنهج السليم، كإصلاح قيم الوزن والكيل، وإتمام فضيلة الصدق والأمانة، والنهي عن الغش والخداع والكذب والاحتيال، ((ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم، قال: فقرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثاً، مراراً، قال أبو ذر: خابوا وخسروا، من هم يا رسول الله؟ قال: «المسبل، والمنان، والمنفق سلعته بالحلف الكاذب»))^(٢) ..

وفي ترسيخ وتعزيز القيم الصالحة شجع النظام الأخلاقي الإسلامي على قيم الخير وبين ما في ممارستها من خير وفلاح ونجاح على المستوى الفردي والجمعي، كالحث على جلب السلع وتوفيرها للناس برخص وجودة، والحث على التعامل

(١) الحديث سبق تخريجه.

(٢) الحديث رواه مسلم في صحيحه، كتاب: باب: بيان غلظ تحريم إسبال الإزار (١٠٢/١) رقم: ١٠٦٠. من حديث أبي ذر.

الصادق ((البيعان بالخيار ما لم يتفرقا، - أو قال: حتى يتفرقا - فإن صدقا وبينا بورك لهما في بيعهما، وإن كتما وكذبا محقت بركة بيعهما))^(١).

وفي الحديث ربط للبركة بالصدق وبين السلعة كما هي بمواصفاتها وعيوبها ، وهو أمر لم يتعوده المتبايعون إذ كيف يكون بيان العيب سببا في تحقق البركة مع ان بيان العيب يصرف المشتري عن الشراء؟

وفي نظري أن بيان العيب من قبل البائع وقبل ان يكتشفه المشتري بنفسه بناء لجسور الثقة وفتح لتعامل دائم وأرباح مستمرة مقابل الريح الظاهر من الصفقة الواحدة ، كما يعمل على أن يصبح هذا العميل مندوب تسويق للبائع يشرح للناس أوصافه وقيمه ونبل أخلاقه وسماحته وصدقه في تعامله ، وقبل ذلك وبعده الحصول على البركة من مانحها سبحانه وتعالى مقابل الامتثال لشرعه وحكمه

وكالوفاء بالعقود والعهود والالتزام بما قطعته المرء على نفسه ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا ۝١﴾ المائدة: ١ .

وهكذا كان للقيم والأخلاق أثر كبير في كل جانب من جوانب النشاط البشري، استهدافا لسعادته وتوخيا لصلاحه، وهذه جملة من القيم العالية التي أمر بها القرآن وحث عليها - من غير شرح - ليتبين من خلالها اهتمام الإسلام بالقيم المجتمعية التي تنمي المجتمع وتحفظه، منها:

قيمة الأمانة: قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حُكِمْتُمْ بَيْنَ

النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ۝٥٨﴾ النساء: ٥٨

قيمة العلم والمهارة: قال تعالى: ﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلَيْمُ ۝٥٥﴾ يوسف: ٥٥.

قيمة الكفاءة: قال تعالى: ﴿أَسْتَجِرُّهُ بِكِ خَيْرٍ مِّنْ أَسْتَجَرْتِ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ۝٢٦﴾ القصص: ٢٦.

(١) الحديث رواه البخاري في صحيحه، كتاب: البيوع، باب: إذا بين البيعان ولم يكتما.. (٥٨/٣) رقم: ٢٠٧٩. من حديث حكيم بن حزام.

قيمة التسخير: قال تعالى: ﴿ وَسَخَّرْ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ

لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾ الجاثية: ١٣

قيمة السعي والعمل: قال تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا

مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴿١٥﴾ الملك: ١٥. وقال تعالى: ﴿ وَآخِرُونَ بَصْرِيُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ

مِن فَضْلِ اللَّهِ ﴿٢٠﴾ المزمل: ٢٠.

قيمة الإتقان والإحسان والإجادة: ((إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ إِذَا عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَمَلًا أَنْ يُقِنَّهُ))^(١).

و ((إن الله كتب الإحسان على كل شيء..))^(٢).

ولو تتبعنا النصوص التي في جانب القيم والأخلاق لما استطعنا أن نستوعبها في بحث واحد، ذلك أن النظام الأخلاقي في الإسلام لم يترك فرصة يرى فيها إصلاحا للمجتمع أو الفرد إلا استغلها بالأمر أو النهي حتى إنه لا يرقى إليه أي نظام أخلاقي في الأرض لا في القديم ولا في الحديث.

هذه بعض الآثار المترتبة على وجود القيم والأخلاق في المجتمع وتفاعل أبنائه معها، وهي تحقق في النهاية مصالح الأمة العليا من حيث حفظها وإقامتها، كما أن تنوعها يحفظ توازن المجتمع في جميع المجالات، وتقوم إطارا محددًا لسلوك أفراد الأمة جماعات وفردى. كما تتقاطع بصورة عميقة مع الكليات الخمس بحيث تحدد مستوى العلاقة ونوعها بينها وبين الإنسان ذاته، كما ترتبها فيما بينها بحسب الأهمية والأولوية حال التباس علاقاتها المتجددة بحسب الزمان والمكان والشخص، وتقوم هذه العلاقة على أساس من الموازنة الإيجابية المثمرة.

(١) الحديث سبق تخريجه.

(٢) هذا جزء من حديث رواه مسلم في صحيحه، كتاب: باب: الأمر بالإحسان (١٥٤٨/٣) رقم: ١٩٥٥. من حديث شداد بن أوس.

المطلب الثاني: آثار خاصة (مباشرة)

يقوم المنهج الإسلامي العظيم على تقويم السلوك البشري وتهذيبه وتوجيهه بما يحقق المصلحة الفردية والجماعية وذلك لأن الإنسان بطبعه خلق ضعيفاً هلوياً، فهو بحاجة إلى تقويم وتقييم بصورة دائمة، ومن أجل ذلك جاء النظام الأخلاقي الإسلامي بمجموعة من القيم والأخلاق التي تقوّم سير الإنسان وسلوكه، والتي تحيط به في المبدأ والمعاد، وتؤدي هذه القيم والأخلاق دوراً أساسياً في التأثير على سلوك المرء ونشاطاته بل وممارساته اليومية. ومن هذا المنطلق فإن قيماً هي أهم ما يميز شخصياتنا، فهي تؤثر على سلوكنا، وكذلك الطريقة التي نستثمر بها أوقاتنا وجهودنا، وعلى جميع مظاهر حياتنا، بل إن قيماً هي التي توجهنا للطريق القويم في الأوقات الحرجة حين تتفرق بنا السبل وتتقاذفنا الضغوط وأمواج الحياة^(١).

والقيم تعبر عن المعتقدات الأساسية للفرد، وهي التي تحدد له ما يجب أن يفعله أو لا يفعله، وما هو صحيح أو خطأ أو حق وباطل.

إن لمظاهر السلوك الإنساني الذي يسلكه الفرد وهو يؤدي مهنته التي يزاولها علاقة وطيدة بين قيمه التي يعتنقها من جهة وبين قيم الجهة والمؤسسة التي يعمل فيها ويطبق فلسفتها من جهة أخرى، وبين قيم المجتمع الذي يعيش فيه كل من الفرد والمنظمة من جهة ثالثة، وهذه العلاقة تفاعلية تثمر سلوكاً إيجابياً في كل الاتجاهات وعلى كل المستويات^(٢).

والالتزام بالقيم المهنية من الواجبات التي لا بد من القيام بها وإبرازها في مجال العمل، ذلك لأن المهنة هي محور علاقة مباشرة بين الفرد ومن حوله ممن يتعاملون معه، وهذا الالتزام ليس في وقت دون وقت ولا مع إنسان دون آخر، بل يكون ذلك مستمراً

(١) انظر: العلاقة والتأثير بين قيم الفرد والمنظمات ص ٢.

(٢) انظر: المرجع السابق ص ٣.

باستمرار الحياة، واسعا بوسعها، وقد أشار النبي صلى الله عليه وسلم إلى ذلك بقوله: ((إِنْ قَامَتْ عَلَى أَحَدِكُمُ الْقِيَامَةُ وَفِي يَدِهِ فَسِيلَةٌ فَلْيَغْرِسْهَا))^(١). فلا يوجد وقت يمكن أن تنتهي فيه القيم بل حتى في أحلك الظروف والأحوال ينبغي القيام بها والتزامها، من غير أنانية ولا أثر، وتلك هي فلسفة البناء والنهوض، التي تجعل للقيم الآثار العظيمة والثابتة على مستوى الفرد والمجتمع.

ومن أهم الآثار التي تؤدي إليها القيم والأخلاق في مسلك المهن والحرف، ما يلي:

أ- على المستوى الفردي^(٢):

- ١- أنها تهيء للأفراد اختيارات معينة عن طريق الأوامر والنواهي والإلزامات التكاليفية، تحدد السلوك الصادر عنهم، وتلعب الدور الهام في تشكيل الشخصية الفردية السعيدة في الحياة الدنيا، وفي الحياة الآخرة.
- ٢- أنها تعطي الفرد إمكانية تحقيق ما هو مطلوب منه في إطار الرسالة الإسلامية، وتمنحه القدرة على التكيف والتوافق الإيجابيين.
- ٣- أنها تحقق للفرد الإحساس بالأمان، وتعينه على مواجهة التحديات والعقبات التي تواجهه في حياته.
- ٤- أنها تعطي الفرد فرصة ودفعة نحو تحسين وعيه، ومعتقداته، فيفهم العالم حوله، وتوسع مدلولات الإطار الفكري لفهم حياته وعلاقاته.
- ٥- أنها تعطي الفرد فرصة للتعبير عن الذات، في إطار العبودية الصحيحة لله.
- ٦- أنها تعمل على إصلاح الفرد وتوجيهه نحو الخير والإحسان.
- ٧- أنها تعمل على ضبط الفرد لشهواته ومطامعه.
- ٨- أنها تبعد الإنسان عن النقص البشري الذي يجعل الحياة جحيما لا يطاق.
- ٩- أنها تسمو بالإنسان وترفعه فوق الماديات المحسوسة حتى لا يرتبط بها ارتباطا كليا.

(١) الحديث رواه الإمام أحمد في مسنده بإسناده صحيح (١٥١/٢٠) رقم: ١٢٩٠٢. من حديث أنس بن مالك.

(٢) انظر: نضرة النعيم (١ / ٨٥ ، ٨٦) . بتصرف.

١٠- أنها تجعل سلوك الإنسان متصفاً بالثبات والتماسك ونفسيته موصوفة بالتجانس والتوافق.

١١- توجد الإرادة القوية والعزيمة الماضية مع الاختيار السلوكي الحسن.

١٢- توجد الإلتزام و الاحترام تجاه الذات بما يدفعها للأداء الفعال والاتجاه بانتظام واستمرار نحو الأفضل.

هذه جوانب من آثار القيم والأخلاق الفاضلة على الفرد سلوكا وفكرا وتخطيطا، إلا أنه يجب أن ندرك أن هذه الجوانب متداخلة متكاملة، لا يمكن تجزئتها، وإنما تؤدي وظيفتها كوحدة واحدة غير مجزأة.

ب- على المستوى الاجتماعي:

للقيم الخلقية وظيفتها على المستوى الاجتماعي، حيث إنها تحقق للمجتمع وظائف عديدة، منها:

١- حفظ تماسكه، فتحدد له أهداف حياته، ومثله العليا، ومبادئه الثابتة المستقرة.

٢- مساعدة المجتمع على مواجهة التغيرات التي تحدث فيه، بتحديد الاختيارات الصحيحة والسليمة.

٣- ربط أجزاء ثقافة المجتمع بعضها ببعض حتى تبدو متناسقة.

٤- وقاية المجتمع من الأتانية المفرطة، والنزعات، والأهواء والشهوات الطائشة التي تضر به وبأفراده ونظمه.

٥- تزويد المجتمع بالصيغة التي يتعامل بها مع الطبيعة، تسخييرا وتطويرا.

٦- تزويد المجتمع بالصبغة الملائمة التي تربط بين نظمه الداخلية من اقتصادية وسياسية وإدارية وبالتالي تحوطه بسياج حام من التفكك والانحلال^(١).

ج- على مستوى المؤسسات:

إن كل مؤسسة يسعى أصحابها من وراء إقامتها إلى أهداف وغايات يخططون للوصول إليها. وتتمحور قيمها حول هذه الأهداف والغايات، ونستطيع معرفة هوية

(١) نضرة النعيم (٨٦/١) بتصرف.

أي مؤسسة من خلال الاطلاع على رؤيتها ورسالتها، وفي الغالب لا تخلو فلسفة أية مؤسسة من اعتبار الربح والنفع المادي، والسلطة والمكانة والشهرة. ولكن القيم والأخلاق النبيلة والفاضلة لا بد أن تستوعب هذه المؤسسة إحاطةً، من حيث صياغة الأهداف والرؤية والرسالة والخطط والسلوك التنفيذي، بضمان حق المؤسس، وضمان حق العامل، وضمان حق المستهلك. ومن هنا تأتي الثمار قوية وصالحة وذات جودة عالية، فتضمن لها الاستمرار والتأثير في خدمة المجتمع ككل، مع ضمان امتيازات الملكية والربح، ولكن في إطار القيم والأخلاق. إن القيم والأخلاق التي يهدف إليها النظام الأخلاقي الإسلامي في النهاية هي ما تنتهي بإيجاد الفرد الصالح والمجتمع الصالح، وذلك للقيام بواجب الاستحلاف والاستعمار الذين يقتضيان ديمومة واستقراراً، ولذلك فإن مما يميز القيم والأخلاق الإسلامية، أنها:

- مستمرة ودائمة، بمعنى أنها مطلوبة في كل وقت ومع كل أحد وفي كل مستوى.
- أنها ثابتة لا تتغير بتغير الأشخاص والأحوال.
- أنها كلية لا تتجزأ، فليس فيها ربع قيمة ولا نصفها... بل تؤخذ كلا لا يتجزأ.
- أن النفع فيها عام ليس مخصصاً بأشخاص ولا فئات.
- أنها متكاملة فلا يوجد تنافر بين قيمة وأخرى أو خلق وآخر، بل كل يكمل الآخر، وتبرز في النهاية بصورة واحدة لا نتوءات فيها ولا عيوب.

المبحث الرابع: ضمانات أخلاقية في إطار المهن

وفيه مطلبان

المطلب الأول: مؤثرات على القيم والأخلاق المهنية

المطلب الثاني: ميثاق شرف المهنة

المطلب الأول: مؤثرات على القيم والأخلاق المهنية^(١)

تمهيد:

يتنازع الإنسان في أخلاقه وتصرفاته دافعان: الدافع الفردي الذي ينظر بمقتضاه إلى نفسه ومصالحها، والدافع الجماعي الذي ينظر بمقتضاه إلى أفراد مجتمعه ومصالحهم.

والإسلام لا يُبطل الدافع الفردي في الأخلاق ولا يسقطه على الإطلاق، بل يُكفّ المسلم بأن ينظر في حق نفسه ومصالحها، ولكن على أن يكون ذلك ضمن ضوابط معينة يفرضها عليه وهو يقوم بهذا الواجب تجاه نفسه. فلا بدّ من التوازن في الاهتمامات، والقيم والأخلاق تمثل إطارا مرجعيا في ذلك التوازن فهي أكثر من مجرد دوافع للالتزام أو إطار إيجابي في التعاطي مع الأعمال والحرف؛ ذلك أنها تتضمن المعتقدات التي تسير الحياة الفردية والجماعية وفقها، كما أنها صورة لثقافة الإنسان وتعليمه وبيئته والوسط الذي يعيش فيه.

ولكن هذه القيم والأخلاق قد تؤثر عليها بعض المؤثرات الدافعة والموجهة، وهذه المؤثرات تتنوع وتتوزع نوعيات التأثير، بحيث يتصدر بعضها جانبا منها وبعضها يتصدر في جانب آخر.

فالمجتمعات والمؤسسات والأسر بيئات عالية الفعالية وتشتمل على مؤثرات تدفع العاملين والمنضويين فيها نحو إتباع سلوك معين، وهذه المؤثرات قد تأتي كوسائل نختارها لتقوية بعض القيم أو قد تكون هي بذاتها مؤثرة من غير اختيار أحد، والثابت أن أي إنسان يتأثر سلبا وإيجابا بعدد من المؤثرات التي توجد أو تنمي أنواعا من القيم والسلوكيات والأخلاق بحسب الفلسفة النظرية لها، أو بحسب الممارسة الواقعية

(١) استندت في هذا المطلب من بحث: العلاقة والتأثير بين قيم الفرد والمنظمات.

الغالبية^(١)، أو الاعتقادات والمقاييس السائدة. وهنا سوف نعرض عددا من الوسائل أو المؤثرات على القيم والأخلاق، من غير إسهاب. ومن هذه المؤثرات، ما يلي:

أ. التعلم والتعليم، والتأثير هنا يكون من حيث النوعية والأساليب ودرجة الاهتمام به من المجتمع والدور الرسالي المنوط به.

والإنسان - من حيث الواقع - يقضي وقتا غير قليل في التعليم وفي البيئة التعليمية، ولا شك أن كثيرا من قيمه وسلوكياته تتكون في هذه المرحلة وتصير جزءا من طبعه، بحيث تؤثر فيه بقية حياته.

والتعليم في نظر الإسلام يهدف إلى تنشئة الإنسان العابد لله على المعنى الشامل للعبادة، ولذلك فيجب أن يحقق التعليم أمرين معرفيين هما:

- تعريف الإنسان بخالقه على بصيرة وهدى.

- تعريفه بسنن الله في الكون، ليعبده بعمارة الأرض وتسخيرها^(٢).

وفي إطار هذه المعرفة ينبغي أن يحقق التعليم - أيضا - أمورا عملية، فالتعرف على الله وعلى سننه في الكون والحياة يكون من ضمنه التعرف على القواعد والمنطلقات اللازمة للأخذ بالأخلاق الحميدة والبعد عن ضدها، وأخذ النفس على تحصيل أصول الأخلاق الفاضلة والالتزام بها، والبعد عن أصول الأخلاق الذميمة^(٣)، وهذا هو الجانب العملي للتعلم والتعليم.

ولما كان العلم هو سبيل الإنسان إلى معرفة الله وخشيته ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ ^(٢٨) فاطر: ٢٨ وهو وسيلته إلى عمارة الأرض وترقيتها، فإنه لا سبيل إلى ذلك إلا بالاستمرار في عملية التعليم والتعلم من الصغر

(١) من الغلبة والقوة، وليس من الكثرة. وإن كانت الكثرة إحدى جهات الغلبة.

(٢) التربية الإسلامية أصولها ومنهجها ومعلمها، عاطف السيد، ص: ١٦٩.

(٣) انظر: الأخلاق الفاضلة قواعد ومنطلقات لاكتسابها، عبد الله بن ضيف الله الرحيلي، مطبعة سفير، ص:

إلى الكبر. فحاجات الحياة متغيرة متجددة بتغير الحياة نفسها، وهذا يتطلب استمرار الإنسان في التعلم.

كما أن عمارة الأرض وترقية الحياة على ظهرها عملية مستمرة دائمة، وهي بالتالي تتطلب معلومات متجددة، وهذا كله يتطلب التربية والتعليم والتدريب للكبار بصفة دائمة ومستمرة، حتى يقوم الإنسان بالرسالة والهدف في الخلافة والعمارة كما ينبغي^(١).

والتعليم الجيد لا بد أن يكون له هدف تربوي ملائم، أي: أن التعليم المثالي إنما هو تربية، ولكنه يظل مرتبطاً "بموضوع ما" يكون له ارتباط كبير بسلوك المرء وتصرفاته^(٢)، بحيث يعطي تنمية متكاملة متوازنة لشخصية الإنسان من خلال الجوانب الروحية والوجدانية والعقلية، وهذا يعنى أن الجهد التوجيهي التربوي ينصب على كافة جوانب الشخصية الإنسانية وعلى التكامل بين المعرفة والسلوك، وينبغي للإنسان أن يعرف كيف يمزج بين المعرفة والعمل في إطار كلي^(٣).

وإذا أردنا تعميق الفائدة وتركيزها فلا بد من تهيئ التعليم بحسب القيم والأخلاق المبتغاة التي من خلالها نستهدف إصلاح المجتمع ككل، ومن أهم أهداف التعليم في جانب القيم المهنية، ما يلي:

١- التبصير بشمولية روح الأخلاق الإسلامية على كل تصرفات وسلوكيات الناس الفردية والاجتماعية.

٢- إبراز أهمية وأثر القيم الأخلاقية الإسلامية من الناحية العملية والاجتماعية والإنسانية والحضارية المادية والمعنوية.

(١) مناهج التربية أسسها وتطبيقاتها، على أحمد مدكور، دار الفكر العربي، الطبعة: ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م ص ١١٢.

(٢) مناهج التربية أسسها وتطبيقاتها ص ٣٢.

(٣) انظر: نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم (١ / ١٢٧) : بتصرف.

٣- وضع المعايير الخلقية الإسلامية أمام المتعلمين؛ ليستطيعوا توجيه سلوكهم وتقويم السلوكيات في ضوءها^(١).

ومن أهم مصادر التعريف بأخلاق المهن والحرف: المقررات الدراسية، والأنشطة العامة الصيفية وغير الصيفية، واعتماد تقنيات التعليم التطبيقية، واستغلال وسائل الإعلام بأنواعها لبيان القيم والإشادة بها، والتركيز على إيجاد المعلم القدوة. ومما سبق تتضح أهمية التعليم ودوره في تكوين وتثبيت القيم والأخلاق المهنية الفاضلة بحيث تستوجب تلك الأهمية مزيداً اهتمام بالوسائل التعليمية وتطويرها على الدوام.

ب. الأسرة.

والأسرة هي الرابط الذي يجمع بين جماعة من الناس على أمر مشترك^(٢)، والإنسان يحتاج إليها بصورة دائمة، فهي أهم عوامل التنشئة الاجتماعية، وهي أقوى الجماعات تأثيراً في تكوين شخصية الفرد وتوجيه سلوكه^(٣). وترجع أهمية الأسرة في تنشئة الأبناء إلى ما يلي:

- أن الأسرة وما تشتمل عليه من أفراد هي المكان الأول الذي يتم فيه باكورة الاتصال الاجتماعي الذي يمارسه الطفل مع بداية سنوات حياته الذي ينعكس على نموه الاجتماعي فيما بعد.

- أن القيم والتقاليد والاتجاهات والعادات تمر بعملية تنقية من خلال الآباء متخذة طريقها إلى الأبناء.

- الأسرة هي المكان الذي يزود الأطفال ببذور العواطف والاتجاهات اللازمة للحياة في المجتمع.

(١) علم الأخلاق الإسلامية ، ص: ٥،٦ باختصار.

(٢) انظر: المعجم الوسيط (١٧/١) مادة: أسر.

(٣) التوجيه والإرشاد النفسي، الدكتور حامد عبد السلام زهران، عالم الكتب، الطبعة: الثالثة ص ٤٥١.

- الأسرة أول موصل لثقافة المجتمع^(١).
- إن التفاعل بين الأسرة والطفل يكون مكثفاً وأطول زمنياً من الجهات الأخرى المتفاعلة مع الطفل.
- الأسرة هي الجماعة المرجعية التي يعتمد عليها الطفل عند تقييمه لسلوكه^(٢).
- ولما للأسرة من الأهمية في التربية والتنشئة فإن دورها كبير في غرس القيم والأخلاق وتنميتها، ومن محددات هذا الدور الأمور التالية:
- ١- المساعدة على تمثّل القيم والحقائق والمبادئ الإسلامية، والإمداد بالخبرات الاجتماعية المثيرة له.
- ٢- التوجيه إلى ما يجب فعله في المواقف المختلفة، وبيان ما يتعين فعله دون ضغط أو إكراه من أحد.
- ٣- التعويد على الآداب الاجتماعية الإسلامية، والأخلاق الإسلامية بالممارسة العملية.

ومن الطرق التي تحقق هذه المبادئ، ما يلي:

- تخلص الأسرة المسلمة من القيم الضعيفة وغير السليمة.
- الاهتمام بمراحل تشكل الشخصية المستقلة وهي توافق مرحلة المراهقة
- القدوة الصالحة من الوالدين.
- قيام سياسة الأسرة على التفتح واختيار الجيد، والبعد عن سياسة الانغلاق.
- التدرج في التربية^(٣).

ج. المجتمع والبيئة العامة.

- أولاً: المجتمع:

المجتمع هو المرجع الذي يعود إليه التأثير الكبير على القيم والأخلاق التي تسود بين أفرادها، ذلك أن الأحكام المعيارية بما فيها الأخلاق لا تتحقق إلا في ثقافة هيئة

(١) تنشئة الطفل وسبل الوالدين في معاملته ومواجهة مشكلاته، دكتور زكريا الشربيني - دكتورة يسريه صادق دار الفكر العربي ص ٩٢، ٩٣. باختصار.

(٢) المرجع السابق نفس الموضوع.

(٣) نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم (١ / ١٦٨) باختصار.

اجتماعية وفي ذوات إنسانية، فالفرد يكتسب قيمه الخلقية من المصدرية الجماعية، ومن خلال التفاعل مع الجماعة^(١).

وعلى هذا فإن على المجتمع مسؤولية عظيمة في توجيه وإثراء القيم والأخلاق وهذه المسؤولية الجماعية لا تقل عن المسؤولية الفردية.

إن القرآن ليحدثنا أن مجتمعا قديماً قد تعرض للعنة على السنة الأنبياء، وكان كل ذنبه أنه لم ينكر على بعض أعضائه فعلهم للشر، فقال: ﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ المائدة: ٧٩^(٢). والمجتمع يتحمل هذه المسؤولية لأن الضرر الحاصل من زوال القيم أو ضعفها لا يعود على الفرد فقط ولكن الضرر يعم كل أبناء المجتمع، وكلما سادت القيم والأخلاق الفعالة كان مردود ذلك على المجتمع ككل بالخير والسعادة.

والمجتمع يعد من أكبر العوامل في حفظ القيم، فهو يعاير القيم والأخلاق فيقبل القيم الفاضلة ويرفض ويعيب القيم السيئة.

ولحفظ هذه الوظيفة في المجتمع يجب أن تقوى فيه عناصر الإيجابية وتزال عناصر السلبية والنفعية التي تدمر القيم والأخلاق، كما يجب تعزيز دور الرقابة المجتمعية على كل المنتجات والتصرفات بحيث تصبح ميزانا هاما في ميدان التعامل، بشرط قيام ذلك على الحق والعدل.

- ثانيا: البيئة العامة:

والبيئة هي ما يحيط للإنسان من أشياء - بشرية أو غير بشرية - ولا شك أنه يتأثر بها ويؤثر فيها، وأقرب البيئات للإنسان هي التي يكثر من البقاء فيها وبالتالي يكون تأثيرها عليه أكثر من غيرها، ولذلك ينبغي اختيار البيئات المناسبة للعمل

(١) المرجع السابق (١/١٢٨).

(٢) دستور الأخلاق في القرآن محمد بن عبد الله دراز (المتوفى: ١٣٧٧هـ)، مؤسسة الرسالة، الطبعة: العاشرة ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م ص ١٥٥ . بتصرف.

والاحتراف، بل إن البيئات غير الجيدة ينبغي العمل على تغييرها؛ لأنها تنشئ القيم غير الجيدة بل والفاصلة أحياناً، ولذلك فقد نأى بإنسان صالح له قيم وأخلاق عالية ونضعه في بيئة عمل غير صالحة وقيمها سيئة فما يلبث غير فترة يسيرة تنتكس فيها قيمه - في الغالب - وذلك لغلبة القيم الفاسدة في تلك البيئة على ما عند هذا الإنسان من قيم طيبة.

ومن هنا كان قول النبي صلى الله عليه وسلم عن الرجل الذي قتل تسعة وتسعين نفساً، بأنه أمر بالانتقال إلى أرض أخرى، ففي الحديث أنه قال له: ((انطلق إلى أرض كذا وكذا، فإن بها أناساً يعبدون الله فاعبد الله معهم، ولا ترجع إلى أرضك، فإنها أرض سوء))^(١)، وهذا فيه دلالة واضحة على تأثير البيئة على الإنسان من حيث الصلاح والفساد.

وهذا التأثير الكبير للبيئة يرجع إلى الوقت الذي يقضيه المرء فيها، ولا شك أنه سيتأثر بها أو سيؤثر فيها، والدراسات تدل دائماً على أن الإنسان يتأثر بالبيئة - أياً كان نوع ذلك التأثير - ومن هنا كان لزاماً أن تعكس أي مؤسسة القيم والأخلاق التي يتوخاها القائمون عليها.

- ثالثاً: بيئة العمل:

وهي تابعة للبيئة العامة، والمقصود بها ميدان المهنة والحرفة، ولا شك في قوة تأثيرها على سلوك الفرد وقيمه، وقد يأتي الإنسان إلى ميدان العمل بقيم وأخلاق معينة فما يلبث أن يتأثر بما يشاهده ويعايشه من القيم والأخلاق، ومن هنا فإن القيم السائدة في أي مؤسسة تعتبر عنصراً هاماً لتفسير سلوك وأداء الأعمال فيها، وتؤثر هذه القيم على أسلوب الإدارة وعلى منهج ونظام التعامل. وقد جاء النص الموضح لتأثير الجليس على جليسه بالتمثيل بمهنتين رئيسيتين (الحدادة والعطارة)

ومن أهم القيم التي ينبغي أن تكون في فلسفة كل مؤسسة؛ لضمان النجاح والجودة، القيم التالية:

^(١) جزء من حديث رواه مسلم في صحيحه، كتاب: التوبة، باب: قبول توبة القاتل..(٤/٢١١٨) رقم: ٢٧٦٦، من حديث أبي سعيد الخدري.

- الاحترام المتبادل بين العاملين أنفسهم، وبينهم وبين الإدارة، وذلك لا يتحقق إلا بإعطاء الحقوق والصدق في التعامل، والعدل في الحقوق والواجبات. لأن ذلك يوجد احتراماً حقيقياً بعيداً عن المجاملة والتصنع
 - الجودة وهي تعني عدم الغش، واحترام المستهلك، كما أنها تمثل في نفس الوقت قيمة أخلاقية يؤجر عليها المرء.
 - التنافس الشريف، لأنه ما من مؤسسة إلا وتطمح للنجاح ولكن ينبغي أن يكون بسلوك محمود وليس على حساب الغير، ولا بتشويه سمعته، أو نشر ما يقتضي تعريضه للكساد وإنما بالجودة والوفرة والتنوع والإبداع.
 - العمل بروح الفريق الواحد، فذلك مما يميز المؤسسات ويقلل من المشاكل فيها ويطورها.
 - الربح المعقول، فلا يصح للإنسان أن يطلق لنفسه العنان في الترحيح من غير مقدار يحكمه، فالربح - وإن لم يكن هناك دليل على تقديره - تحكمه الأخلاق والقيم، وهي تقضي بأن يكون له حد معين بحيث لا يضر بالمجتمع ولا بالمؤسسة.
 - المسؤولية الاجتماعية، فالمؤسسة لا بد أن يكون لها رسالة اجتماعية فهي لا ترمي إلى الربح فقط ولكن لها أيضاً هدفاً تنموياً بحيث تسهم في بناء المجتمع في كل مجالات التنمية.
- د. الأنظمة والقوانين واللوائح.
- كل مجتمع لا بد له من أنظمة تحكم تصرفات أفراده، يتفق عليها أبناء المجتمع بحيث تكون رادعاً قوياً لكل من يخرج عن قيم وأخلاق المجتمع، أو يفسد فيها.
- وهذه القوانين ليست قيوداً لتصرفات الناس ولكنها محددات بين الأفراد، بحيث لا تشتبك مصالحهم ومنافعهم، ومن أجل ترتيب أمورهم واختياراتهم.

والأنظمة الاجتماعية تحفظ سكينه المجتمع وتجعله قابلا للتطور والنماء، ذلك أنها تعطيه مزيدا من الاستقرار المنتج على مستوى الفرد والجماعة. وهي تضم في إطارها مجموعة من الجزاءات التي توافق عليها أبناء المجتمع لكل من خالف قيمة أو أفسدها، كما أن في تلك الأنظمة حوافز للملتزمين بها. وقد أقام الله الشريعة على أساس نظم وتشريعات تشمل كل جوانب الحياة، مع إعطائه مساحة واسعة للحرية والاختيار، وهذا بيان واضح لما يصلح المجتمعات. مع مراعاة أن التشريعات الفردية غير التشريعات الجماعية، فكل ما كان ضرره أوسع كان جزاؤه أكبر، وكل ما كان نفعه أكبر كان ثوابه أعظم. ومن هذه التشريعات إبرام العقود وتوقيعها مع الكل من عمال وموظفين وعملاء أو ما يقوم مقامها من الفواتير وسندات القبض لإغلاق أبواب الشيطان، وفي نظري أن التعاقد واجبا فقد جاءت به أكبر آية في القرآن الكريم آية الدين ولأن جل المصائب والخلافات بسبب عدم التعاقد، ويمكن أن تصاغ عقود المعاملات المالية في نماذج تحتوي كل القيم والأحكام التي تخص كل عقد إضافة إلى مستجدات السوق لتكون جاهزة للمتعاقدين والأنظمة التي يجب أن تتأطر المهن والحرف في إطارها تحدد العلاقات بين العامل ورب العمل وبين العمال أنفسهم، ولكن يجب أن لا يكون فيها تعسف ولا ظلم لأحد.

ويجب مراعاة أن هناك بعض العوامل التي تؤدي إلى ظهور المخالفات من العاملين، منها: انخفاض العائد المادي من الوظيفة، ومنها: عدم سلامة المناخ التنظيمي للعمل، كانهجاء الرؤساء بعملية اتخاذ القرارات دون مشاركة أو استشارة العاملين، وعدم صلاحية القيادة، وضعف الحوافز المادية والمعنوية. إلى غير ذلك من الأمور التي يجب مراعاتها عند وضع اللوائح والأنظمة والتشريعات.

هذه بعض المؤثرات على القيم والأخلاق عامة، والمهنية منها خاصة، وقد توجد مؤثرات أخرى غير ما ذكر، ولكننا اقتصرنا على ما رأينا أنه مهم وتأثيره أقوى من غيره.

المطلب الثاني: ميثاق شرف المهنة

من خلال اطلاعي المتواضع أحببت أن أقدم مقترحاً مبدئياً لميثاق مهني يتضمن عدداً من المبادئ والضمانات ووسائل تفعيل الآليات، وهو تصورٌ مبدئيٌّ يحتاج إلى إثراء أكثر من قبل الباحثين، حتى يخرج بصورة شاملة ومتوازنة.

أولاً: مبادئ مهنية عامة:

المبدأ الأول: نشر ثقافة مهنية سليمة.

وهذا معناه أن تصير ثقافة المهن والحرف في متناول كل الناس وبصورة صحيحة، كما بينها القرآن والسنة، وليس كما يراها أفراد أو جماعات قد تصيب وقد تخطئ، وهذا القول لأن كثيراً من الأفكار التراثية جاءت بتصورات غير سليمة ولا تخدم الأمة في الجانب المهني التمكيني.

والثقافة بصفة عامة عبارة عن مركب يحتوي على المعرفة والعقيدة والفن والأخلاقيات والقانون والعادات والقيم والتقاليد التي يكتسبها الإنسان باعتباره عضواً في مجتمع.

وتتمثل الثقافة المرادة هنا في جانبين أساسيين:

- الثقافة العامة، التي تتكون من خلال الإنتاج الفكري، من مؤلفات

ومطبوعات، وصحف وبرامج إعلامية، وما إلى ذلك من الأنواع التي تمد

الجانب الثقافي من ناحية عامة.

- المناهج الدراسية، وينبغي أن تخدم الثقافة المهنية بصورة معمقة وموجهة،

بحيث تؤتي ثمارها في الجيل بصورة عملية في جميع الجوانب المهنية.

وهذا يقتضي الاهتمام بالمؤسسات التعليمية وتأهيلها بما يناسب التطلعات، وبما

يؤدي إلى تفجير الطاقات الإبداعية للأجيال من خلال الربط بين المعارف العامة

والمهارات الفنية والاهتمام بالجوانب السلوكية ودعم المشاركات المهارية والفنية للمتعلمين.

وإذا كانت الثقافة المهنية سليمة فإنها لا شك ستنتج ثمارا جيدة وغير ذات آثار سلبية على المدى القريب والبعيد؛ ذلك أنها تمثل دافعا مهما للناس أفرادا وجماعات. ولا سيما إذا قرنت ببيان المكافآت الأخروية التي تحصل للمرء بجانب الحوافز الدنيوية.

وتظهر أهمية هذه الثقافة في ترسيخ مبدأ العمل والإنتاج وتوفير السلع الذي يثمر الاستقلال في القرار والاختيار، على مستوى الفرد والدولة. ولا بد من توسيع دائرة الثقافة لتشمل في إطارها المجتمع بصورة عامة، وكذلك المؤسسات والمنشآت، حتى تتكون مناخات سلوكية متوائمة، وتسود أفكار العمل والإنتاج المتمركزة على عقيدة ثابتة ومعرفة صحيحة.

ولا شك أن القيم والأخلاق المهنية تمثل لب الثقافة المهنية، بل وترسم مسارها نحو النجاح والإنجاز الفاعل. ويحتاج الالتزام الخلقى من الإنسان معارف ثقافية تتمثل بالآتي:

- معرفة بالمبادئ الخلقية الأساسية، والتصورات المنبثقة عنها.
 - معرفة للأحكام الخلقية، والأدوار والمهارات اللازمة للحياة في المجتمع.
 - وعي خلقي ليفكر الإنسان ويحكم بشكل خلقي ويتصرف طبقا لهذا الحكم.
 - خبرة موجبة للالتزام بالأحكام الأخلاقية التي تسهل السلوك الخلقى وترغب فيه.
- وبهذه الأمور الأربعة يمكن أن يشكل خلق الإنسان تشكيلا جيدا^(١).
- وهذه الأمور تتأطر في المعرفة والخبرة، ولكن لا تأتي إلا في إطار منهج ثقافي متكامل يراعي كل المستويات التربوية والتوجيه المستمر.

(١) نصرته النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم (١ / ٦٥) .

المبدأ الثاني: تبنى أخلاق وقيم المهنة بصورة مدروسة ومخططة.

وهذا يعني أن تقوم الحكومات والدول ومراكز الأبحاث بعمل مصفوفات أخلاق وقيم المهن، منفردة ومجمعة. وقد يتعدى الأمر ذلك إلى وضع قيم رابطة بين كل المهن في إطار قوانين مفعلة ومحكمة.

إن أخلاقيات المهنة ترتبط ارتباطا كبيرا بالسياسات التنموية الاقتصادية، وخاصة في ظل اعتماد سياسات التنمية البشرية التي تعتبر أن الإنسان هو الثروة الحقيقية وهو الأولى بالرعاية والاستثمار. ومن هنا يبدو جليا الدور الحاسم للقيم الأخلاقية والسلوك الإنساني القويم في تقوية وتعزيز مكانة المؤسسات الاقتصادية وتأمين استمرارها ونموها، خاصة وأن تراثنا العربي الإسلامي زاخر بما يؤكد الاهتمام بأخلاقيات المهنة والحث على مكارم الأخلاق والعمل المخلص والأمين، كما جاء في قول الله ﷻ ﴿إِنَّكَ خَيْرٌ مِّنْ أَسْتَجَرْتَ الْفَوِيَّ الْأَمِينُ﴾ القصص: ٢٦. فكان الشرطان الأساسيان في استئجار سيدنا - موسى عليه السلام - "القوة والأمانة"، والقوة تكتنز في مضامينها القدرة على تحمل المسؤولية في العمل، والأمانة تحمل معاني الإخلاص والتفاني في العمل، كذلك قول الرسول الكريم بالنسبة للإتقان في إنجاز العمل على الوجه الأكمل قول الرسول الكريم ((إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه))^(١).

إن الحاجة اليوم إلى تعزيز وترسيخ أخلاقيات المهنة في مختلف مجالات العمل وقطاعاته، وتحويلها إلى واقع سلوكي يومي، كل ذلك يستدعي أن تكون الأسس الأخلاقية من القوة والوضوح، وتطبيقها من الشفافية والمرونة بما يكفي لترسيخها في المجتمع بهدف تعزيز الحرص على الإنجاز والتطوير وحماية مصالح الأمة وخدمتها.

(١) الحديث سبق تخريجه.

المبدأ الثالث: تفعيل الأنظمة واللوائح.

بحيث تحفظ الحقوق وتبين الواجبات، وهذا التفعيل ينبغي أن يكون في حدود الأمور التالية:

- ١- الاهتمام بالعمال كونهم هم الأداة الرئيسة في العملية المهنية.
- ٢- التقييم المنصف والدوري.
- ٣- اعتماد مبدأ المكافآت والحوافز المجزية.
- ٤- التدريب المستمر والفعال.
- ٥- توصيف المهام والواجبات بصورة واضحة.
- ٦- الاهتمام بالوصول بالعاملين إلى الرضا الوظيفي.

المبدأ الرابع: اعتماد مبدأ التوافق المهني.

وهذا المبدأ يتضمن الاختيار المناسب للمهنة والاستعداد لها علماً وتدريباً والدخول فيها بكفاءة بهدف الإنجاز والإنتاج وتحقيق الرضا والنجاح، ويلزم معلومات كافية عن المهنة قبل اختيارها. وتطبيق هذا المبدأ يسهل عملية الإنتاج ويعزز عملية الالتزام والانضباط بسلوك المهنة، ويفتح آفاقاً من الإبداع غير المتناهي.

ومبدأ التوافق يعني مراعاة الاستعدادات المختلفة بين الناس، وذلك أمر يوافق الفطرة التي فطر الله الناس عليها، واختلاف الناس في الاستعدادات كذلك يلبي وظائف الخلافة المختلفة المتعددة المتنوعة. وما كان الله ليجمع الناس جميعاً نسخاً مكررة.. على حين أن الوظائف اللازمة للخلافة في الأرض وتنمية الحياة وتطويرها متنوعة متباينة متعددة.. أما وقد مضت مشيئة الله بتنويع الوظائف فقد مضت كذلك بتنويع الاستعدادات، ليكون الاختلاف فيها وسيلة للتكامل^(١).

(١) انظر: في ظلال القرآن (١ / ٢٨٤) بتصرف .

المبدأ الخامس: إقامة مراكز بحث مهنية متخصصة ترفد سوق العمل بكل جديد من المعلومات والخطط والاستراتيجيات التي تعزز التطور والإبداع.

ثانياً: ضمانات مهنية:

وهذه الضمانات لها أهميتها في تثبيت القيم والأخلاق المهنية كسلوك عملي يقوم به المهنيين في إطار أعمالهم ووظائفهم. ومن هذه الضمانات:

١. تشبيك العلاقات بين ميادين المهن جميعها وربطها بقيم ثابتة وعامة.

فمن المعلوم أن تعلم القيم والأخلاق يتأثر بالاختلاط والتعامل الشخصي مع مجموعات متنوعة مثل العائلة والمدرسة ومكان العمل، حيث والقيم ذات طبيعة ديناميكية تبادلية.

٢. تأطير العلاقة القائمة بين قيم الفرد واتجاهاته في حدود معينة معروفة وواضحة، فهناك صلة بين القيم التي يكونها الشخص للأشياء وبين القواعد التي تحكم سلوكه وآراءه، ولذلك فإن نظام القيمة الذي يضعه كل فرد لنفسه يؤثر على سلوكه، سلباً وإيجاباً.

٣. ترتيب القيم المهنية ترتيباً دقيقاً بحيث تعطى الأولوية لما هو ملح وعاجل ودائم وثابت، وهكذا بحسب مواصفات معينة تخدم فكرة التطوير المهني المرتبط بالقيم والأخلاق.

٤. إشباع الحاجات الفطرية لدى العاملين في كل الوظائف وخاصة الوظائف الإدارية في الدولة؛ لأن الإدارة أساس في صلاح الحكم والأوضاع الاجتماعية.

٥. تفعيل اللوائح المنظمة للمهن والحرف.

٦. إتاحة أكبر قدر من الحرية والتنافس المؤثر بالجودة والنفعة والأولوية والوفرة.

٧. التوعية بالمسؤولية الأخلاقية والقانونية:

وهذا معناه أن المهني بعد ما يقدم نفسه للناس تصير عليه مسؤولية ينبغي عليه القيام بها، وهذا المسؤولية تتخذ الجوانب التالية^(١):

- المسؤولية الأخلاقية: وتتعلق بالأفعال التي يكون فيها المرء مسئولاً أمام ضميره، وأمام الله، والمراد بها أهدافه الخاصة ومراميه الخفية، فإنه لا يطلع عليها إلا الله تعالى.

- المسؤولية المدنية: وتتعلق بالأفعال الظاهرة، وتتحدد هذه المسؤولية وفقاً للقانون الوضعي.

- المسؤولية الاجتماعية: وتتعلق بالمجتمع، وذلك بتقديم الصالح العام وحفظ الأمان في المهنة للمجتمع، وتلبية حاجات المجتمع.

٨. تفعيل دور الرقابة المجتمعية وتقنينها بحيث تصير مؤثرة وذات قوة فاعلة في التوجيه والمحاسبة.

هذه بعض الضمانات التي تكفل التزاماً نوعياً بالقيم والأخلاق المهنية، وتحتاج إلى خطة تفعيل شاملة يتم من خلالها ترتيبها وتحديدها وتبويبها.

ثالثاً: تفعيل القيم والأخلاق المهنية وآليات ذلك:

إن الإسلام عدّ كل عمل إيجابياً بناءً ولو كان من الأعمال العادية عملاً أخلاقياً خيراً، ما دام يتم ذلك بنية الخير، بل إن إشباع المرء لحاجاته الأولية يعد خيراً بتلك النية الخيرة^(٢). وهذا كله يأتي في إطار تفعيل القيم النبيلة وتشجيعها وتسهيل الالتزام بها.

والقيم والأخلاق المهنية ثابتة في كل زمان من حيث إنها مبادئ يتعارف عليها الناس، وتقبلها الفطر السليمة كونها أطر خير للإنسانية، ولكن هذه القيم قد تخبر أحياناً بسبب عوامل تتوارد عليها مع تكرر الأيام وتبدل الأحوال، ولذلك فإن تفعيل

(١) انظر: أخلاقيات المهنة ص ٥٧.

(٢) علم الأخلاق الإسلامية ص: ٣٦٦.

هذه القيم والأخلاق يحتاج إلى آليات ووسائل فعالة ضمن ميثاق المهنة؛ لتبقى هذه الآليات والوسائل حاضرة وذات قيمة عملية دائمة.

وتظهر حقيقة القيمة العملية للأخلاق والقيم فيما تحققه تلك الأخلاق والقيم من نفع مادي سبق بيانه وما تثمره من المعرفة والإبداع والاختراع وإتقان العمل المهني، فالقيم والأخلاق تفلسف العمل في جانبين، أولهما: البحث عن العمل الأخلاقي المثالي، وثانيهما: البحث عن الطريقة المثالية ليتم التنفيذ بها. والبحث الأول يؤدي إلى الكشف عن حقائق جديدة. والبحث الثاني يؤدي إلى الكشف عن مناهج وأساليب فنية للتطبيقات العملية.

ولا شك أن ذلك يؤدي إلى الإبداع والإتقان في العمل، والكفاءة في الأداء، والكشف عن حقائق جديدة، واختراع وسائل بديلة، والسعي إلى الأفضل، واختيار البديل الأولى في كل الأمور، وكل ذلك وسيلة للتقدم الحضاري^(١). وهذا كله مضمون إذا تفاعلت القيم والأخلاق المهنية والآليات التي في إطارها.

وأنا أقصد بالآليات هنا: الوسائل التي يعتمد عليها فقه القيم والأخلاق المهنية في التطبيق والتطوير، وهي تشمل عددا من الوسائل بحسب رؤيتي، كما يلي:

١- من خلال التعرف على المهن وتنوعها واحتياجاتها، نعرف أن من أهم الآليات الفاعلة في المهنة: الفرد العامل نفسه وهو يحتاج تطورا دائما، وتطويره يتم من خلال الأمور التالية:

الأمر الأول: التقيد بمتطلبات المهنة.

وهذا يحتاج إلى إعداد مهاري خاص من ناحية عضلية ومن ناحية تدريبية. وليست كل المهن سواء فيما تتطلبه من مهارة وخبرة وقوة جسدية. فمهنة الطب غير مهنة الهندسة غير مهنة الطبخ غير مهنة حمل الأثقال، مثلا..

(١) انظر: علم الأخلاق الإسلامية ص: ٣٤٧، ٣٤٨. باختصار.

وهناك أشياء ينبغي أن يقوم بتحصيلها صاحب المهنة لنفسه، وهناك أشياء يتحصل عليها من الجهة التي يعمل لها أو معها، وقد مر معنا ذكرها، وسنذكرها هنا باختصار.

فما ينبغي له تحصيله بنفسه: المحافظة على صحته الجسدية، تنمية المهارة الفردية، ومتابعة الخبرات والمستجدات في إطار مهنته، والمحافظة على الذوق العام نحو المهنة، والمحافظة على المظهر العام للمهنة وقواعدها.

- توفير متطلبات العمل الذي يقوم به، بحيث يوفر ما ينبغي عليه في إطار مهنته.

وأما ما تقوم به الجهة التي يعمل معها، فمن ذلك:

- تحسين المستوى المعيشي للعمال وتطويرهم في الجوانب الحياتية، ومعرفة أصول المعاملات الإنسانية، ومتابعة المستوى المهاري وتطويره من خلال متابعة المستجدات، والتدريب والتأهيل المستمر، وتوفير متطلبات المهنة. من آلات وورش وغيرها من وسائل المهن المطلوبة.

الأمر الثاني: وهو ضوابط إتقان المهنة وجودة المنتج.

وهنا ينبغي على المهني الانضباط بما يلي:

- الالتزام المهني.
- التقيد بالمواعيد المضروبة لمن يتعلق بهم العمل.
- الالتزام بالمعايير الثابتة للخدمات.
- احترام التخصصات، فلا يدخل في تخصص لا يتقنه.
- سرعة الإنجاز مع المحافظة على الجودة.
- التعاون والانسجام مع الناس أو مع فريق العمل.
- تغليب جانب الأخوة والمحبة على جانب الأنانية والتنافس السلبي، بين أبناء المهنة الواحدة.

- رسم الأهداف والسياسات قبل بدء أي عمل.

الأمر الثالث: الوعي بالمسؤولية الأخلاقية والقانونية والاجتماعية .

وقد بينا ذلك سابقا.

٢- الاعتناء بالتربية المهنية ومناهجها^(١).

وهذا يتطلب أمورا عملية يجب أن تتضمنها التربية المهنية ومناهجها، منها:

- اعتماد نظام تعليمي يستوعب التخصصات ويؤهل أصحابها.

- اعتماد برامج تعليمية مهنية متخصصة.

- التعريف بالعمل بأنواعه وأقسامه، وذلك لتحديد متطلباته من المهارات

الجسمية والعقلية، ومعرفة ميادينه وطبيعته وظروفه، وعوامل النجاح والتقدم

فيه، ومستقبله، وتخصصاته الفرعية المتعددة والمتطورة، وبيان الأجهزة

والآلات والمعدات واحتمالات الخطر والنواحي الصحية، والمهارات

والمعارف والمسئوليات.

- التعريف بنظام الأجور والترقيات بصورة عامة.

٣- التأهيل المهني المتخصص، ويسمى أيضا "الإعداد المهني" وهو عملية

تستغرق وقتا طويلا في التأهيل المتخصص.

وهو يهدف إلى إكساب المهارات الخاصة الضرورية للنجاح في مهنة معينة، مع

مراعاة مستويات المهن والمهارات والفروع المهنية.

٤- التدريب المهني، وهو أمر ضروري لاكتساب المهارة المطلوبة لمن ليس

لديهم هذه المهارات، أو التدريب على المستجد من الآليات والأساليب.

٥- التوفيق بين حاجات السوق ومخرجات التعليم بصورة عامة، والتعليم المهني

بصورة خاصة.

٦- دقة آليات الاختيار والتوزيع^(٢).

(١) علم الأخلاق الإسلامية ص ٤٣٣ باختصار وتصرف.

(٢) انظر: التوجيه والإرشاد النفسي ص ٤٢٨، وما بعدها. باختصار وتصرف .

وهذا يحتاج إلى نظام عام شامل، بحيث يضمن وصول الإنسان المناسب إلى العمل

المناسب، وهناك عدة أمور يجب وضعها في الحسبان في هذا الباب، منها:

- متطلبات المهنة وظروف العمل واحتمالات الحاجة إلى العاملين ونوعيتهم.
- شخصية العامل وميوله ورغباته.
- توزيع المهن والحرف بحسب حاجة المجتمع، وتأهيل الأفراد على أساس ذلك.

- إعداد الأشخاص للمهن نفسياً وتربوياً وتدريبياً.

- تدقيق معايير الاختيار والانضباط بها.

- تصميم نماذج تقييم متوازنة وشاملة وشفافة.

- تقصير فترات اختبار الكفاءة بحيث لا يؤدي ذلك إلى الاستغلال.

٧- اعتماد بعض المبادئ التي تحسن من مستويات الأداء والإنجاز، أو التي

توجه السلوك المهني أو تهذبه، داخل المنشآت أو خارجها، ومن تلك

المبادئ:

أ. مبدأ المتابعة المستمرة والواعية المخططة، بحيث لا تعود بالسلب على

العمل والعامل، وإنما بما يدفع إلى مزيد من المهنية والتمكن.

ب. مبدأ التربية بالقوة، وهي من أنفع الوسائل وأقربها إلى النجاح.

وما لم يتحول الكلام النظري إلى حقيقة واقعية، لا يمكن لأي منهج أن يتحول

إلى حركة، ولكن قد يتحول إلى تاريخ^(١).

وتعتبر فنية استخدام النماذج السلوكية لإكساب سلوكيات مطلوبة أو لإبطال

وإنقاص سلوكيات غير مرغوبة، من الأساليب الفنية والتعليمية العامة، والإسلام يهتم

بالتعليم عن طريق النماذج... وقد استخدم الإسلام في تصويره للسلوك مجموعة من

الأساليب التي تعرض نماذج للسلوك وتعرض نتيجة هذا السلوك، مثل: القصص

(١) انظر: منهج التربية الإسلامية (١ / ١٨٠) :

القرآني والنبوي، والأمثال القرآنية والنبوية، وأسلوب عرض المواقف، وكذلك عرض نماذج قياسية للسلوك المرغوب "سلوك المؤمنين"، ونماذج قياسية للسلوك المرذول "سلوك الكفر والنفاق"، وهي كثيرة جداً^(١).

ج. مبدأ التحفيز، وللتحفيز دور هام ومؤثر في تغيير سلوكيات الكبار؛ كما له تأثير أكبر على صغار السن. ويعمل هذا المبدأ على إظهار المهنيين لقدراتهم بشكل كامل وملفت للنظر وكأن للحافز علاقة وثيقة بعضلات الانسان يمنحها مزيداً من القوة ولكن يجب أن يقوم على أسس واضحة، مع مراعاة الفروق الفردية والطباع والتنوع. د. مبدأ التربية بالعادة، وذلك بتحويل القيم والأخلاق إلى عادات سهلة ميسرة، بشرط انفعال النفس والوجدان بها.

ومن وسائل تحصيلها: التذكير الدائم بالهدف المقصود من العادة، والربط الحي بين القلب البشري وبين الله تعالى، وإزالة العادات السيئة أولاً، مع التدرج والحزم وتصحيح التصورات^(٢).

هـ. مبدأ التقويم المستمر، ويتم بحسب نوعية المشكلة وأبعادها وظروفها، ثم وضع العلاج المناسب لها^(٣).

٨- التربية الإبداعية المتنوعة، وذلك باختيار أصحاب الكفاءات والذكاء والاعتناء بهم بحسب ميولهم، وتكثيف مناهج إبداعية خاصة بهم تضمن تحقيق الطموح وجودة الأداء، مع حفظ الخبرة وإتقانها.

ولا بد في هذا الإطار من تمكين كل ذي موهبة وقدرة من الانتفاع بموهبته وقدرته... ويجب على الدولة تشجيع الكفاءات وتنمية القدرات... مع إتاحة الفرصة أمام الجميع

(١) انظر: العملية الإرشادية، محمد محروس الشناويدار، غريب للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى

١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م ص ٣٧٨.

(٢) انظر: منهج التربية الإسلامية (١ / ٢٠٠) باختصار وتصرف.

(٣) انظر: العملية الإرشادية ص ٤٤٦.

ليظهروا مواهبهم وقدراتهم^(١). كما أن الأمر يقتضي التجديد المستمر في الوسائل والأهداف والمناهج.

٩- الاهتمام بالمهن وأخلاقيها من خلال وسائل الإعلام المتنوعة.

ولا ريب أن لوسائل الإعلام دورًا كبيرًا في تشكيل خلق الإنسان ووعيه^(٢)، فهي تقوم بدور فعال في هذا المجال، ولكي تكون هذه الوسائل أكثر فعالية، فإنه من اللازم عليها:

- ١- أن تتبثق رسالتها من تصور إسلامي خالص للعمل المهني .
- ٢- أن تخضع لتنظيم وتخطيط متكامل شامل لإيصال القيم الخلقية الإسلامية الخالصة للناس كافة بأسلوب عصري يعتمد على العقل والمنطق.
- ٣- أن تستخدم الحكمة في مخاطبة الناس مع مراعاة التخصصات المختلفة .
- ٤- أن تتصدى للقيم والاتجاهات الهابطة بالحجة والبرهان مع الصراحة والوضوح.
- ٥- أن تعمل على إيجاد كوادر إعلامية مسلمة، تقدم المادة الإعلامية، وتبدع من أجل إيصال القيم الإسلامية لكل فرد في المجتمع الإسلامي وبصورة مناسبة ومشوقة وبقوالب جديدة بعيدة عن الروتين الممل المستخدم من قبل الوعاظ والخطباء الذي يجعل اثره برواد المساجد وحدهم .
- ٦- أن تعمل على تكريس الطاقات المسلمة وتكثيفها، فكريا وثقافة وعلميا واقتصاديا.
- ٧- أن تعمل على توفير القدوة الحسنة إعلاميا.
- ٨- أن تركز باهتمام بالغ على برامج الأطفال بوجه خاص.
- ٩- أن تركز باهتمام على برامج المرأة المسلمة، ذلك لأن المرأة هي أخطر عامل مؤثر في تنمية القيم لدى الطفل المسلم^(٣).

(١) انظر: بناء المجتمع الإسلامي ص ٢٥٠ .

(٢) انظر: التربية الإسلامية أصولها ومنهجها ومعلمها ص ٣٥.

(٣) انظر: نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم (١ / ١٨١ - ١٨٢).

١٠- العمل على توسيع دائرة الالتزام الخلفي^(١).

فمن طبيعة الإنسان أن يكتسب من البيئة التي ينغمس فيها، ويتعايش معها ومع ما لديها من أخلاق وعادات وسلوك. ولا شك أن المرء في البيئة الصالحة الملتزمة ينفعل بمجموع القيم السائدة.

١١- فصل الجانب المهني عن الجوانب السياسية التي تتأثر بالتوجهات الحزبية والأهواء الشخصية، من حيث التوظيف ووضع المعايير المهنية، والاتفاق على ذلك من جميع القوى السياسية وعمل ميثاق يلتزم به الجميع التزاما صارما، مع تحديد الوظائف التي يتداخل فيها السياسي بالوظيفي، كالوظائف العليا للدولة، مثلا مع تحديد معايير واضحة للتوظيف تجعل من السيرة الذاتية بما فيها من شهادات ومؤهلات ودورات خير وسيط وشفيع ولتنتج الأحزاب إلى مساعدة الأعضاء في بناء هذه السيرة وتشجيعهم على التطوير والتأهيل المستمر.

١٢- وضع آلية واضحة لأنظمة الجباية الضريبية وغيرها، وفق مبدأ ((لا ضرر

ولا ضرر))^(٢). وبما تقتضيه المصالح العامة، ولا يضر بالمصالح الخاصة ضررا يكون فيه العنت، وذلك وفق نظام واضح^(٣).

١٣- تشجيع العمال المهنيين والحرفيين، حتى يتسنى لهم العمل برغبة وجد.

ولا بد للعامل والحرفي أن يظفر بعطف خاص، فتخفف عنه بعض الأعباء

المالية، مقابل جهده في إيجاد السلع وقيامه بواجبه نحو الأمة^(٤)، وآلات الحرفيين

ينبغي أن تخرج من العشور والضرائب والزكاة^(٥)، كما قد مر معنا.

(١) انظر: نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم (٢ / ٥٢) .

(٢) الحديث سبق تخريجه.

(٣) انظر: السياسة الشرعية في الشؤون الدستورية والخارجية والمالية، عبد الوهاب خالف ، دار القلم، طبعة:

١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م ص ١١٧ .

(٤) انظر دائرة المعارف الإسلامية، الترجمة العربية (٦/٤٥٤).

(٥) انظر: الفتاوى الهندية، للجنة علماء برئاسة نظام الدين البلخي، دار الفكر، الطبعة: الثانية، ١٣١٠ هـ (

١/١٧٢).

وذكر العلماء كذلك أنه لا يجوز فرض الضريبة إلا في مالٍ نامٍ متجددٍ حتى تكون الضريبة من ثمرة المال ولا تكون من عوامل نقص أصله، ولا يجوز أن تستنفذ الضريبة كل الثمرة حتى لا يشعر الفرد بأنه إنما يعمل لغيره فيذهب نشاطه^(١).

ومن ذلك إراحة العاملين وتسهيل أسباب السعادة لهم، حتى إن الإسلام يعمل على تزويجهم وتسكينهم، ففي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: ((من ولي لنا عملاً وليس له منزل فليتخذ منزلاً، أو ليست له زوجة فليتزوج، أو ليس له خادماً فليتخذ خادماً، أو ليست له دابة فليتخذ دابةً، ومن أصاب شيئاً سوى ذلك فهو غالٌّ))^(٢). وكل ذلك من بيت مال المسلمين. وعلى الأمة ممثلاً في الحاكم التدخل لإنصاف العمال المظلومين، ويستوجب الإسلام من العمال الاستمرار في عملهم - عند شكواهم - وعدم تعطيل العمل حتى يبيت في شكواهم. وقد رسم الإسلام طريق تأهيل العاملين والكشف عن مواهبهم وتشغيلهم بحسب طاقاتهم^(٣).

هذه بعض الآليات أو جانب منها ويمكن تطويرها والتوصل إلى آليات ووسائل أكثر نضجا وأوسع شمولاً..

(١) انظر: السياسة الشرعية في الشؤون الدستورية والخارجية والمالية، عبد الوهاب خلاف، دار القلم، طبعة: ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م ص ١١٧.

(٢) الحديث خرجه الإمام أحمد في مسنده، (٥٤٢/٢٩) رقم: ١٨٠١٥، وهو صحيح من حديث المستورد بن شداد.

(٣) انظر: بناء المجتمع الإسلامي ص: ٢٠٧.

الفصل الخامس

علاقة الاحتراف بالمقاصد

الفصل الخامس: علاقة الاحتراف بالمقاصد

وفيه ثلاثة مباحث

المبحث الأول: أنواع المقاصد الشرعية

المبحث الثاني: تحديد المصالح الإنسانية

المبحث الثالث: الحرف والصناعات ودورها في تحقيق الاستخلاف

المبحث الأول: أنواع المقاصد الشرعية

وفيه مطلبان

المطلب الأول: المقاصد العامة للشريعة وعلاقتها بالاحتراف

المطلب الثاني: المقاصد الإنسانية وعلاقتها بالاحتراف

المطلب الأول: المقاصد العامة للشريعة وعلاقتها بالاحتراف

تمهيد:

جاء الإسلام الحنيف شرعا متكاملا شاملا لجميع جوانب الحياة، فقد تناول بأحكامه شتى الأمور التي تنظم علاقة الإنسان بخالقه وعلاقته ببني جنسه وعلاقته بمحيطه الذي يحيا فيه بجميع مكوناته، وقد أرسى القواعد التي تحقق مصالح الجميع بحيث يستمر السير نحو النهوض الحضاري الذي تتحقق به السعادة المنشودة.

ولكن ضيق الأفق وعدم التصور الصحيح لحقيقة الإسلام جعل التصور عند كثير من الناس عن الإسلام أنه محصور في بعض المناسك والعبادات، وأنه غير معني بالحياة العامة، فلا علاقة له بالسوق أو الطريق أو البيئة أو غيرها من أمور الحياة، وهذا قصور بالغ في فهم حقيقة الإسلام الذي حكم الحياة بأسرها.

والمتتبع لأحكام الشريعة الغراء يجد أن الفقه الإسلامي في روحه فقه حضاري يتسم بالشمول والعموم، فهو إلى جانب عنايته بالتممية البشرية روحيا وعلميا وخلقيا يعنى أيضا بال عمران المدني بمفهومه الواسع الشامل، فالعمران المدني يشمل المؤسسات الحيوية التي يحتاج إليها الإنسان لقضاء حوائجه المختلفة الروحية والاجتماعية والاقتصادية وغيرها مما يكفل الحياة الهنيئة؛ انطلاقا من مبدأ تسخير الكون لهذا الإنسان.

واجتماع الناس في أطر معينة كالمدن والقرى والتجمعات السكانية يولد كثيرا من التشابك في المصالح والتعاملات، بسبب اختلاف مستويات أفكارهم وعقولهم واهتماماتهم، ومراعاة لهذا فقد جاء المنهج الرباني بالضوابط والقواعد التي تنظم العمران المدني؛ فإن ترك أمور الناس تسيير بدون ضوابط وقواعد يعمم الظلم والطغيان بحيث لا يمكن معه للحياة أن تستقر ولا للأرض أن تعمر.

ومن هنا يمكن القول إن النظام الرباني للحياة وال عمران يصلح جوانب العيش ويمكن من تسخير الإمكانيات التي ركزها الله في الكون لصالح هذا الإنسان، ذلك أن الصراع المستمر لا يمكن أن تقوم معه أي حضارة ولا مدنية.

ولا شك أن التطور الذي يشهده العالم على مختلف الأصعدة يحتم تركيز الاهتمام لتجديد وتأسيس فقه العمران وتأصيله؛ ذلك لأن الطفرة المدنية الحالية تنتج الكثير من المستجدات التي لم تكن معهودة من قبل، فهي وإن كانت داخلة ضمن المنظومة الإسلامية العامة إلا أنها تحتاج إلى تجديد واجتهاد فقهي حديث يستلهم من روح الشريعة الحلول الناجعة لشتى القضايا المعاصرة، كما تحتاج إلى إعادة صياغة كي تكون أطروحة إسلامية عالمية تقدم حلا لمسلسل معاناة البشرية.

هذا وقد عني كثير من علماء المسلمين سلفا وخلفا بإبراز الجانب الحضاري المدني في الشريعة الإسلامية؛ وذلك لتطبيق الشريعة الإسلامية في شتى مجالات الحياة، وتبيين هدي الشريعة الذي يحمل في طياته الحلول الربانية لكل معضلات البشرية التي ينتجها تفاعل الإنسان وتعايشه في هذه البسيطة، ويتجلى ذلك في الإسهامات الفاعلة للفقهاء في التنظير الفقهي والتأطير الشرعي للجوانب المدنية؛ فقد حوت مؤلفاتهم وموسوعاتهم الفقهية كثيرا من المواضيع التي تتناول الأحكام الشرعية المنظمة لسير العمران المدني، بل أفرد بعضهم مؤلفات تتناول العمران ومختلف مؤسساته، ولكن هذه الموسوعات تحتاج إلى متابعة عصرية تخطط لاستثمارها في واقع الناس بحسب المعطيات العصرية الحاضرة.

ومما هو معلوم أن المقاصد الشرعية راعت مصالح الناس وشؤونهم بحيث يمكن القول: إن الشريعة إنما جاءت لمصالح العباد والبلاد تحصيلا وتأصيلا، ابتداء وتأكيدا. وهنا سنبين مفهوم المقاصد الشرعية العامة، ثم علاقتها بالاحتراف والمهنة.

أولاً: مهمات المقاصد العامة للشريعة:

لما كانت الشريعة الإسلامية يراد لها أن تكون عامة شاملة زماناً ومكاناً وشخصاً، فقد جاءت مبادئها ومقاصدها وأهدافها محققة لهذا المعنى العظيم، الذي يستهدف إصلاح الفرد والمجتمع والكون، من خلال توضيح وإحكام العلاقات بين هذه المفردات في إطار من النظام الرباني الذي لا يفتنت عليه أحد.

فالمقصد العام من التشريع، هو حفظ نظام الأمة واستدامة صلاحه بصلاح المهيمين عليه وهو نوع الإنسان، ويشمل صلاحه صلاح عقله وصلاح عمله وصلاح ما بين يديه من موجودات العالم الذي يعيش فيه. ومن أهم الأمور التي تساهم في حفظ نظام الأمة: حفظ نظام التعايش فيها وقيام المستخلفين فيها بما يكلفون به من عدل واستقامة، ومن صلاح في العقل وفي العمل وإصلاح في الأرض واستتباط لخيراتها وتدبير لمنافع الجميع^(١).

وهذه المنافع والمصالح هي التي تلاحظ في جميع أو أغلب أبواب الشريعة ومجالاتها؛ بحيث لا تختص ملاحظتها في نوع خاص من أحكام الشريعة، فيدخل في هذا أوصاف الشريعة وغاياتها الكبرى^(٢) كذلك.

ومن مهمات المقاصد الشرعية العامة، الأمور التالية:

١- جلب المصالح ودفع المفساد ورفع الحرج عن الناس، فجميع أحكام شريعة الإسلام إنما شرعت لتحقيق مصالح العباد في المعاش والمعاد، فهي إما لجلب منفعة أو دفع مضرة أو رفع حرج، وهذه المصالح هي مقاصد

(١) انظر: مقاصد الشريعة الإسلامية، محمد الطاهر بن عاشور، تحقيق محمد الطاهر الميساوي، ط ٢، دار

النفائس، الأردن، ٢٠٠١م. ص ١٤٨.

(٢) علم المقاصد الشرعية ص ٧٢.

التَّشْرِيعِ، وَهِيَ الْحِكْمَةُ مِنْهُ، وَالْقُرْآنُ وَالسُّنَّةُ يُنَبِّهَانِ الْمُكَلَّفِينَ فِي كُلِّ حَكْمٍ تَشْرِيعِيٍّ عَلَى هَذِهِ الْمَقَاصِدِ.^(١) وَقَدْ اعْتَبَرَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ أَنَّ الْأَحْكَامَ الشَّرْعِيَّةَ كُلَّهَا تَتَحَصَّرُ فِي هَذِهِ الْقَاعِدَةِ "تَحْقِيقَ الْمَصَالِحِ وَدَرْءَ الْمَفَاسِدِ"^(٢). فَكُلُّ حَكْمٍ إِنَّمَا هُوَ فَرْعٌ إِمَّا لَجَلْبِ مَصْلَحَةٍ أَوْ لِدَفْعِ مَفْسَدَةٍ، وَهَذَا أَمْرٌ مُسْتَفِيزٌ فِي النُّصُوصِ وَالْوُقُوعِ.

كَمَا أَنَّ كَثِيرًا مِنَ الْقَوَاعِدِ الْفَقْهِيَّةِ وَضَعَتْ لِتَحْقِيقِ الْمَصَالِحِ وَدَرْءِ الْمَفَاسِدِ^(٣).

وَمِنْ أَمْثَلَةِ ذَلِكَ: مَنَعَ الشَّخْصَ مِنَ الْإِتِّجَارِ بِالْمَحْرَمَاتِ مِنْ خَمْرٍ وَمَخْدِرَاتٍ وَلَوْ أَدَّتْ إِلَى رِيحٍ، وَمَنَعَ الْإِحْتِكَارَ وَالتَّعَدِيَّ فِي الْأَسْعَارِ، وَلَوْ كَانَ فِيهَا مَصْلَحَةٌ لِصَاحِبِهَا، وَجَوَّازَ التَّسْعِيرِ إِذَا كَانَتْ الْأَسْعَارُ مَبَالِغَ فِيهَا، وَكَسَرَ الْإِحْتِكَارَ، وَمَنَعَ التَّلَاعِبَ بِصِحَّةِ النَّاسِ بِبَيْعِ الْعِلَاجَاتِ الْفَاسِدَةِ أَوْ الْأَغْذِيَّةِ الْفَاسِدَةِ، وَالْأَمْثَلَةُ كَثِيرَةٌ فِي حِفْظِ مَصَالِحِ النَّاسِ وَدَرْءِ الْمَفَاسِدِ عَنْهُمْ وَرَفْعِ الْحَرْجِ وَالْمَشَقَّةِ عَنْهُمْ، وَهَذَا يُمْكِنُ أَنْ نَدْخُلَ كُلَّ الْحِرْفِ وَالْمِهْنِ الَّتِي تَيْسِرُ لِلنَّاسِ أُمُورَ حَيَاتِهِمْ وَعَيْشِهِمْ وَتُزِيلُ عَنْهُمْ الْحَرْجَ وَالْعِنْتَ.

٢- حِفْظُ النِّظَامِ الْعَامِ^(٤)، وَهُوَ أَمْرٌ ضَرُورِيٌّ لِأَنَّهُ يُولَدُ الْإِسْتِقْرَارَ وَالْأَمْنَ وَمِنْ ثَمَّ الْحَيَاةَ الْكَرِيمَةَ الْمَطْمَئِنَّةَ.

٣- إِقَامَةُ الْمَسَاوَاةِ بَيْنَ النَّاسِ^(٥)، فَالشَّرِيعَةُ لَا تَفْرُقُ بَيْنَ النَّاسِ إِلَّا بِقَدْرِ تَقْوَاهُمْ لِلَّهِ تَعَالَى، وَبِقَدْرِ التَّزَامِهِمْ بِمَنْهَجِ اللَّهِ، وَهَذِهِ الْمَسَاوَاةُ مَهْمَةٌ لِإِقَامَةِ الْحُجَّةِ عَلَى

(١) تَيْسِيرُ عِلْمِ أَصُولِ الْفَقْهِ، عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يُوسُفَ بْنِ عَيْسَى بْنِ يَعْقُوبَ الْيَعْقُوبِيَّ الْعَنْزِيَّ، مُؤَسَّسَةَ الرِّيَّانِ لِلطَّبَاعَةِ وَالنَّشْرِ وَالتَّوْزِيعِ، بَيْرُوتَ - لُبْنَانَ، الطَّبْعَةُ: الْأُولَى، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م ص ٤٨، ١٧٧.

(٢) الْقَوَاعِدُ الْفَقْهِيَّةُ وَتَطْبِيقَاتُهَا فِي الْمَذَاهِبِ الْأَرْبَعَةِ قَوَاعِدُ الْفَقْهِيَّةِ وَتَطْبِيقَاتُهَا فِي الْمَذَاهِبِ الْأَرْبَعَةِ، د. مُحَمَّدٌ مِصْطَفَى الزَّحِيلِيُّ، دَارُ الْفِكْرِ - دِمَشْقَ، الطَّبْعَةُ: الْأُولَى، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م (١/٢٤٣).

(٣) انْظُرْ: الْمَرْجِعُ السَّابِقُ نَفْسَ الْمَوْضِعِ.

(٤) نَظَرِيَّةُ الْمَقَاصِدِ عِنْدَ الْإِمَامِ الشَّاطِبِيِّ ص ٦.

(٥) الْمَرْجِعُ السَّابِقُ نَفْسَ الْمَوْضِعِ.

الناس في الاختيار والحساب، والمساواة قائمة في كل المعطيات التي يكون على أساسها الابتلاء والاختبار.

٤- جعل الأمة قوية مرهوبة الجانب مطمئنة البال^(١). وهذا في النواحي الاقتصادية والعسكرية وغيرها.

٥- تزكية الإنسان، وهو مقصد ثابت نصا واستقراء، فقد علل القرآن الكريم البعثة النبوية، بتزكية الناس أربع مرات، هي في قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۗ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ البقرة: ١٢٩، و قوله تعالى: ﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنْكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴾ البقرة: ١٥١. وفي قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ آل عمران: ١٦٤. وفي قوله تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ الجمعة: ٢. (٢)، ولا شك أن تزكية النفوس لها دور مهم في البناء والإعمار الفاعل، الذي لا يستهدف الربح الفردي والأثانية المفرطة التي لا تصلح شيئا، والتزكية النفسية كفيلة بأن تساعد في إصلاح الأمة وأوضاعها وأن تبني وتعمر في محبة ووثام.

(١) المرجع السابق نفس الموضع.

(٢) نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي ص ٢٧٠.

هذه الأمور هي من أهم المقاصد الشرعية العامة، التي جاءت الشريعة لتحقيقها وإقامتها، مع وجود مقاصد أخرى للشريعة الإسلامية، اقتصرنا منها على المذكور، وللحرف والمهن علاقة كبيرة بها تحقيقا وإيجادا وتأكيدا، كما سنبينه فيما يأتي.

ثانيا: علاقة المقاصد الشرعية العامة بالاحتراف:

لا شك أن المقاصد الشرعية جاءت لتجلب المصالح وتدفع المفسد عن الناس في كل مناحي الحياة، بشقيها الروحي والمادي، وهذا هو روح الدين والتشريع. ولكن الله أناط تحقيق هذه المصالح بالإنسان نفسه، فلا يمكن أن يقوم بهذه المهام غير الإنسان نفسه، ولكن الله تعالى سخر له كل إمكانات الكون ليقوم بهذه المهمة بصورة ميسرة وفاعلة، وهذا يحتاج من الإنسان أن يضطلع بمهمته ويسلك السبيل إلى تحقيقها، وأساس ذلك هو العمل والحركة، والتخصص في كل مجال من مجالات الحياة بالعمل والبحث والتنقيب وبذل الجهد.

ولمعرفة العلاقة بين المقاصد المذكورة والاحتراف، نقول:

في مسألة جلب المصالح ودفع المفسد ورفع الحرج تسهم الحرف والمهن إسهاما كبيرا في ذلك، فلا شك أن كل عمل واكتساب ينفع صاحبه ويجلب له مصلحة شخصية، وهذه المصلحة إنما تصير إليه بنفعه بعمله للآخرين وإكسابهم مصلحة تنفعهم، وبذلك يجري التعامل بين البشر، على أساس المصالح المتبادلة والمنافع المتوزعة، وذلك في طيه يدفع المفسد كما أنه يرفع الحرج في العيش ويزيل أو يقلل عنته ومشقته.

ومن المسلم به أن الناس لا تقوم حياتهم إلا بتوفر السلع والخدمات وجودتها وذلك قمة النفع لهم والتسهيل لحياتهم، ولا شك أن انعدامها من أعظم المشقات والمفسد التي تلحق بالناس.

ولما كانت مصالح الناس لا تنتهى فكذلك الحرف والأعمال المتعلقة بها أيضا تكون تبعا لها، وقد تكون بعض الحرف متعلقة بالمصالح البشرية إلى حد أن يقال أن وجودها أو إيجادها من الضرورات التي لا بد منها لتسيير أمور الحياة، وإلا تتعطل الحياة كلها، بل ربما كان فقدانها سبب في فقدان كثير من المصالح الفردية والعامّة، ومن أمثلة ذلك: كثير من الصناعات التي تهيبّ للناس مناخا ملائما للحياة الطيبة، وكثير من الحرف التي يقوم أصحابها بجهد كبير في خدمة الأمة. وهذه الخدمات والأعمال لا تحصر.

وفي مسألة حفظ النظام العام توجد كثير من الحرف والمهن، كالوظائف الأمنية والعسكرية والإدارية، بل وحتى الخدمية التي تتعلق بالنظافة والغذاء والتجارة.

فكل تلك المهن تسهم إسهاما كبيرا ملحوظا في حفظ نظام الأمة والمجتمع، بحيث يتجه إلى الإنتاج والإبداع ولا ينشغل بتأمين حياته أو حياة من يعول، ولا بتهيئة جو يساعد على التقدم والرخاء.

وفي مجال المساواة بين الناس، تتدخل المهن والحرف في قدر كبير من فرص المساواة، فمن يعمل يرتقي ماديا ومعنويا، أما ماديا ففي الاستغناء عن الناس، وأما معنويا ففي شعوره بأنه يقدم خدمة وعملا للأمة مثله مثل غيره من الناس، كما أن الاحتراف والعمل مطلوب من الجميع بنفس القدر، فلا يوجد أناس يطلب منهم العمل والاحتراف وغيرهم لا يطلب منه ذلك.

وفي مسألة إسهام الحرف والمهن في تقوية الأمة وجعلها مرهوبة الجانب، لا شك أن ذلك يقوم على الصناعات والأعمال واستغناء الأمة عن غيرها من الأمم في كل مجالات الحياة، وكل أمة كثرت فيها الحرف وتعددت يكون ذلك من معالم قوتها وازدهار حضارتها، وبالتالي فرض هيبتها واستقلال قرارها.

وفي مسألة إسهام الحرف في تزكية الأمة، يكون ذلك من حيث رفع الحرج والمشقة عن التدين وتخفيف العنت في العبادات وتسهيل أمرها للناس، وذلك بالمستحدثات الصناعية التي تجعل أمر العبادات أسهل، كبناء المساجد وتأثيرها، وتكييفها وتسخين الماء أو تبريده بحسب الحاجة في استعماله للوضوء، وكذلك الصوتيات بأنواعها واستخداماتها في الجوانب العبادية والوعظية، إلى غير ذلك من الصناعات الحرفية التي تتعلق بما له تعلق بتحسين جو العبادات وتقريبها، أو إيصال المواعظ إلى الناس وإشاعتها، ونشر الفضائل على أكبر نطاق بين الناس، صوتاً وصورة، إلى غير ذلك مما سيتبين في المطالب الآتية.

المطلب الثاني: المقاصد الإنسانية وعلاقتها بالاحتراف

يمكن أن نجعل المقاصد الإنسانية هي المصالح التي ترتبط بالإنسان كإنسان، ولذلك سيكون الحديث هنا عن المصالح باعتبارها هي المقاصد التي يتعلق بها الإنسان.

والمصالح تنقسم من حيث الاعتبار والإلغاء إلى: معتبرة وملغاة ومرسلة.

وتنقسم من حيث قوتها في ذاتها إلى: ضرورية وحاجية وتحسينية^(١).

ولنا أن نفضل ذلك فنقول: أن المصلحة بصورة عامة تتعلق بالإنسان ومعيشته وما يهمله ويحسن وضعه في كل المجالات، وليس كونها مصالح يعني أن قوة اعتبارها في الشريعة أقل، فهي مصالح مقصودة شرعا، أي أنها من مقاصد الشرع، فالشريعة كلها مصالح للعباد.

وغاية كل المصالح - سواء كانت معتبرة أو ملغاة أو مرسلة - إنما هي حفظ الدين والنفوس والعقل والمال والعرض؛ لأنها كليات المصالح المعتبرة، التي ترتبط بالإنسان كإنسان، وأحكامها تنزل بحسب قوتها من حيث طلب حصولها إلى ضرورية أو حاجية أو تحسينية^(٢).

فالمصالح المعتبرة: وهي التي صرح الشرع باعتبارها وقبولها، لما لها من فائدة للإنسان ومصالحه.

(١) فقه المصلحة وتطبيقاتها المعاصرة، للدكتور: حسين حامد حسان، من أبحاث المعهد الإسلامي للبحوث والتدريب، التابع للبنك الإسلامي للتنمية ص ١٢-١٣. والبعض يسمي هذه المصالح المقاصد الشرعية، باعتبار أن كل المقاصد تدور حولها، كما يذكر ذلك صاحب التشريع الجنائي في الإسلام. مثلا. ونحن سميناه مصالِح باعتبار أنها تابعة لمصلحة الإنسان عموما.

(٢) انظر: رعاية المصلحة والحكمة في تشريع نبي الرحمة (صلى الله عليه وسلم) محمد طاهر حكيم، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة: العدد ١١٦، السنة ٣٤، ١٤٢٢هـ ٢٠٠٢م ص ٢٤٤.

والمصالح الملغاة: هي التي ألغها الشرع من الاعتبار، لما لها من ضرر بالإنسان ومصالحه.

والمصالح المرسلّة: هي التي لم يشهد الشارع باعتبارها ولا بإلغائها، والتي ترك تحديدها إلى الاجتهاد الشرعي الصحيح^(١)، بحسب ارتباطها بمصالح الإنسان.

وكل تلك المصالح منوطة بنفع الإنسان وضرره، فذلك هو محور التعامل معها إعمالاً وإهمالاً.

والملاحظ أن اعتبار المصالح وإلغائها أو حتى التعامل مع المرسلّة منها إنما يكون على أساس التقسيم الآخر للمصالح، فالاعتبار لها يتنزل على الضروري والحاجي والتحسيني، وكذلك الإلغاء بنفس الطريقة، وكذلك الاجتهاد في المرسل منها يكون على نفس الأساس.

ثم إن الأمر الضروري هو ما تقوم عليه حياة الناس، ولا بد منه لاستقامة مصالحهم، وإذا فُقد اختل نظام حياتهم وعمت فيهم الفوضى وانتشر الفساد.

والأمر الحاجي هو ما يحتاج إليه الناس للتيسير واحتمال مشاق التكليف وأعباء الحياة، وإذا فقد لا يختل نظام حياتهم ولا تعم الفوضى ولكن ينالهم الحرج والمشقة. والأمر التحسيني هو ما تقتضيه المروءة والآداب وسير الأمور على أحسن منهاج، وإذا فقد لا يختل نظام الحياة^(٢).

(١) علم المقاصد الشرعية ص ٧٣

(٢) التشريع الجنائي الإسلامي مقارناً بالقانون الوضعي، عبد القادر عودة، دار الكاتب العربي، بيروت (١) / (٢٠٣)، وقد رتب بعض الباحثين المصالح فقال: مراتب المصالح خمس: ضرورة، وحاجة، ومنفعة، وزينة، وفضول. فالضرورة: ما يتعلق بالحياة وجوداً وعدماً. والحاجة: ما يتعلق بالجهد والمشقة، وجوداً وعدماً. والمنفعة: وهي ما كان اشتهاً. والزينة: وهي ما كان القصد به التفكه. والفضول: بضم الفاء والضاد المعجمتين، هو التوسع في الحرام، أو الشبهة. انظر: القواعد الفقهية وتطبيقاتها في المذاهب الأربعة، د. محمد مصطفى الزحيلي، دار الفكر، دمشق، الطبعة: الأولى، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م (١ / ٢٨٥).

وتأتي الضروريات في المرتبة الأولى من حيث الأهمية إيجاباً وحفظاً، وتليها الحاجيات ثم التحسينيات^(١). وقد يأتي في كل مرتبة من المذكورات ترتيب أيضاً، من حيث العموم والخصوص والجزئي والكلي، فما كان ضرورياً عاماً يقدم على الضروري الخاص، وكذلك الحاجي والتحسيني، ولكن بتوازن وعدل، وما كان كلياً يقدم على الجزئي كذلك.

وإذا نظرنا إلى هذه المصالح نجدها تتعلق جميعاً بتحصيل النفع والتيسير للإنسان ودفع الضرر والعنت عنه، كما أسلفنا القول غير مرة، وهنا يأتي دور الحرف والمهن والصناعات في جانب تحصيل النفع وفي جانب دفع الضرر، وذلك أن الضرورات كلها لها تعلق ظاهر وجوداً وحفظاً بالحرف والمهن والصناعات، لأن كل من يقوم بالعمل على إيجادها أو حفظها هم من الحرفيين أو من ذوي الوظائف المرتبطة بها، وكذلك الحاجيات التي تزيل المشقة والجهد، لا يمكن قيامها بغير حرفيين ومهنيين وصناعيين، ومثلها التحسينيات التي تيسر الحياة وتوفر العيش الهنيئ، ولا سيما في العصر الحاضر الذي كثرت حاجياته وتحسينياته، بل ربما صارت كثير من الحاجيات أمورا ضرورية بحكم الزمان والمكان، وصارت كثيراً من التحسينيات حاجيات كذلك، وهذا لا يقوم بتوفيره وحفظه وتطويره إلا حرفيين وصناعيين بآلات ومعدات ومؤهلات تتلازم مع المصالح تلازماً ضرورياً.

وسوف نعرض كثيراً من الأمثلة التي تبين ارتباط المصالح بأنواعها بالحرف والمهن والصناعات، خلال المباحث التالية، وبما يوضح مدى تأثر المقاصد والمصالح بالحرف والمهن وتقاطعها معها.

(١) المرجع السابق (٢٠٤/١).

ومعلوم أن ديننا يأمرنا بأن نعمر الأرض ويدعو الى استيعاب كل جديد من أمور الدنيا، وهذا يتطلب توفير أمور العيش الكريم. ولا يمكن قيامه إلا بتوفير مقوماته التي ترتبط ارتباطا قويا بالحرفين والمهن والصناعات.

ومن هنا يمكن القول: إن وجود الحرف والمهن وتوفيرها بالصورة الكافية أمر يصير ضروريا في حال الضروري وحاجيا في حال الحاجي وتحسينيا في حال التحسيني.

المبحث الثاني: المصالح والحاجات الإنسانية

وفيه مطلبان

المطلب الاول: تحديد الحاجات والمصالح الإنسانية وتوفيرها

المطلب الثاني: علاقة المهن بالمصالح وأثرها عليها

المطلب الأول: تحديد المصالح والحاجات الإنسانية وتوفيرها

أولاً: تمهيد:

هناك مقدمتان لا بد من ذكرهما قبل الحديث عن تحديد الحاجات الإنسانية:

الأولى: كل العلماء الذين تكلموا عن المقاصد الشرعية في الإسلام دار حديثهم حول الحاجات الإنسانية وتقسيمها إلى ضروري وحاجي وتحسيني (تكميلي) ولم ينطرقوا إلى المهني (من جانب التمثيل) وإن كان كلامهم يتضمن ذلك لكن لم يكن كلامهم واضحاً بما يكفي.

ولا يختلف اثنان أن الحاجات البشرية نوعان:

أ- سلع.

ب - خدمات.

كما لا يختلف اثنان أن كلا النوعين يحتاج إلى من يوفره ويعمل على إيجاده، ويسعى إلى الارتقاء به كمّاً وكيفاً، بمعنى أن كل خدمة وكل سلعة لا بد لها من مهني وحرفي يقدمها؛ حتى يتسنى للناس الانتفاع بها، وغياب هذا الحرفي والمهني المتخصص غياب لها بالضرورة، فلا يتصور أبداً وجود أي خدمة أو سلعة إلا عبر مهني أو حرفي يعمل على إيجادها وتتميتها.

وهذا يعني تعلق هذه الحاجات والسلع بوجود منتجها وصانعها من البشر، وفي بحثنا هذا سنحاول ترجمة الحاجات والمصالح البشرية بأنواعها الثلاثة إلى مهن وحرف وأعمال، وكل ما يتنزل من أحكام ومقاصد على توفير الحاجات يتنزل بداهة على إيجاد من يقوم بتوفيرها من العمال والمهنيين والحرفيين والصنّاع، وعلى هذا فهناك من الحرف والمهن ما هو ضروري كون وجوده يتعلق بإيجاد

الضروري من السلع والخدمات، وما هو حاجي كون وجوده يتعلق بإيجاد الحاجي من السلع والخدمات، وما هو تحسيني كونه يتعلق بإيجاد التحسيني والتكميلي من السلع والخدمات.

الثانية: أن فقهاء المقاصد أول من أوردوا في كتبهم: أن إيجاد الحرف والمهن والصناعات من الفروض الكفائية، الواجب على مجموع المسلمين تحصيله، وتقصيرهم يوقعهم في الإثم، سواء كان هذا التقصير في إيجادها ابتداءً أو عدم كفاية ما وجد منها لحاجات الناس.

ثانياً: تحديد الحاجات والمصالح الإنسانية:

الحاجات الإنسانية البشرية الأساسية لا تتغير، ولكن قد تتوسع وتتطور بتطور الزمان والمكان، ولذلك فبعض الناس قد تكون حاجاتهم مختلفة نوعاً ما من حيث الكيف والكم عن حاجات أناس آخرين يختلفون عنهم في الزمان والمكان، ولكن في النهاية هناك حاجات قسمها العلماء إجمالاً إلى ما ذكرنا: (ضروريات وحاجيات وتحسينيات)، وبعضهم قد يغير المصطلح ولكن المضمون هو نفسه.

فبعض العلماء قسم المصالح والحاجات الإنسانية إلى:

١- الحاجات الضرورية الطبيعية: ومن أمثلتها: المسكن، الملبس، الغذاء.

٢- الحاجات العرضية: كالحاجة إلى الحماية، ووسائل الدفاع، والعلاج^(١).

وبعض العلماء قسمها إلى: الضروري والحاجي والكمالي^(٢).

(١) انظر: الإشارة إلى محاسن التجارة، لأبي الفضل جعفر الدمشقي تحقيق: الشوربجي، مكتبة الكليات الأزهرية ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م ص ٢٠ نقلاً عن السياسة الاقتصادية في إطار النظام الإسلامي ٢٢٥، من إصدارات المعهد الإسلامي للبحوث والتدريب، ندوة رقم ٣٦، ١٩٩١م .

(٢) مقدمة ابن خلدون (٢/٤٣٨).

وبعضهم قسمها إلى: الضروري، والحاجي، و التحسيني^(١).

وهذه التقسيمات لا تتعارض ولا تتخالف وإنما كل واحد من العلماء عبر عنها بتعبير، وكلها متطابقة، وقد ذكرنا سابقا تعريف هذه المصالح والحاجات، ولكننا هنا سوف نعرض لارتباطها بالمهن والحرف بحسب التقسيمات المشار إليها، مع التمثيل لذلك.

وهنا يمكن القول إن المصالح والحاجات الإنسانية تتلخص في صورة سلع وخدمات، وعند ترجمتها إلى حرف ومهن نقول: إن كل مصلحة أو حاجة - سواء كانت سلعة أو خدمة - تقابلها عدد من الحرف والمهن والصناعات، ولها مراتب ترتبط بالمصالح ضرورة وحاجة وتحسينا.

ثالثا: توفير الحاجات والمصالح الإنسانية:

عند حديثنا عن توفير الحاجات والمصالح الإنسانية فإن معنى ذلك أن توفيرها يرتبط بأحكام إيجادها وتوفيرها، لا بل توفيرها بكميات ترفع العنت والمشقة عن الناس وتوفر الرفاهية لهم.

ومن هنا فإن توفير الحاجات والمصالح للناس يرتبط بالواجبات التي تلزم الأمة، وقد قال العلماء إن الواجب ينقسم إلى قسمين: واجب بالعين وواجب على الكفاية، ومثلوا للواجب العيني بإقامة شعائر الدين التي لها صفة الخطاب الفردي، من مثل أركان الإسلام، ومثلوا للواجب الكفائي بأمر تلزم الجماعة ولها صفة الخطاب

(١) الموافقات (٣/٢). وهذا هو التقسيم السائد عند علماء الأصول.

الجماعي، كالقيام ببعض الأمور التي لا يخاطب بالقيام بها واحد بعينه، ولكنها على سبيل الشيع والعموم في الأمة.

وهذا التقسيم وإن كان تقسيما طبييا، إلا أن عليه وعلى التمثيل له بعض المآخذ.

فقد أدى هذا التقسيم إلى التهاون بالواجبات الكفائية مما أدى إلى عدم حصول الكفاية بها أو إلى عدم قيامها بالكلية في جوانب كثيرة.

وإذا نظرنا إلى تعريف الواجب الكفائي فإننا نجد أن العلماء عرفوه فقالوا:

"هو الذي إذا قام به البعض سقط الإثم عن الباقيين"^(١). وهذا التعريف وإن كان في ظاهره جيدا لكنه لم يُظهر متى يسقط الإثم عن الباقيين، في أي مرحلة من مراحل القيام به، فالواجب الكفائي هو في مبتداه واجب عين، ومن هنا ينبغي أن يكون التعريف واضحا بحيث لا يترك أي احتمال.

وقد عرفه أيضاً آخرون فذكروا: بأنه إذا قام به من يحصل فعله الكفاية سقط عن الباقيين^(٢). وهذا التعريف لعله الأقرب إلى إفهام أن الواجب الكفائي فيه مراحل يكون فيها عينيا لا يسقط عن أحد حتى يقوم من يؤدي منه ما يكفي لإسقاطه عن الآخرين، ومن هنا كانت تسميته كفائيا؛ لأنه منسوب إلى الكفاية، ويؤيد هذا ما ذكره

(١) من أصول الفقه على منهج أهل الحديث، زكريا بن غلام قادر الباكستاني، دار الخراز، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م، ص ١٥٣

(٢) انظر: الرسالة، للإمام الشافعي أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلبي القرشي المكي، تحقيق: أحمد شاكر، مكتبة الحلبي، مصر، الطبعة: الأولى، ١٣٥٨هـ/١٩٤٠م ص ٣٦٤. وقواعد الأحكام في مصالح الأنام، أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي، الملقب بسلطان العلماء (المتوفى: ٦٦٠هـ)، راجعه وعلق عليه: طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية - القاهرة، طبعة: ١٤١٤ هـ - ١٩٩١ م (١/ ٥١). والبحر المحيط في أصول الفقه، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي دار الكتبي، الطبعة: الأولى، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م (١/ ٣٢٨). وغيرها.

بعض الأصوليين عنه أنه: "مهمّ محتمّ حصوله من غير نظر إلى فاعله"^(١)، فهذا التعريف يبين مدى أهمية الواجب الكفائي حيث إنه لا يسقط البتة ، كما أنه يفرق بينه وبين الواجب العيني، حيث إن العيني ينظر إلى فاعله فهو مقصود بالعين^(٢).

ولكن حتى في تسميته كفائيا إظهار له بوجه من الضعف بحيث إن هذه التسمية تجعل الاهتمام به أقل من الاهتمام بالواجب العيني، فإن الناس ينظرون إليه وكأنهم غير معنيين به ويتركون القيام به لغيرهم، حتى إنه بهذه الكيفية لا يحصل في كثير من الأحيان، ولذلك فإن تسميته (واجبا جماعيا) ربما يعطيه قوة أكبر من حيث الاهتمام والقيام به.

ومن ناحية التمثيل له بـدفن الميت والصلاة عليه وغيرها من الأمثلة، فإننا نرى أن كثيرا من الأمثلة لم تتطرق إلى جوهر الواجب الكفائي، فلم تأت الأمثلة في المهن والحرف وتوفير السلع والخدمات، وهي من صميم الكفائيات، وكأن الأمر يقتصر فقط على جوانب الموت والآخرة، مع أن معظم وجوه الكفائيات هي في أمور الحياة وتصريفاتها.

وأما الواجب العيني فقد قالوا: إنه الذي يلزم كل مكلف فعله، كالصلوات الخمس والزكاة والصيام وغير ذلك^(٣).

وإذا نظرنا إلى التمثيل في الواجب العيني نجد أنه يلتقي مع الضرورات في أمثلته ولكن في جانب العبادات وليس في المعاملات. ومن هنا فإننا بحاجة إلى إعادة النظر في التقسيم بحيث إننا لا نفرق بين العبادات والمعاملات، لأن ذلك التقسيم أضعف جانب المعاملات بحيث ينظر إليها على أنها أقل رتبة من العبادات، وهذه

(١) أصول الفقه، محمد أبو النور زهير، ط دار البصائر، القاهرة، ٢٠٠٧م ج ١ / ١٥٥.

(٢) انظر: المرجع السابق نفس الموضوع.

(٣) من أصول الفقه على منهج أهل الحديث ص ١٥٣

أحكام ترتبط بالذهن بحيث تصير كالمسلّمات، مع أنه في الحقيقة لا تفريق في أصل التشريع بين العادات والمعاملات إلا بالقصد من صاحبها القائم على أصل الإيمان ولارتباط القصد والنوايا بمصطلح العبادة حرمت المعاملات والقائمين بها منه إلا قليلا فلا يتصور أن يقوم احد يصلي بدون نية وتصور ذلك في البيع والشراء كثير جدا . ومن هنا فإننا إذا أعدنا التمثيل على أساس أن كل تصرفات المرء المسلم هي سواء، لا يفرق بينها شيء غير القصد، فسيتضح لنا أن تحصيل الواجبات يتبع التقسيم العام للمصالح (ضرورات وحاجيات وتحسينيات) وعلى هذا الأساس يمكن التعامل مع كل التصرفات التي يقوم بها الإنسان أو المطلوب منه أن يقوم بها، وعلى هذا نبنى النظر إلى المهن والحرف والصناعات وحاجات الحياة، في جميع أنواع المصالح المذكورة سابقا، بما فيها المرسلّة والملغاة. حيث نعتبرها تبعا لمراتب الحاجات الإنسانية.

وإذا كانت الحاجات الضرورية تعني الذي لا بد منه لقيام أمور الناس ووجود حياتهم ومعاشهم في الجانب المادي، وتعني القيام بالواجبات الدينية الأساسية في الجانب الديني، فإن تحصيل ذلك يكون ضروريا من حيث إقامته وحفظه، سواء كان عينيا (فرديا) أو كفائيا (جماعيا)، معنويا (التعبّدات) أو ماديا (المعاملات) وهذا يشمل السلع والخدمات في كل مناحي الحياة.

وكذلك الأمور الحاجية التي تعني إزالة المشقة والعنت عن حياة الناس وتصرفاتهم، فإن ذلك يكون تحصيله في مرتبة الحاجيات، سواء كان سلعا أو خدمات.

وكذلك الأمور التحسينية وهي التي تعني بسير حياة الناس على منوال حسن في الكمال والتحسين الذي لا يصيب فقده الحياة بالخلل أو الزوال، فإن تحصيلها يكون تحسينا في السلع أو الخدمات.

المطلب الثاني: علاقة المهن بالمصالح وأثرها عليها

سبق الكلام على أنواع المصالح وأن مراتبها: ضرورية وحاجية وتحسينية، وهي مراتب مصلحية للحاجات البشرية تنتزل عليها وفق مستويات تُقدّر زمانا ومكانا وشخصا، وهي كلها مرتبطة بالكليات الخمس.

فالمصالح الضرورية يمكن القول بأنها هي المرتبة الأولى اللازمة للكليات الخمس من حيث حفظها على مجموع الأمة وآحادها حتى تستقيم حياة الناس في الدنيا، ويتحقق لهم الفوز بالآخرة.

وقد بينها العلماء بأنها ما لا بد منه في قيام مصالح الدين والدنيا، بحيث إذا فقدت أو اختلت مرتبة الضرورة منها لم تجر مصالح الدنيا على استقامة، بل على فساد وتهارج وفوت حياة، وفي الآخرة فوت النجاة والنعيم، والرجوع بالخسران المبين^(١).

"وتحريم تفويت هذه الأصول يستحيل أن لا تشتمل عليه ملة ولا شريعة أريد لها إصلاح الخلق"^(٢)، وقد تكفل الله بتوفير أصولها على شاكلةٍ سواء لجميع الناس، وشرع تشريعات خاصة تكافئ في قوتها قوة الخلل بها أو تفويتها، وذلك في الحدود المتفق عليها في جميع الشرائع.

ومن هنا فإن حفظ هذه الأصول بالنسبة للناس إنما يكون بتوفير السلع والخدمات الخادمة لها إقامة وحفظا.

أما المصالح الحاجية المرتبطة أيضا بالكليات الخمس فإذا لم تُشبع دخل على الملكتين - في الجملة - الحرج والمشقة، ولكنه لا يبلغ مبلغ الفساد العام، وهي

(١) الموافقات (٢/ ١٨) .

(٢) المستصفي في علم الأصول لأبي حامد الغزالي، لمستصفي، تحقيق: محمد عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م ص ١٧٤.

جارية في العبادات والعادات والمعاملات والجنایات، بحيث ينبغي أن تتوفر السلع والخدمات لهذه الجوانب بصورة تزيل الحرج والمشقة عن الناس - عند ممارستهم ما يرتبط بها من أعمال- وتشبع الحاجات البشرية مأكلاً ومشرباً وملبساً ومسكناً، بنفس المرتبة، وتدفع الحرج في التعاملات، وتراعي كل الاحتياجات البشرية في هذه المرتبة.

"وأما المصالح التحسينية وتتمثل في كل ما يجمل ويزين حياة الناس، فهي ما يقع موقع التحسين والتزيين والتيسير للمزايا والمزائد ورعاية أحسن المناهج في العادات والمعاملات"^(١)، " والأخذ بما يليق من محاسن العادات وتجنب المدنسات التي تأنفها العقول الراجحات"^(٢)، وهي تجري في جميع الكليات الخمس المذكورة سابقاً. وسوف نمثل للمهن من حيث ارتباطها بالكليات الخمس، وذلك فيما يلي:

أولاً: الوظائف والمهن الضرورية: وهي ما لها ارتباط بالضروريات في الدين والحياة العامة، بحيث إن وجودها يقيم الضروريات وانعدامها أو اختلالها يصيب الضروريات بالخلل أو العدم. وهي كما يلي:

١. الوظائف والمهن الضرورية لحفظ التدين. وهي التي تقيم أمر الدين وتوصل فهمه السليم إلى الناس، كمبادئ التعليم الديني ومدارسه، والتأليف فيه لتوضيح أمره، فهنا تبرز الوظائف التعليمية ووظائف التوعية الأساسية، ووظائف أئمة المساجد والمؤذنين، وبناء المساجد وتوفير الخدمات الأساسية لها: من فراش وأثاث وسباكة وبناء وتوصيل المياه والكهرباء، إلى غير ذلك من الوظائف المهمة والأساسية التي تقيم الدين وتحفظه على الناس، وتتجلى في صورة مهن وصنائع (سلع وخدمات) يحتاجها هذا الجانب، ويلاحظ في هذا تخصيص جزء معتبر من موارد المجتمع

(١) المستصفى في أصول الفقه ١٧٥.

(٢) الموافقات (٢ / ٢٢)

لإنتاج السلع والخدمات التي تقيم أركان الدين وتنتشر عقائده وأخلاقه وتحفظه من كيد الخارج وانحرافات الداخل^(١). ومن أمثلة المهن والوظائف هنا:

- الوظائف والمهن التعليمية: (معلمين، مدرّبين في الجوانب التعليمية، مؤلفين، مرشدين، قراء...).

- وظائف ومهن أخرى: مثل: (المؤذنين، أئمة مساجد، بنائين، سباكين، حفارين آبار، طبّاعين، ووظائف صناعية كثيرة لازمة لكل مهنة من المذكورات...) إلى غير ذلك. مع مراعاة أن هذه المهن متكررة في كل مستوى من مستويات المصالح الكلية ولكن بدرجتها ومستواها.

٢. الوظائف والمهن الضرورية لحفظ النفوس البشرية. ومن أهم الضروريات التي يجب توفيرها هنا: الغذاء، والسكن، والكساء، والخدمات الصحية الأولية، والسلامة الشخصية وأدواتها.

ومما هو ملازم لذلك من الصناعات والآلات التي نحتاجها في توفير تلك الأمور، ما يلي: وسائل الزراعة والحفريات والبناء والصناعات النسيجية والصحية والطبية ووسائل الحماية الشخصية، والوظائف الأمنية، وما إليها. ومن أهم المهن ولوظائف التي نحتاجها هنا:

- المهن الزراعية (مزارعين، حاصدين، سقاة، مهندسين زراعيين...).

- مهن البناء (بنائين، حمالين وعمال، مهندسين...).

- المهن النسيجية (خياطة، صباغة، حياكة...).

(١) انظر: السياسة الاقتصادية في إطار النظام الإسلامي، من إصدارات البنك الإسلامي للتنمية، المعهد الإسلامي للبحوث والتدريب، ندوة رقم (٣٦) مايو ١٩٩١م، ص ٢٣١.

- المهن الأساسية للرعاية الصحية (أطباء، صيادلة، مَخْبِرِيِّين، صانعي أجهزة طبية، مهندسي أجهزة طبية..).

- مهن أمنية (عسكريين ومدنيين.. وهي مهن ووظائف متعددة).

- مهن قضائية وقانونية (قضاة، محامين، مشرعي قوانين، أعضاء نيابات ومحققين...).

- مهن صناعية، وهي كثيرة بعدد الآلات والوسائل التي نحتاجها كأساسيات في كل مهنة من المهن التابعة لحفظ النفوس.

- مهن تابعة لتنفيذ وتوصيل ومتابعة كل ما يلزم من الأساسيات (سواقين، مراسلين، مهندسي كهرباء وماء..).

٣. الوظائف والمهن الضرورية لحفظ العقل. والله تعالى كرم الإنسان بالعقل، وأناط به التفكير، ونحن بحاجة إلى أن نحفظ العقول ونصونها من الخلل في حدود القدر الضروري لذلك، لتقوم بوظائفها المناطة بها، وفي هذا الجانب تظهر الحاجة إلى الأمور الأساسية التالية:

- إيجاد الخدمات الثقافية والفكرية والتربوية والمعرفية الأساسية.

- فتح مجال التفكير والإبداع والابتكار وتشجيع العلم والمعرفة.

- سن العقوبات على كل ما من شأنه التسبب في غياب العقول أو عرقلة إبداعها.

- إيجاد فرص التعليم الأساسية.

ومن الوظائف والمهن التي تبرز كأساسيات في جانب حفظ العقل:

- مهن ووظائف تعليمية أساسية.

. مهن ووظائف فكرية وثقافية.

. مهن ووظائف صناعية.

. مهن ووظائف قانونية وتشريعية وأمنية.

. مهن تابعة (عمال بمختلف وظائفهم ومراتبهم).

٤. الوظائف والمهن الضرورية لحفظ النسل والعرض. والحاجة هنا تتمحور حول الأهداف التالية:

. توفير الأساسيات لحفظ النسل من الزوال والانقطاع.

. صيانة النسل والعرض من كل ما يجعلهما في وضع مختلط أو غير مستقر.

وفي هذا الباب سنحتاج إلى عدد من المهن والوظائف، منها:

. وظائف ومهن زراعية خاصة بتوفير الغذاء والطعام.

. وظائف ومهن صناعية تابعة.

. وظائف ومهن طبية وصحية.

. وظائف ومهن قانونية وتشريعية.

. وظائف ومهن عامة تابعة لكل ذلك...

٥. الوظائف والمهن الضرورية لحفظ المال. والمال من أهم الضروريات في الحياة

ولذلك فنحن في الجانب الضروري منه بحاجة إلى:

- إيجاده بطرق سليمة.

- تثمينه وتتميته.

- حفظه من الهدر والضياع.

وإذا اعتبرنا هذه هي الأهداف الضرورية الأساسية في الجانب المالي، فإننا بحاجة إلى عدد من المهن والوظائف التي تقوم بها، ومن ذلك:

- المهن والوظائف التي تقوم بإيجاده، ومنها: مهن الصناعات والتعدين، مهن سك العملة ومتابعتها، جميع المهن الصناعية التي تجلب المال...

- المهن والوظائف التي تسعى في تنمية المال واستثماره، وهي مهن كثيرة ومتنوعة: كالمهن التجارية، والسياحية، والصناعية وجميع المهن والوظائف التي تتبع ذلك، من حيث كونها في الحدود الضرورية.

- المهن والوظائف التي تصون المال وتحفظه من الضياع، في حدود الضروري، ومنها: المهن والوظائف القانونية، والأمنية، والتشريعية، ومهن الخدمات المالية والمصرفية والتحويلات، وغيرها مما هو في درجة الضروري منها.

ثانياً: الوظائف والمهن الحاجية: وهي ما يكون الافتقار إليها من حيث التوسعة

ورفع الضيق المؤدي في الغالب إلى الحرج والمشقة. بحسب الآتي:

١. الوظائف والمهن الحاجية في التدين: وهي ما تجعل التدين بعيداً عن الضيق وبعيداً عن المشقة والحرج.

ويلزم لذلك قيام عدد من الوظائف والمهن:

- مهن تعليمية وإرشادية، مثل: زيادة عدد الأئمة والمؤذنين، بحيث تكون هناك فرص لبعضهم في السفر والقيام بزيارة أرحامه أو أعمال تهمة. وزيادة عدد المرشدين بمثل ذلك، وبناء المؤسسات الدعوية التي يناط بها الأعمال الدعوية بجانب الضروري على الدولة، بما يرفع العنت في وصول المعلومات إلى الموعود، والتوسع

في بناء المساجد بما يقرب أماكن العبادة من الناس، وإقامة الخدمات المسجدية الكافية، والتأهيل المكافئ للزيادات السكانية والعديدية، وغير ذلك من الأمور التي تحتاج إلى مهنيين وموظفين في جميع المجالات المذكورة سابقا، ولكن بصورة أوسع ترفع الحرج والمشقة عن الناس.

٢. الوظائف والمهن الحاجية لحفظ النفوس البشرية. وهي ما تجعل الحياة مستقرة بعيدة عن المشقة والعنت، ويلزم لذلك أمور، منها:

- توفير الغذاء الذي يحقق الاكتفاء، من حيث القدر الكافي والسعر المستطاع والوفرة القريبة التناول.

- توفير الحاجات الأمنية الكافية.

- توفير أدوات النقل وأدوات الصناعة الغذائية الكافية.

- توفير التشريعات والأدوات التشريعية بصورة كافية.

- توفير العلاج والمصحات وأدوات الصحة بصورة كافية.

وهذه اللوازم تحتاج إلى عدد من المهن والحرف للقيام بها، ومنها بصورة إجمالية: المهن الزراعية، والمهن الصناعية، والمهن التجارية، والمهن الطبية، والمهن القضائية والقانونية، والمهن الإنشائية، وعدد من المهن التابعة لكل ذلك.

٣. الوظائف والمهن الحاجية لحفظ العقل. وهي ما تمكن العقول من وظيفتها الفكرية والعلمية على وجه يليق من غير مشقة ولا عنت، وذلك بحيث تتوفر حاجيات ذلك بصورة تضمن وصول المعلومات وحرية الفكر والإبداع من غير احتكار ولا تعطيل ولا اعتداء.

ومن أجل الوصول إلى ذلك فإننا بحاجة إلى عدد من الأمور، من أهمها:

- المراكز الثقافية والعلمية والبحثية التي تواكب المستجدات في كل المجالات.
 - المنشآت التعليمية التي تستطيع القيام بالتعليم على وجه يواكب المستجدات.
 - المناهج المتجددة.
 - توفير الوسائل التعليمية الكافية.
 - تشريعات في الجوانب العلمية والثقافية موائمة، لحماية الأفكار وضبطها في إطار من الحرية والمسؤولية.
 - الرعاية الكافية لأصحاب المواهب والإبداعات والكفاءات.
 - توفير المراجع في كل المجالات بصورة كافية.
- وهذه الأمور تحتاج إلى عدد كاف من المهن والحرف في المجالات التابعة لها، وذلك بصورة إجمالية، مثل: مهن ووظائف تعليمية متنوعة، ومهن ووظائف إدارية، ومهن ووظائف قانونية وتشريعية، ومهن ووظائف إلكترونية، ومهن ووظائف إعلامية، ومهن ووظائف تابعة لكل ذلك..
٤. الوظائف والمهن الحاجية لحفظ النسل والعرض. وهي ما تؤدي إلى رفع العنت والمشقة في حياة الناس وأسْرهم وأولادهم، مما يجعل الحياة كريمة طيبة.
- ونحن هنا نحتاج لعدد من الأمور، منها:
- توفر الغذاء بصورة كافية ونوعية ذات جودة.
 - توفر الصحة والعلاج بصورة كافية ومناسبة.
 - توفر السكن الملائم بصورة كافية.

- توفير التشريعات والقوانين الكافية والملائمة.

- توفير الحماية الشخصية بصورة كافية.

- توفير سبل الحياة الأخرى كالاتصالات والمواصلات بصورة مناسبة.

وهذه الأمور بحاجة إلى عدد من المهن والوظائف لقيامها بصورة تؤدي الغرض، ومن تلك المهن والوظائف، بصورة إجمالية: مهن زراعية، مهن صناعية، ومهن طبية، ومهن أمنية وقانونية، ومهن إنشائية، ومهن تابعة لكل منها.

٥. الوظائف والمهن الحاجية لحفظ المال. وهي التي تضمن رفع الحرج وإزالة المشقة في حفظ المال وتنميته وتوظيفه. والأمور الحاجية لحفظ المال، منها:

- توفير الموارد الكافية، والوصول إلى الاكتفاء الذاتي في الميزانية.

- توظيف الموارد المالية العامة والخاصة توظيفاً سليماً.

- القضاء على جل المشاكل الاقتصادية العائقة للتنمية المتوازنة.

- إيجاد الآليات والوسائل التي تحفظ الثروة وتسهل عملية استخدامها وتنميتها.

- محاربة الفساد المالي المنتشر في كل موقع بصور عديدة.

- اعتماد أنظمة محاسبية تلبى إلحاح الواقع وطموح المستقبل.

- توفير الخدمات اللازمة لعملية تدوير المال واستثماره.

- وضع قوالب سليمة لاستيعاب كافة المستحقات المالية والاستفادة منها.

وللجانب المالي وظائف عديدة حاجية غير المذكور هنا، وهي بحاجة من أجل تفعيلها إلى عدد كبير من المهن والوظائف، نذكرها من غير تفصيل، منها: مهن

وظائف إدارية، ومهن ووظائف محاسبية، ومهن ووظائف قانونية وتشريعية وقضائية، ومهن ووظائف أمنية، ومهن ووظائف الكترونية، ومهن ووظائف تدريب وتأهيل، ومهن ووظائف تجارية، ومهن ووظائف تابعة لكلٍ. وفي كل تلك المراتب في الوظائف الحاجية يجب توفير كل تلك المهن والوظائف بصورة كافية تقوم بإزالة المشقة والعنت عن الناس وعن حياتهم.

ثالثاً: الوظائف والمهن التحسينية: وهي ما تجعل الحياة في المجتمع ذات طابع كريم مستحسن، وتوفّر الجمال والكمال والرفاهية في متطلبات الحياة، وتجعل العمل في كل الكليات مصحوباً برغبة ذات إثمار وفاعلية.

ولذلك فإن التحسينيات في مجال التدين تكون بتوفير أمور تحسن الضروريات والحاجيات المذكورة، مما يجعل التدين متعة وراحة، ومما يوصل إلى ذلك مثلاً: تهوئة المساجد وتكييفها، وكثرتها في أماكن متعددة، وتوفير الماء فيها على الدوام وتدفئته أو تبريده، وكثرة العاملين في المجال الدعوي والإرشادي، وتوفير الإضاءة بصورة دائمة وقوية. إلى غير ذلك..

وأما التحسينيات في مجال حفظ النفوس فتكون بتوفير الكماليات الحسنة من الطيبات في جميع المجالات الغذائية والكسائية والصحية والسكنية والمواصلات، وكذلك في النواحي الأمنية بتوفير حماية مكثفة ورعاية أمنية، وكذلك التشريعات والقوانين التي تراعي محاسن العادات والهيئات، وتوفير التأمينات المختلفة للإنسان.

وأما التحسينيات في مجال حفظ العقل فتكون بتوفير الحاجات التي تضمن كمال الإبداع والتنمية الفكرية، في المجالات التعليمية والثقافية والفكرية، وذلك بتوفير المنشآت اللازمة بصورة كافية تيسر المشاركة لكل الكفاءات الصغيرة والكبيرة

والمبتدئة والمتوسطة والعليا، حتى يجد كل إنسان فرصته في إبداء أفكاره وإبداعاته، والتشجيع على ذلك.

ويضاف إلى ذلك توفير وسائل الاتصالات الحديثة وإتاحتها لكل الناس، وتوفير المكتبات العامة بصورة وافية وقريبة من حيث الوسائل والأماكن والأوقات.

وأما التحسينيات في مجال حفظ النسل والعرض فتكون بتوفير رعاية كاملة للإنسان سواء كان كبيرا أو صغيرا، مع استمرار هذه الرعاية بصورة توفر له كل إمكانيات العيش الكريم الواسع، في جانب الصحة والتشريع والغذاء وتسهيل الزواج ونفقاته، والأعراس الجماعية الميسرة، وإقامة المراكز الإرشادية والتوعية المستدامة، وغير ذلك..

وأما التحسينيات في مجال حفظ المال فتكون بتوسيع دوائر تداول المال وتسهيل توظيفه وتوسيع فرص العمل والكسب ورفع الأجور والدخول الفردية، إلى غير ذلك.

وهذه الأمور المذكورة في مرتبة التحسينيات بصورها كلها، لا شك أنها تحتاج لعدد كبير من الوظائف والمهن التي تضمن تنفيذها بصورة سليمة مكافئة لدواعي التحسين في كل مستوى من مستويات الحاجات البشرية، وهذه الوظائف والمهن تأتي زيادة على الوظائف الضرورية والحاجية السابقة في جميع المجالات. ولكن توفرها يكون بصورة تُحصّل الرفاهية والكمال والوسع الذي لا يجد معه المرء أدنى حرج ولا مشقة، ولكن من غير إسراف ولا مَخيلة.

ولعلي بعد هذا البيان قد أوضحت مدى ارتباط المهن والصنائع بالمصالح والمقاصد الكلية وتحقيقها وأثر ذلك على المقاصد العامة للشريعة.

المبحث الثالث: الحرف والصناعات ودورها في تحقيق الاستخلاف

وفيه ثلاثة مطالب

المطلب الأول: مفهوم الاستخلاف

المطلب الثاني: أسس ومقومات تحقيق الاستخلاف

المطلب الثالث: الحرف والصناعات وأثرها على الاستخلاف

المطلب الأول: مفهوم الاستخلاف

أولاً: الاستخلاف لغة:

تأتي كلمة الاستخلاف في اللغة لمعان، هي:

١. النيابة، وذلك بأن يقيم الشخصُ الغيرَ مقامه ليقوم بعمله نيابة عنه^(١)، وفي

التنزيل ﴿ وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ أَخْلِفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ

الْمُفْسِدِينَ ﴿١٤٢﴾ الأعراف: ١٤٢^(١).

٢. المجيئ بعد سابق، ومنه قوله تعالى: (فخلف من بعدهم خلف..)^(٢)،

والجن كانت عمار الدنيا فجعل الله آدم وذريته خليفة منهم يعمرونها، كما

قال تعالى: (إني جاعل في الأرض خليفة) سماهم خليفة لكونهم بعد جان

سكنوا الأرض، فإن كل من تولى شيئاً بعد آخر يقال له هو خليفة، وعلى

ذلك قوله تعالى: ﴿ وَأذْكُرُوا إِذْ جَعَلْنَاكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ ﴿٦٩﴾

الأعراف: ٦٩ وقوله تعال: ﴿ وَأذْكُرُوا إِذْ جَعَلْنَاكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ ﴿٧٤﴾

الأعراف: ٧٤^(٤). والخليفة أيضاً نبت ينبت بعد النبات المهشم^(٥).

٣. الإمارة والملك، ومنه قوله تعالى: ﴿ يَدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ ﴿٦٦﴾

ص: ٢٦ والمعنى: استخلفناك على الملك في الأرض^(٦).

(١) معجم لغة الفقهاء ص ٦٠.

(٢) لسان العرب (٨٤/٩).

(٣) العين (٢٦٧/٤) و تهذيب اللغة (١٦٨/٧). ولسان العرب (٨٤/٩).

(٤) تفسير الراغب الأصفهاني، تحقيق ودراسة: د. محمد عبد العزيز بسيوني، كلية الآداب - جامعة طنطا، الطبعة الأولى: ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م ، ص ١٣٩.

(٥) مختار الصحاح (٨٧/١).

(٦) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤٠٧ هـ (٨٩ / ٤) . وصاحب الكشاف هو من أئمة اللغة.

ثانياً: الاستخلاف اصطلاحاً:

من التعاريف اللغوية يمكن لنا القول بأن الاستخلاف هو تكليف الإنسان بإدارة أمر الأرض وسياستها وفق منهج رباني محدد، بينه الله تعالى في كتبه وجاءت به رسله، وقد استخلف الله تعالى آدم عليه السلام، ومن بعده ذريته جيلاً بعد جيل وقرناً بعد قرن حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ البقرة: ٣٠، وقال تعالى: ﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلٰهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴿٦١﴾ هود: ٦١، أي جعلكم عمارها تعمرونها وتستعملونها^(١).

ومما سبق يتبين لنا ما يلي:

١. إن الإنسان خليفة الله في أرضه، وأن الذي استخلفه هو الله سبحانه وتعالى، وأن هذه المهمة لم تقتصر على آدم وإنما هي في كل ذريته جيلاً بعد جيل.

٢. أن هذا أمر من الله لهذا الإنسان.

٣. أن اعتراض الملائكة على إسناد هذه المهمة إلى مخلوق جديد كان بسبب معرفتهم بمن سكن الأرض من قبل، ولأنهم فهموا أن طبائع المخلوقات واحدة في الإفساد وسفك الدماء ﴿قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ

(١) جامع البيان (٦٢/١٢) والجامع لأحكام القرآن (٥٦/٩) وتفسير القرآن العظيم (٥٩٢/٢).

أَلِدِمَاءَ وَنَحْنُ نُسِيحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالِ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا نَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾

البقرة: ٣٠ ، فكأنهم قالوا: ما الداعي لهذا المخلوق الجديد المفسد ؟

فكان الجواب ﴿ قَالِ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا نَعْلَمُونَ ﴾ ﴿٣٠﴾ البقرة: ٣٠، فهناك هدف آخر وغاية أخرى هي الابتلاء والصراع الذي سيتم بين الخير والشر والذي اقتضت إرادة الله أن يتم على هذه الأرض وأن يكون الإنسان أحد طرفي النزاع والمدافعة، وهناك من المصالح في ذلك ما هو خفي عليكم^(١).

فالاستخلاف إذاً هو تحقيق إرادة ربانية في بناء الأرض والقيام بعمارتها، وفق نظام إلهي وسنن إلهية تنظمه وتعايره، من أجل الوصول إلى أهداف مخططة بصورة سابقة.

"إنه ليس مجرد الملك والقهر والغلبة والحكم.. إنما هو استخدام هذا في الإصلاح والتعمير والبناء، وتحقيق المنهج الذي رسمه الله للبشرية، كي تسير عليه وتصل عن طريقه إلى مستوى الكمال المقدر لها في الأرض، اللائق بخلقة أكرمها الله.

إن الاستخلاف في الأرض قدرة على العمارة والإصلاح، وقدرة على تحقيق العدل والطمأنينة، وقدرة على الارتفاع بالنفس البشرية والنظام البشري"^(٢).

(١) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (١ / ١٢٥)

(٢) في ظلال القرآن (٤ / ٢٥٢٩). بتصرف .

المطلب الثاني: أسس ومقومات تحقيق الاستخلاف

إذا كان الاستخلاف يعني القيام بمهام حددها الخليفة صاحب الحق، وهو الله سبحانه، الذي أمر بعمارة الأرض والقيام بحق الخلافة والأمانة التي أوكلها لهذا الإنسان، وهي أمانة عامة في كل وجه من وجوه الحياة، في الجانب الفردي أو الجماعي. فلا بد من أن الله تعالى - مع ذلك الأمر - قد أرشد وبين لهذا المستخلف كيف يتعامل مع الأمر المستخلف فيه وكيف يقوم بمهامه إزاءه؛ ذلك أن الله لم يأمر الإنسان ليعجزه، بل هو يحب النجاح لعباده كما يحب لهم أن يقوموا بمهمتهم خير قيام، ومن هنا فقد بث سننا كثيرة ومقومات عديدة ومتنوعة يستطيع من خلالها الإنسان أن يقوم بما أوكل إليه، ولكن هذا الإنسان - قطعا - يحتاج إلى التعرف على هذه السنن والمقومات، وإلى معرفة كيفية التعامل معها وكيف ينجز من خلالها مهامه على أحسن وأكمل وجه.

وهنا سوف نتعرف على عدد من الأسس والمقومات التي نرى أنها مهمة لتحقيق الاستخلاف، عسى أن يكون ذلك منارا يضيء بعض الطريق، مع العلم أن الوسائل قد تتغير وتتطور، ويجتهد فيها الناس بما يرونه مناسبا لتفعيل الأسس واستثمار المقومات، ولكن حسبنا هنا أننا نذكر بأهمية الأمر ونذكر بعض جوانبه، ونوجه التفكير نحوه.

ولا شك أن أسس القيام بأمر الاستخلاف متعددة ومتنوعة، ولكن تحتاج إلى توظيف وفق برنامج فاعل يغطي جميع جوانب الحياة، كما قد تحتاج إلى تفعيل وترميم في بعض الجوانب، ومن هنا فإن أسس الاستخلاف أعني بها: المنطلقات التي ينبغي التمسك بها والسير وفقها كمنهج عملي ضابط للتعامل مع مهمة الاستخلاف ووظائفه، كما أعني بها تلك الركائز الأساسية التي تقوم عليها النهضة، والتي هي كالسنن لقيام الأمة بأمر الاستخلاف على الوجه الصحيح.

كما أن الأسس أمور تحتاج إلى رفع وتشديد، فهي متوفرة من حيث الأصل، وهي أقرب إلى الدوافع والمنطلقات، ولكنها تحتاج إلى إقامة سليمة لتكون أداة تستثمر بها المقومات التي هي روافد مهمة للأسس، وهي موجودة أيضا ومبثوثة في الكون، ولكنها غير مُستثمرة أو غير مستفاد منها بصورة سوية، وهي أقرب إلى الجوانب المادية والطاقات الكامنة.

أولا: أسس الاستخلاف:

الأساس الأول: الإيمان بالمستخلف سبحانه وتعالى، وبالمهمة الموكلة إلى الإنسان، إيمانا لا يقف عند التسليم النظري، ولكنه الإيمان الذي يكون هو مصدر التوجيه والتأثير على جميع التصرفات وعلى الحركات والسكنات.

يبدأ بالتسليم الكامل بأن صاحب الخلق والأمر في هذه البسيطة هو الله سبحانه وتعالى وبأنه القوي القادر الحاكم الجبار الذي لا يقف لسلطانه وجبروته أحد.

فينتج عن هذا التصديق عمل صالح في كل جنب الحياة الدنيا والآخرة، تعاملًا وإدارة لهذا الكون، تتحقق من خلاله القوة والعزة والكرامة، ويلبي لجميع المخلوقات حاجاتها.

وهذا هو أساس القيام بأمر الخلافة، إذ كيف يدّعي أنه خليفة الله في أرضه مَنْ تَرَكَ هذه المهمة لغيره؟ كيف يكون هو الأذلّ وسواه ممن كفر وجدد هو الأقوى والأعلى والأعز؟ كيف يسند للعصاة والمجرمين أمر توفير متطلبات حياته وبقائه على الأرض؟

هذا الخليفة إذا عرف أنه خليفة للقوي جل جلاله فلا بد أن يكون الأقوى وإذا عرف أنه خليفة للعزیز سبحانه فلا بد أن يكون الأعز، وهكذا لا بد أنه يصوغ حياته

بناء على هذا الإيمان، وإلا كان مفرطاً في المهمة وأداء الواجب الذي تم اختياره له

﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٨) المنافقون: ٨ .

إن هذا الخليفة مطالب بتعبيد كل ما على وجه الأرض للخالق سبحانه فلا رب إلا الله، ولا إله إلا الله، ولا حاكم إلا الله، ولا مدبر إلا الله، ولا رازق إلا الله، ولا شافي إلا الله، ولا ضار ولا نافع إلا الله سبحانه. وهذا الاعتقاد يترجم إلى عمل واقع بحيث يصبح سلوكاً مستمراً للإنسان.

الأساس الثاني: تحميل عبئ القيام بأمانة الاستخلاف للإنسان كونه إنساناً حباه الله بصفات تؤهله للقيام بتلك المهمة. وقد بين الله الصفات التي يتصف بها هذا الإنسان مع ما فيها من التباين والتضاد - أحياناً - حتى يكون الأمر واضحاً لديه في قيامه بالأمر، ومن تلك الصفات:

- صفات إيجابية، ومنها:

١. كونه في مكوناته من جنس المكان الذي سيقوم بمهمته فيه، وهو الأرض،

حتى تتلاءم طبيعته مع طبيعة المكان، كما قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي

خَلَقْتُ بَشَرًا مِّنْ طِينٍ﴾ (٧١) ص: ٧١

٢. أنه مختار في كل أموره، فلم يجبر على شيء من الخيارات التي له، كما

قال: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ (٢) إِنَّا هَدَيْنَاهُ

السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ (٣) الإنسان: ٢ - ٣ .

٣. أنه مكرم ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَجْدِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ

وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ (٧٠) الإسراء: ٧٠

٤. أن خلقه في أحسن تقويم ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ (٤) التين: ٤ .

٥. أنه ممكّن من أدوات النجاح ووسائله، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ٢ ﴾ الإنسان: ٢. وقال تعالى: ﴿ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ ٢٤ ﴾ عبس: ٢٤ ، وقال تعالى: ﴿ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ٧ ﴾ الانفطار: ٧. وقال تعالى: ﴿ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَم ٥ ﴾ العلق: ٥.

- صفات تبين جوانب سلبية في الإنسان، ومنها:

١. أنه ضعيف، كما قال تعالى: ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ

ضَعِيفًا ٢٨ ﴾ النساء: ٢٨

٢. أنه كفور يجحد النعم والأفضال، كما قال تعالى: ﴿ قَدِ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرُهُ ١٧ ﴾

عبس: ١٧ ﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ٦ ﴾ العاديات: ٦ ، وكما قال تعالى:

﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا

رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ ٤٨ ﴾

الشورى: ٤٨.

٣. أنه شديد الجدل، كما قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ

مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ٥٤ ﴾ الكهف: ٥٤ .

٤. أنه ظلوم لنفسه وجهول بمصالحه، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا

جَهُولًا ٧٢ ﴾ الأحزاب: ٧٢.

٥. أنه عجول يغيره العاجل ولو كان للحظات محدودة، كما قال تعالى: ﴿ خُلِقَ

الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُورِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ٣٧ ﴾ الأنبياء: ٣٧.

٦. أنه سريع الطغيان، كما قال تعالى: ﴿ كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ٦ ﴾ العلق: ٦.

٧. أنه ملحاح في الدعاء عند الحاجة، قال تعالى: ﴿لَا يَسْمُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ

الْخَيْرِ وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَعُوْذُ فَنُوحًا﴾ ﴿٤٩﴾ فصلت: ٤٩.

٨. أنه شديد الخصومة، قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرِ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ

خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾ ﴿٧٧﴾ يس: ٧٧.

٩. أنه سريع اليأس، قال تعالى: ﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ

الشَّرُّ كَانِ يَتُوسَّ﴾ ﴿٨٣﴾ الإسراء: ٨٣.

١٠. أنه شديد الحرص والبخل، قال تعالى: ﴿قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ

رَبِّي إِذًا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا﴾ ﴿١٠٠﴾ الإسراء: ١٠٠.

ومع كثرة الصفات السلبية في الإنسان إلا أن الله تعالى بين لهذا الإنسان طريق نجاحه وفلاحه، وبين له كيف يتعامل وفق تلك المعطيات وكيف يستثمرها لصالحه، وذلك الوصف الرباني للإنسان إنما يعطيه أطرا منهجية يسير وفقها ليضمن النجاح في مهمته. وتلك الصفات السلبية المذكورة إنما هي بيان لما هو مركز في نفس الإنسان من الصفات البشرية العائقة عن النجاح. والسؤال الذي يحتاج إلى جواب هو: كيف يستخلف الإنسان وهذا حاله؟

إن هذه الأوصاف هي حال الإنسان وطبيعته التركيبية البشرية الصرفة، وفي ذكرها بذلك الوضوح دلالات، منها:

١. حاجة هذا الإنسان لربه ولوحيه وشرعه، لمعرفة قوانين الحياة، ولبيان كل ما يصلح حاله، وبيان ما يضره وما ينفعه.

٢. أن اتباع منهج الله هو السبيل الوحيد للنجاة والفلاح في الدنيا والآخرة، كما يلمح ذلك من قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا

وَمَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴿١٢٤﴾ طه: ١٢٤. وكما هو واضح في الاستثناءات الواردة في الآيات التي وردت فيها الصفات الآنف الذكر، مثل قوله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١١﴾ هود: ١١. وقوله في سورة المعارج ﴿إِلَّا الْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ﴿٢٣﴾ المعارج: ٢٢ - ٢٣. وقوله في سورة التين: ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾ التين: ٥ - ٦. وقوله في سورة العصر: ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾ العصر: ٣.

فهذه الاستثناءات وغيرها تخرج المؤمن المتبع لدينه المقيم لشرعه المؤدي فرائض ربه من هذه المواصفات، وتجعل إتياعه لربه هو المخرج الأساس له من هذه الدوامة ومن هذا المقت وهذا الأمراض القاتلة، كما أنها بينت أسباب النجاة على المستوى الفردي والجماعي.

٣. إن المؤمن في جهاده وعمله بدينه الحق والتزامه بقيمه وأخلاقه يخرج نفسه شيئاً فشيئاً من تلك السمات السلبية التي يجب البعد عنها، ويقدر هذا الالتزام يدخل في مواصفات المؤمنين.

٤. الإنسان في جهاد دائم مع نفسه ومع أعداء المنهج الرباني المستقيم.

٥. هذه الأوصاف الإنسانية المتقلبة كانت سبباً لما جاءت به الشرائع والأحكام الربانية من معالجة لقيم الإنسان المنحرفة ولسلوكه وأفكاره ومعتقداته.

وهنا يفهم المسلم عظم بعض العقوبات والحدود وغلظتها، ويدرك أن هذه الشدة جاءت لمقاومة مواصفات وسلوكيات في الإنسان لا يمكن إيقافها عند حدها إلا بها

﴿ أَفْحَكَمَ الْجَاهِلِيَّةَ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ المائدة: ٥٠. ﴿ وَأَتَّبِعَ مَا
يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَأَصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ ۗ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴾ يونس: ١٠٩.

٦. على الإنسان أن يتعامل مع الحياة ومفرداتها بقدر ما أعطاه الله من طاقة وإمكانيات فلا يقصر في توظيفها على اكمل وجه وفي حدود الاستطاعة والوسع الحقيقي الذي يعني كل الطاقة عند توفر اعلى درجات الحافز ، ولا يتعدى حدوده^(١) التي وضعه الله فيها، فيتدخل في المغيبات التي اختص الله بها، أو يشرع بما يراه مناسباً لمصلحته وإن ناقض ما شرع الله، وهذا لا ينفي التخطيط للمستقبل ولا التعرف على السنن الإلهية المركوزة في الأنفس والآفاق.

٧. النقص الذي وصف به الإنسان يدعوه إلى أن يركز على قضية التعاون مع الغير من إخوانه، وهذا ما تشهد به الفطرة والواقع، فلا يستطيع إنسان واحد أن يتعلم كل هذه الحرف فلا بد من وجود متخصص في كل جزئية يحتاج إليها الإنسان في كل وجه من أوجه احتياجات الحياة، والحق يأمر بالتعاون على الخير فيقول: ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۗ ﴾ المائدة: ٢. ليسير دولاب الحياة ويستفيد الإنسان من كل المواهب لقاء إخلاصه في أداء عمله^(٢). وهذا الأمر يوسع التفاعل بين البشر والحركة في مناكب الأرض، فلا تتأتى عمارة الأرض إلا بالحركة فيها، والحركة في الأرض أوسع من أن تتحملها الطاقة النفسية لفرد واحد، بل لا بد أن تتكاتف الطاقات كلها لإنشاء هذه العمارة^(٣).

(١) انظر: في ظلال القرآن (٥ / ٣٠٢٧).

(٢) انظر: تفسير الشعراوي (٥ / ٢٩٠٧).

(٣) انظر: المرجع السابق نفس الموضع.

٨. في الإنسان طاقات كبيرة وكثيرة تحتاج إلى تفجير وتحفيز، ولذلك فالإنسان هو بنفسه من يستطيع تفجير هذه الطاقات، ذلك أن كل إنسان هو خليفة الله في هذه الأرض... أيًا كان مكانه في المجتمع.. إنه خليفة الله في الأرض، ومن واجبه أن يعمل بمقتضى هذه الخلافة، ويجمع إلى يديه أسبابها ومقوماتها..

وقد هيا الله خلقه الإنسان لكي تقوم بمهمة الخلافة لله تعالى على الأرض، و لكن لا يتحقق لها هذا حتى تحقق هي ذاتيتها، وتخرج القوى الخفية فيها، وتفجر الطاقات الكامنة في كيانها..

وفرق بين إنسان يعمل لتحقيق الخلافة وآخر لا يعمل لذلك، وهذا الأمر مظهره في العمل على الانتفاع بما أودع الله في النفس من قوى أو عدم العمل لذلك.

ومن أهم ما أعطى الله الإنسان من قوى: قوة العقل الفاعل، وفي قوله تعالى: ﴿وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ۗ﴾ (١٠) الرحمن: ١٠ إشارة إلى أن هذه الأرض، هي في خلافة الأنام، وهم الناس، وأن معهم الميزان الذي يضبطون به أمور الأرض وهو العقل.. وهو بهذا الميزان استحق أن يكون خليفة الله في الأرض.. فإذا لم يقم أمرها على ميزان الحق والعدل والإحسان، اضطرب أمره، وفسد حاله، وساء مصيره^(١)..

٩. الاستخلاف منوط به العمل الصالح، فمادام الاستخلاف في الحياة يقتضي من الإنسان عمارة هذه الحياة، وعمارة الحياة تقتضي ألا يفسد الشيء الصالح بل نزيده صلاحا، وحين يقول الحق: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ۗ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۗ﴾ المائدة: ٢. فهو يبين أن البر والخير مظهر

(١) انظر: التفسير القرآني للقرآن (٤ / ٣٥٩) وفي غيره من المواضع، باختصار وتصرف.

الفلاح والنجاح في الاستخلاف^(١)، وفي ذلك دليل على توجه الناس ومسارهم، والله يعلم ذلك ولكن المقصود إقامة الدليل الحسي والمادي المشاهد على الناس من خلال أعمالهم الواقعية^(٢).

وللتوضيح فإن القيام بأمر الخلافة من أهم العبادات؛ إذ أنها مناط لقيام كل العبادات، ولا تعارض بين ذلك وبين ما هو سائد بين الناس من أن العبادة الواردة في قوله تعالى ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦]، هي غاية الخلق، فلا خلاف في نظري بين الأمرين إذ معنى العبادة: الطاعة والانقياد، وهل الاستخلاف في الأرض إلا الصورة الواضحة والكاملة لهذه الطاعة بل هي تسليم المستخلف لأمر ربه سبحانه وسعيه الكامل لكي يسلم غيره لهذا الأمر فيسمع ويطيع الأوامر الله سبحانه ويعمل على تطبيق حكمه وامتنال أوامره والانقياد لسلطانه وشرعه وهذا هو مقتضى العبودية الكاملة.

من هذا نخلص إلى أن الاستخلاف واجب ارتبط وجوبه بوجود الإنسان، وما جاءت الشرائع والأديان وما أرسلت الرسل إلا لبيان الطريقة والأسلوب الذي ينبغي أن يتم به هذا الاستخلاف.

وقد اهتم الإسلام اهتماما كبيرا بتنمية الإنسان في جميع جوانب الحياة، لما أنيط به من تحقيق الخلافة في الأرض التي وجبت عليه بأمر الله واختياره له. فقد ارتبط خلق الإنسان - كإنسان - في فلسفة الدين الإسلامي بالتكريم والرفعة والعزة، وهذا يعني أن الجنس البشري منذ خلقه الله هو أفضل المخلوقات عنده، ولذلك فجدير به أن يعمل وأن يكون على هذا المستوى من التكريم الإلهي الذي لا يمكن أن يتم إلا

(١) تفسير الشعراوي (٥ / ٢٩٠٧)

(٢) انظر: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، د وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر المعاصر - دمشق، الطبعة: الثانية، ١٤١٨ هـ (١١ / ١٢٦).

بقيام الإنسان بمهمته التي ارتبطت بوجوده على الأرض ﴿ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ
وَأَسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ﴾ (٦١) هود: ٦١ (١) .

ومن هنا فإننا نجد أن ديننا يضع لنا أسس التنمية الاقتصادية والتعليمية
والصحية والإدارية والسياسية والاجتماعية وأسس كل المجالات التنموية بشكل
سليم... تحده دوافع دينية ومنطلقات إيمانية وقيم موجّهة، تكفل لها الاستمرار
والنجاح... كما يصوغ بناءً ثقافيًا شاملاً ومنهجًا متكاملًا للحياة^(٢).

وقد جاءت شرائع الدين كاملة متكاملة في بيان أحوال الناس الدينية والدنيوية، حتى
لا يبقى لهم عذر في الالتجاء إلى نظم أخرى يمكن أن يتوخوا من خلالها سبل
النجاح والفلاح، كما يتبين ذلك من قوله تعالى: ﴿ رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ
لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ (١٦٥) النساء: ١٦٥ .

ويمكن القول: إن الدين الإسلامي عقيدة وشريعة يعد منطلقًا للتنمية الاجتماعية
الإنسانية بمفهومها الشمولي، في جوانب الحياة جميعها.

الأساس الثالث: الإعلاء من شأن العمل، ففي الثقافة الإسلامية بصورة عامة يعتبر
العمل سبيلًا لإرضاء الله تعالى وعبادته، وسبيلًا لتعمير الأرض وتنميتها^(٣)، وهذا
الإعلاء من شأن العمل يقوم على أسس منهجية تجعل العمل مثمرًا وذا فاعلية، فلا
يكفي الكد والاجتهاد فيه، وإنما هناك أسس أخرى يقوم عليها العمل ليؤدي دوره
الكامل في الاستخلاف، ومن ذلك:

(١) انظر: بناء المجتمع الإسلامي ص: ٣٢٢. بتصرف.

(٢) انظر: بناء المجتمع الإسلامي ص: ٣٤٢، ٣٤٣.

(٣) انظر: بناء المجتمع الإسلامي ص: ٣٢٣.

١. ربط العمل بالعلم بفروعه التطبيقية والنظرية، فذلك من أعظم السبل إلى التقدم والتنمية في كل مجالات الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية^(١).
٢. تنظيم علاقات العمل تنظيمًا دقيقًا بما يحقق العدل والإنتاج^(٢).
٣. قيام الإنتاج والعمل على استثمار الموارد المتاحة وتوظيفها بما يحقق أعلى عائد ممكن في إطار ضوابط محددة ومحكمة تحقق التوازن^(٣).
٤. توجيه العمل والثقافة ورأس المال، فهي من أهم أسس النهضة، ولكنها تحتاج إلى توجيه نحو الميادين المثمرة^(٤)، وذلك التوجيه يعني تحديد أولويات تلك الميادين، وهي أولويات يحكمها الزمان والمكان والإنسان.

الأساس الرابع: إعادة بناء التعليم على قواعد تنموية تخطط للنهضة وتستدعيها وتمكن لها، وهذا يحتاج إلى:

١. بناء المناهج التعليمية على أسس علمية حديثة، خادمة لمشروع النهضة.
٢. توجيه التخصصات واستثمار الكفاءات بما يلبي الأهداف المتوخاة.
٣. الاهتمام بتنمية الشخصية السوية من جميع جوانبها، فالشخصية هي المحرك الأول للتغير والتنمية، وكلما كان بناء الشخصية مكتملا كان ذلك أدعى للإنجاز والإبداع والريادة والاختيار الحسن^(٥).

(١) انظر: المرجع السابق ص ٣٢٤.

(٢) انظر: المرجع السابق ص ٣٣٢.

(٣) انظر: المرجع السابق ص ٣٢٧.

(٤) انظر: شروط النهضة، مالك بن الحاج عمر بن الخضر بن نبي، دار الفكر - دمشق سورية، الطبعة:

١٩٨٦م ص ١٠٦.

(٥) انظر: بناء المجتمع الإسلامي ص ٣٣٨.

٤. ربط التعلم بالتطبيق، وهذا ما يسمى بالمنطق العملي، والذي معناه: كيفية ارتباط العمل بوسائله، وذلك أمر يحتاج إلى المعايير والمقاييس، فيستخرج بذلك فوائد كثيرة من وسائل محددة، ولذلك فحاجتنا كبيرة " إلى هذا المنطق العملي في حياتنا، لأن العقل المجرد متوفر، غير أن العقل التطبيقي الذي يتكون في جوهره من الإرادة والانتباه فشيء يكاد يكون معدوماً"^(١).

الأساس الخامس: إعادة البناء الإداري على أسس سليمة، تراعي الجديد وتستفيد من القديم، وذلك أمر يحتاج إلى مراجعة مستمرة بحسب التطور الحادث والتنوع المستمر. ومن المبادئ التي يجب اتباعها هنا، ما يلي:

١. إطلاق الطاقات الاستثمارية، وتشجيع النشاط الاقتصادي المنتج بصورة عامة^(٢).
٢. التخطيط على وجه استراتيجي فاعل ومدروس، بحيث تتم معرفة الجوانب الملحة من غيرها، وتعرف الأولويات والأكثر والأوسع نفعا من غيرها، وتعرف الثوابت التنموية من غيرها.

ومن المهم في التركيز عليه في قضية التخطيط هنا الأمور التالية:

- أ. التركيز على الأمور الاستراتيجية.
- ب. التركيز على عوامل الاقتصاد المستمرة والدائمة.
- ت. التركيز على البنية الأساسية.
- ث. تحقيق التوازن بين كل القطاعات الحيوية، وهذا معناه توجيه الاقتصاد.

(١) شروط النهضة ص ٩٥.

(٢) بناء المجتمع الإسلامي ص: ٣٣١

والواجب هنا هو التنسيق بين جوانب الثروة في المجتمع بحيث لا تترك الأموال تتكدس وتتركز في ميدان اقتصادي واحد دون سواه، ولا يعد هذا التنسيق تقييدا لحرية الملكية إنما هو توجيه يحقق مصالح المجتمع^(١).

ج. الاهتمام بالتحديث المستمر، بمعنى متابعة كل جديد وعلى ضوء ذلك يتم تحديث الخطة ، بحيث لا تبقى على وتيرة واحدة ، فالأوضاع والأزمنة تختلف.

ح. مراعاة العوائق التي قد تطرأ وعمل احتمالات وحلول لها في الخطة.

خ. استيعاب كل الطاقات في الخطة، ففي ذلك إتاحة الفرصة لذوي المواهب والطاقات والاستفادة منهم، وفيه انتفاع منهم ونفع لهم.

٣. تحقيق التوازن بين حاجات الفرد والحاجات الجماعية، وهذا يحل كثيرا من الإشكالات التي قد تظهر بطبيعة البشر.

٤. حل المشاكل التي تظهر - كبيرة أو صغيرة - أولا بأول، ويستفاد في ذلك من مبادئ الشريعة الإسلامية، والتجارب البشرية^(٢).

الأساس السادس: هو كما يقول تعالى عن قريش، ﴿الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِّنْ جُوعٍ

وَأَمَّنَّهُمْ مِّنْ خَوْفٍ ۚ﴾ قريش: ١ - ٤ . فقد قرنت الآيات بين الأمن الغذائي والأمن

العام الذي يقضي على كل المخاوف.

فالأمن أساس مهم للاستقرار وبالتالي لتحقيق الإعمار في الأرض ومن ثم تحقيق الاستخلاف، ذلك أن المجتمع الآمن الذي يشعر فيه الناس بحرمة الأنفس والأعراض والأموال فيما بينهم، ويؤدون فيه شعائر الدين، هو المجتمع المسلم القابل للنمو

(١) انظر: بناء المجتمع الإسلامي ص: ٢٦٢ .

(٢) انظر: المرجع السابق ص : ٣٣٤ .

والارتقاء، والذي تتحقق فيه خيرية الأمة^(١)، وتقوم فيه بوظائف الاستخلاف خير قيام.

الأساس السابع: هو التقييم المستمر لكل الخطوات والأهداف، وذلك يكون ضمن معايير مدروسة منضبطة، ويكون ضمن خطة محددة، بحيث يؤخذ بنتائج التقييم وتعتبر مؤشراتته.

هذه بعض الأسس المهمة التي تمكن للقيام بمهمة الاستخلاف بصورة فاعلة، والتي تجعل استثمار المقومات - التي سنذكرها - أكثر إثماراً.

ثانياً: مقومات الاستخلاف: وسنذكر هنا بعضاً من المقومات التي نرى أنها مهمة في تحقيق مناطات الاستخلاف، وهذه المقومات هي ما يمكن أن نقول إنها مركوزة في الحياة والطبيعة، كما تتقاطع فيها تجارب الأمم والجماعات والحضارات، فهي مقومات ذات أبعاد مادية وذات أبعاد نظرية، وليس بالضرورة أن تكون كلها في مكان واحد أو بلد واحد، ولكن المهم أن الاستفادة منها ممكنة، في إطار أسس وضوابط من يأخذ بها يقيم بمهمته على وجه حسن، إن لم يكن أحسن الوجوه.

وتتركز هذه المقومات في جانبين اثنين: جانب التصورات النظرية، وجانب المعطيات المادية، وسوف نبين بعضاً من تلك المقومات في هاذين الجانبين، كما يلي:

الجانب الأول: جانب التصورات النظرية.

والمقومات التي تهيئ للاستخلاف هنا كثيرة ومتنوعة بما يلبي الاحتياجات النظرية إن توفرت النية والعزيمة، ومن تلك المقومات:

(١) انظر: الأمن في حياة الناس وأهميته في الإسلام، الكتاب منشور على موقع وزارة الأوقاف السعودية بدون بيانات ص ٤٢ .

١. منظومة القيم الأخلاقية والعقائدية الدينية.

وهي أصل متين وركن ركين في الأمة، يتأصل احترامه وحبه في قلوب أبناء الأمة، ولا يمكن تجاوزه إذا وقع استثماره على الوجه الحسن، وهو بالتالي يثمر في جوانب التنمية الكثيرة والمتنوعة، وذلك عندما ينطلق المسلم في كل عمل يقوم به من منطلق عقائدي وأخلاقي يلتزم به ويؤجر أو يؤثم عليه، ومن المبادئ الهامة هنا، المبادئ التالية:

أ- الاعتقاد بأن المُلْكَ كُلَّهُ لله سبحانه وتعالى، وأن الإنسان مستخلف فيه لا بد أن يؤدي العمل بوجه يرضي الله تعالى: ﴿ ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ءَ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلِفِينَ فِيهِ ءَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾ الحديد: ٧.

ب- الفرص متاحة للاستمتاع بالطيبات، والتملك والعمل والاجتهاد والاستثمار والثراء، بشرط عدم الإضرار بالغير، وتحقيق الصالح العام، وتجنب المحرمات^(١).

ج- قيام الاقتصاد الإسلامي على أساس واقعي أخلاقي، فهو يؤكد أهمية التعاون والتكافل من أجل التنمية والاستثمار وتحقيق التقدم والتوازن الاجتماعي^(٢)، كما أنه لا يغفل جانب الملكية الفردية المنضبطة بما ذكرنا في الفقرة السابقة.

د- ربط جوانب العقيدة دائماً بأمر الكسب والأرزاق والتعاملات، وبيان آثار كل أمر على الآخر، وهذا مبنوث في نصوص الوحي بحيث لا يمكن حصره.

(١) بناء المجتمع الإسلامي ص ٣٢٩.

(٢) المرجع السابق ص ٣٣٠.

د- التوجيه الأخلاقي، حتى تثمر الأخلاق قوة في التماسك والترابط بين الناس، مما يجعل التعاون والإنتاج والفعالية دائمة وقوية^(١)، ولذلك فقد دعا الإسلام إلى معالي الأمور والأخلاق ونفر من سفاسفها.

٢. منظومة القيم القانونية والحقوقية. فالإسلام يمتلك ثروة عظيمة من المبادئ القانونية والحقوقية كفيلة برعاية البشرية جمعاء. وهذه القيم جاءت بصورة مبادئ وقواعد عامة، وبصورة قوانين وأحكام، في كل جوانب الحياة، في التدين والسلوك العام والتحرك الفردي والجماعي. بل لقد جاء البيان الحقوقي في كثير من النصوص القرآنية والنبوية بصورة دقيقة ومفصلة، ويدخل في هذا: النظام القضائي الإسلامي ومبادئه، وطرق التشريع ومبادئه كذلك.

ولقد أقام الإسلام الموائيق والمعاهدات القانونية واحترمها ولو كانت ليست في صالحه، بل لقد راعى حتى حقوق الحيوانات والنباتات..

ويمكن لنا القول بأن الثروة القانونية والحقوقية التي يمتلكها الإسلام تعتبر كنزا ثميناً تُكوّن مقوما قانونياً وحقوقياً في البناء التشريعي لتحقيق الاستخلاف في الأرض.

٣. منظومة العمل السياسي الإسلامي، الذي أرسى قواعد الشورى وحفظ للامة حقها في امتلاك السلطة وتكليف من تراه صالحاً لرعاية مصالحها كما ترك لها اختيار طرق اختيار الحكام والأمراء، وطرق المحاسبة والمتابعة، وغير ذلك من التفاصيل في الجانب السياسي. وهذا النظام يعتبر رأس الأمر من حيث أداء مهمة التنمية والتقدم على مستوى الفرد والمجتمع؛ ذلك لأنه إذا آمن المسؤول بالتغيير والتطوير

(١) شروط النهضة ص ٨٨.

كان أداة مهمة في بناء الأمة وركيزة أساسية من ركائز تحقيق الاستخلاف، لأنه في محل التوجيه والأمر.

ويدخل في هذا النظام: قيم الحسبة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والمعارضة السياسية العامة، والتنافس على خدمة الأمة، ومسألة العلاقات الدولية وكيفية التعامل معها، بصورة عامة وتفصيلية. إلى غير ذلك..

والإسلام عنده رصيد كاف في باب التنمية السياسية، من حيث التعمير والتنظير ومن حيث التطبيق والعمل، ولذلك فمن المهم جدا استثمار ذلك للقيام بواجب الخلافة وإعمار الأرض.

٤. الإرث الثقافي والعلمي، وهو من المقومات التراكمية التي يمكن أن يستفاد منها من أي وعاء خرجت، كما أنه أمر مهم لما ينبني عليه من التصورات والمنهجيات، وهو من مبادئ الاستخلاف ولذلك فأول أمر جاء به القرآن الكريم هو التعلم والقراءة بصورة عامة غير مخصص للأمر في وجه من الوجوه: ﴿أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١﴾ العلق: ١، كما كان التعلم مناط الخلافة الآدمية: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۝٣١﴾ البقرة: ٣١.

وفي ذلك بيان بأن أمر الاستخلاف يقتضي العمل وفق معرفة شاملة كاملة لكل شيء، ووفق تصور عام واضح، وهذه المعرفة والتصور يبدأان بمعرفة كل الأسماء، أسماء الأشياء والأكوان والأزمان والأشخاص معرفة دقيقة تفصيلية.

وبهذه الخصيصة حصل آدم على التكليف بمهمة الخلافة في الأرض، لأنها مهمة تستلزم أن يكون القائم بها أعلم الخلق وأفقههم على وجه العموم والشمول.

من هنا كان العلم والثقافة من أهم مقومات التمكين إن لم يكونا أهمها على الإطلاق؛ فمن يملك المعلومة يملك القرار الصائب، ومن يملك التصور يستطيع التحرك في كل اتجاه، كما أنه يملك التوجيه أيضا، فهو يرى بوضوح تام ويدرك ماذا يفعل.

إن التفوق العلمي لا يقف أمامه أحد، بل لا بد من أن يعجز الجميع أمام العلم ويسلموا له.

ومن هنا كانت الخلافة في الأرض تقتضي العلم والمهارة به والتدقيق فيه، والثقافة الواسعة للتعامل مع كل أمر عن بصيرة ودراية، كما قال الله: ﴿ قَالَ يَتَّكُمُ الَّذِينَ يُؤْتُونَ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنَّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ البقرة: ٣٣ .

ومن العلم الذي يتطلبه الاستخلاف العلم بأحوال وقوانين هذه الأرض والسنن الإلهية التي قامت عليها حركة الكون، وكيفية الاستفادة منها، وقد ضرب القرآن لنا أمثالا في استثمار تلك القوانين، ومنها:

المثال الاول: يوسف عليه السلام، حيث خلص مصر وأهلها من هلاك محقق، وجاء بخطة محكمة تجاوز بهم سبعة أعوام شداد من القحط وقلة الموارد: ﴿ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَابًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا نَأْكُلُونَ ﴾ يوسف: ٤٧ .

والمثل الثاني: ذو القرنين الذي أنقذ أهل البلدة من يأجوج ومأجوج ببناء الجدار وفق معايير وقوانين الانصهار والتجمد والتي من خلالها صار النحاس والحديد كتلة واحدة صلبة لا يمكن تجاوزها: ﴿ ءَاتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ ءَاتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴾ الكهف: ٩٦ .

وقد ذكرهما القرآن الكريم كمثالين عن التمكين، ولم يذكر غيرهما بمصطلح التمكين،

فقال عن الأول: ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ ﴿٢١﴾﴾ يوسف: ٢١ . وقال عن

الثاني: ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَءَاتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبِيًّا ﴿٨٤﴾﴾ الكهف: ٨٤.

ذكرنا هذين النموذجين كمثال في علاقة العلم بالتمكين، وهذا يبين أننا بحاجة إلى إعادة توجيه العلم والثقافة بما يخدم جانب التمكين في جميع الجوانب، بتوازن واعتدال، كما أننا بحاجة إلى الاستفادة من المخزون العلمي والثقافي وتوظيفه التوظيف المناسب بما يواكب المستجدات الزمان والمكان.

الجانب الثاني: المعطيات المادية.

وهي مقومات مهمة ينبغي الاستفادة منها، وعدم إهمالها، حتى توفر كثيرا من الوقت والجهد اللذان نحتاجهما في التنمية والنهضة، ومن المقومات في هذا الجانب:

١. بنية الدولة القائمة على أرض الواقع، وإن كانت ضعيفة في بنيتها أو تنظيمها، ولكنها تصلح كأساس للانطلاق والبناء، بشرط إعادة بنائها على أسس قومية شاملة، وإعادة صياغة النظرية العامة لعملها وفق الوظائف والأهداف المتوخاة. وليس الكلام هنا على دولة محددة، بل على صفة الدولة.

وأهم وظائف الدولة في الإسلام تحقيق الخير العام للناس، والدولة في نظر الإسلام هي الأداة المسخرة لخدمة المجتمع، وهي المنوط بها توفير السعادة لأبنائه، وإقامة العدل فيهم.

وهذا التصور لوظيفة الدولة في الإسلام يحقق قدرا من الحريات الفردية لا تتحقق في أي نظام آخر كما يحقق قدرا كبيرا من التقدم والازدهار عموما وخصوصا^(١).

(١) انظر: بناء المجتمع الإسلامي ص: ٢٦٤، ٢٦٥.

وبالتالي فعندما ندعوا إلى القيام لتحقيق الاستخلاف، ليس معنى ذلك تحطيم الدول والأنظمة القائمة، ولكن إصلاحها أولاً، وإقامة شأنها على الطريق القويم الذي يحقق ذلك. وإصلاح الدولة يحتاج إلى أمور عديدة، منها:

١- السعي إلى القضاء على التبعية الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، وتحقيق الاستقلال الاقتصادي والاجتماعي والسياسي للمجتمع المسلم، وهذا هو غاية التنمية الاقتصادية والاجتماعية كما تعالجها جميع الاتجاهات النظرية والعملية .

٢- إبراز تصور الإسلام الواضح لأساسيات النظام السياسي^(١)، ونؤكد عليه هنا لأهميته.

٣- محاربة الفساد المالي والإداري بجدية واستمرار، وإرساء قواعد مهنية وأخلاقية.

٤- التدوير الوظيفي في كل مرافق الدولة، لما في ذلك من خدمة للتنمية المتكاملة.

٥- تحديد المسؤوليات بصورة واضحة وشفافة، من خلال لوائح وأنظمة تحدد ذلك.

٦- إعادة بناء الهيكل الإداري للدولة بما يخدم عملية البناء والتطوير.

٢- البنية الإعلامية الكبيرة، والمتمثلة بالوسائل الإعلامية المتعددة، والكوادر ذات القدرات العالية، التي تتوفر بصورة كبيرة في الأمة وفي أبنائها، بحيث يمكن لها القيام بنهضة إعلامية رائدة تخدم كل المجالات.

(١) انظر: بناء المجتمع الإسلامي ص: ٣٣٦.

ولا شك أن الإعلام قوة حضارية تتفاعل مع سائر القوى السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية الأخرى^(١)، ومن هنا كان للإعلام أهميته ودوره الرائد في تهيئة المجتمع وتشكيله فكريا وسلوكيا.

ونحن بحاجة في هذا الجانب إلى كثير من الإصلاحات التي تجعل الإعلام الإسلامي أكثر فاعلية وعطاء، ومن الأمور التي نحتاجها هنا، ما يلي:

أ. وضع سياسة إعلامية شاملة وتكاملية مع جميع جوانب البناء والنهوض.
ب. تنقية كثير من المفاهيم والأفكار من الأخطاء والانحراف، والتجديد في تلك المفاهيم.

ت. طرح مفاهيم وأفكار ورؤى جديدة ومبتكرة ومناقشتها نقاشا جديا بقصد الإثمار والنفع.

ث. تسخير القدرات الإعلامية في خدمة البناء والإعمار، ووضع مشاريع نهضوية تمكن لتحقيق الاستخلاف.

ج. إعادة هيكلة الوسائل الإعلامية وفق التخصصات التي تخدم الاستخلاف المنشود، بحيث تكون تخصصية في كل المجالات التي نحتاجها.

٣. المقومات الحيوية المرتبطة بالأرض والإنسان، وهي متوفرة في إطار الأمة المسلمة، على مستويات كبيرة وذات إمكانات واسعة في النهوض والبناء.

وهذه المقومات تشمل مقدرات متنوعة، في الجوانب الصناعية والزراعية وغيرها، وتتكئ على الموارد البشرية والمادية الظاهرة وغير الظاهرة، وتدخل فيها المهارات

(١) دور الإعلام في التضامن الإسلامي، إبراهيم إمام، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة: السنة السادسة عشرة، العدد الواحد والستون محرم - صفر - ربيع الأول ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م ص: ٢٧١ .

والقدرات والمعادن والآلات والأموال والأفكار والمساحة الترابية والثروة المائية والحيوانية والكثافة السكانية، وغير ذلك.

"ويذهب بعض الباحثين إلى أن موارد الكرة الأرضية كافية لرفع مستوى سكان العالم كله إلى مستويات المعيشة التي يتمتع بها إنسان العالم الغربي المتقدم صناعياً"^(١)..

ومن أهم المقومات الحيوية: الجوانب الصناعية والزراعية، وهي مهمة بحيث تشمل هذه الأهمية المستوى الفردي والجماعي على السواء، "فهي بالنسبة للفرد وسيلة لكسب عيشه، ولكنها للمجتمع وسيلة للمحافظة على كيانه، واستمرار نموه"^(٢) وكل إنسان يحتاج في كل أوقاته إلى المنتجات الصناعية والزراعية، بحيث لا يستطيع الاستغناء عنها البتة. وربما يكون الجانب الصناعي أهم جانب من جوانب التمكين والاستخلاف.

وقد أودع الله البلاد الإسلامية مقومات صناعية وزراعية وحيوية كافية، سواء في المعادن أو في الطاقات والقدرات أو في التمويل والأفكار، ولكن الأمر يحتاج إلى بعض الأمور التي تصحح المسار وتُفَعِّل الطاقات والإمكانات، ومن تلك الأمور، ما يلي:

- أ. الإرادة الثابتة والعزيمة الصادقة من الأنظمة والأفراد.
- ب. تسهيل إجراءات الاستثمار في هذا الجانب، من أجل إشراك القطاع الخاص في هذا الميدان، بل وفتح باب التنافس الفاعل فيه.
- ج. نشر دراسات الجدوى في المجالات الصناعية، وتوجيه الطاقات في الجوانب الصناعية المرادة وذات الأولوية.

(١) بناء المجتمع الإسلامي ص: ٣١٦.

(٢) شروط النهضة ص: ٩٧ .

د. تطوير وتحديث الآلات والنظم المرتبطة بالإنتاج بأنواعه، بما يواكب التحديثات التكنولوجية الحاصلة.

هـ. وضع معايير وأنظمة واضحة لبيان الحقوق والواجبات والجودة الشاملة والرقابة والمحاسبة، بما يضمن توازن كل الجوانب على مستوى الإنتاج والاستهلاك والاستمرار والوفرة والجودة. إلى غير ذلك من الأمور.

٤. المقومات التكنولوجية. وهي إمكانات حديثة هيأ الله للإنسان ابتكارها خاصة في الدول المتقدمة، وقد دخلت التكنولوجيا في كل الميادين الحياتية، وزادت من سهولة كثير من الممارسات والأعمال في الحياة اليومية، مما جعل بعض جوانبها من مهمات الحياة التي لا يستغنى عنها، فقد أصبحت التكنولوجيا تدخل في كل أمر من أمور الحياة، وخاصة الأمور الصناعية، فلا يمكن الفصل بين الصناعة والتحديث التكنولوجي، فهما معاً يشكلان العامل الأساسي في النمو الاقتصادي، بل يمكن تحديد مفهوم التصنيع بأنه جانب من التنمية الاقتصادية يحدث من خلال عمليات التحويل التي تحدث للمواد والطاقة من خلال استخدام تكنولوجيات معينة^(١).

والأصل في المؤمن المستخلف على عمارة الأرض أن يستفيد من تلك الإمكانيات بما يلبي حاجة قيام الخلافة وهي ليست محددة في أطر معينة يمكن التوقف عندها، ولكنه منوط ببقاء الحياة على وجه الأرض، والتوسع بسعتها والتطور بتطورها. فينبغي الاستفادة من هذه التكنولوجيا في كل المجالات السياسية والتعليمية والاقتصادية والاجتماعية والصناعية والزراعية وغيرها، بما ينفع ولا يضر على كل المستويات.

(١) انظر: بناء المجتمع الإسلامي ص: ٢٩٠.

هذه بعض الأسس والمقومات التي تؤهل الأمة للقيام بواجب الاستخلاف في الأرض وعمارتها، وهناك أسس ومقومات أخرى، ولكن اقتصرنا على المذكور حتى لا يطول البحث، والمقصود إنما هو الإشارة وليس الاستقصاء.

المطلب الثالث: الحرف والصناعات وأثرها على الاستخلاف

الفرع الأول: أسس البناء المهني

إن مهام الدولة ووظائفها كلها لا بد أن تترجم في وظائف ومهن وحرف وصناعات، يكون لها الأثر الكبير في تحقيق هذه الوظائف، ومادام الاجتماع في الدولة قائماً، فلا بد من العمل على تنظيم هذا لاجتماع ولا بد من التخطيط له، لتوفير جميع احتياجات هذا الاجتماع، الضرورية والحاجبة والتحسينية وصولاً إلى الكماليات والرفاهيات. وهذا التنظيم والبناء يحتاج إلى مبادئ وأسس تؤهله للقيام بوظيفة البناء المنشود للاستخلاف، ومن تلك المبادئ والأسس المهنية، المبادئ التالية:

المبدأ الأول: التخطيط والتأهيل.

في الهيكل الحكومي الحديث نجد أن الدولة (الحكومة) قد أفردت لهذه المهمة وزارة مستقلة تسمى وزارة التخطيط، وقد يضاف إليها مهمة أخرى هي التعاون مع الدول والمنظمات الدولية، للقيام بمهام خدمية محددة في جانب الإنشاء والتحديث.

وتقوم هذه الوزارة بإعداد الخطط الإستراتيجية والمتوسطة والقصيرة الأجل.

وغالباً ما يسمون هذه الخطط بالعشرية والخماسية.. ولا تكتفي الدولة بما تقوم به هذه الوزارة بل لا تجد وزارة من الوزارات أو مكتب تنفيذي من مكاتب الوزارات إلا وفيه إدارة تخطيط. وأحياناً يضاف إليها الإحصاء، وهو جهاز يخدم جانب التخطيط. وكل إدارة تعمل في الإطار الذي وضعت فيه، فتضع خططها وتراجعها وتقدمها ثم تتابع تنفيذها، من خلال رفع التقارير الدورية ومناقشتها وتقييم الأداء واتخاذ القرارات المناسبة تجاه النجاح أو الإخفاق.

والتخطيط السليم يعتمد على بعض الخطوات، منها:

١- تحديد الاحتياجات.

فقبل وضع الخطط التأهيلية والتشغيلية يبدأ المخططون بتحديد الاحتياجات في كل المجالات المستهدفة، وهذه الاحتياجات، منها:

. الاحتياجات المادية والمالية، والاحتياجات التدريبية والتأهيلية، والاحتياجات البشرية(موظفين).

وتختلف الاحتياجات المراد توفيرها لدى واضع الخطة بحسب المستوى الذي يخطط له، فالاحتياجات على مستوى دولة أو حكومة أو قُطر تختلف عن احتياجات الدائرة الأقل منها، كمنطقة من المناطق أو فئة من الفئات، أو وزارة من الوزارات أو مكتب من المكاتب التابعة للوزارات.

ولذلك فلا بد من تحديد الاحتياجات من الخدمات والسلع المطلوبة بحسب المستوى ضيقا ووسعا.

وتتنوع الاحتياجات كما أشرنا إلى: احتياجات مادية سواء كانت مالية أو معدات وآلات أو مصانع وأجهزة وغيرها، وبالتالي تعمل خطة لتوفيرها وطلبها من الداخل إذا توافرت أو من الخارج إذا لم تكن موجودة، وما تحتاج كل وظيفة أو مهنة من آلات ومعدات ومقدرات وطاقات بحسب التنوع المطلوب والحاجات البشرية.

ومن أهم الاحتياجات المادية للبناء المهني: الاحتياجات المالية، فالمال هو عصب الحياة وهو الذي يسهل الصعوبات ويحقق الارتقاء والتقدم، إذا ما تم توظيفه في زيادة الإنتاج وتحسينه وتطويره.

وأما الاحتياجات البشرية، فهي من أهم الموارد التي تسهم في البناء والتطوير، فالبشر هم خير ثروة في الوجود؛ لأن تحصيل غيرها من الثروات ممكن، أما البشر

المؤهل الكفؤ فالخالق لهم هو الله وحده، كما أن تأهيلهم أمر غير يسير. وعليه فإن قلة السكان قد يكون مشكلة، كما أن زيادة السكان قد يكون مشكلة كذلك، وفي كل الأحوال فالبشر هم ثروة حقيقية لأي بلد، ولكن هذه الثروة إذا تم تحديدها وتقسيمها وتوزيعها بحسب الميول والرغبات وبحسب القدرات والمهارات التي يجيدها أصحابها يسهل تأهيلهم وتدريبهم والاستفادة المثلى من هذه القدرات والطاقات.

وأما الاحتياجات التأهيلية والتدريبية، فالأصل في تحديدها أن يتم وفق خطة الاحتياجات الكبرى للأمة والشعب والمجتمع، فلا يتم الاهتمام بوظيفته أو مهنة على حساب غيرها من المهن والوظائف، بل لا بد من اعتماد المقاييس والمعايير التي تبين الاحتياج من عدمه.

٢- التأهيل المستمر.

بعد تحديد الاحتياجات من الموارد البشرية والمادية يكون التأهيل والتدريب وفقا لخطط تأهيلية محددة، يسبق إعدادها جملة من الإجراءات، من تحديد المستويات لكل فئة وكل مهنة وصناعة وحرفة ثم تأخذ كل مجموعة الجوانب التدريبية المخصصة لها، مع وضع معايير الاختيار للجوانب التدريبية والأشخاص والمدربين، لأن الأمر ليس إسقاط واجب فقط، وإنما ينبغي أن يكون تأهילה حقيقيا أيضا.

٣- توفير الإمكانيات اللازمة لتحويل الخطط إلى أعمال وممارسات.

حتى لا تصبح تلك الخطط كلاما لا واقع له، وعلى هذا فعلى واضعي الخطط أن يقوموا بتوفير عدد من الإمكانيات وتسهيل عملية التدريب والتأهيل بصورة تضمن الاستمرار والفائدة والثمرة على كل المستويات، ومن الأمور التي يجب مراعاتها:

أ. توفير وسائل التأهيل والتدريس، من مدارس ومعاهد ومراكز تدريب ومؤسسات تأهيل، ودعمها بكافة وسائل الدعم المادي والمعنوي سعيا للانتقال من

الجانب النظري إلى الجانب العملي والمهاري المهني، ليُرى الأثر في واقع الناس على شكل مخرجات تلبي كافة الاحتياجات بأفضل السبل.

ب. توفير الأعمال والوظائف في جميع التخصصات، لكي يتم استيعاب جميع مخرجات التعليم الفني والتدريب المهني من مدارس ومعاهد ومراكز وكليات، على أن تكون هذه الوظائف بأجر مجزي وكاف ومشجع لهذه الكوادر المتخرجة.

ت. الاستمرار في التدريب والتأهيل بعد التوظيف، وذلك كي يتابع المهنيون كل جديد في مهنتهم وتخصصاتهم ويطورون من أدائهم ويعيشون عصرهم، لا عصر إبانهم وأجدادهم. على أن تكون هذه المؤسسات قريبة يسهل الوصول إليها ولها علاقة بالمؤسسات التي يعملون فيها.

ث. القضاء على العوائق أولاً بأول، والعمل على تجاوزها، حتى لا يقع العاملين في إحباط ويأس يقضي على الأمل والإبداع، مع مراعاة توفير كافة الدوافع والحوافز المادية والمعنوية التي تعمل على الدفع في جانب التطوير والارتقاء وتحقيق الكفاءة في كل مجالات الحياة .

ج. القياس المصاحب للأداء، ونعني به التقييم المستمر قبل وبعد التدريب والتأهيل؛ لمعرفة مدى فاعلية البرامج وافتعال الأشخاص بها. ويكون ذلك بإجراء الاختبارات والتقييمات الدورية، التي يكافأ المحسن ويعاقب المسيء وفقها، ولا يخفى ما يلزم لذلك من خطط إدارية وموازنات مالية، ولكن ذلك هو الطريق الوحيد لرفع درجة الكفاءة وتحقيق الجودة والدفع نحو الأفضل،

قال تعالى: ﴿ وَلِكُلِّ دَرَجَةٌ مِّمَّا عَمِلُوا وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَلَهُمْ وَهُمْ لَا يَظْلَمُونَ ﴾ (١٩)

الأحقاف: ١٩.

المبدأ الثاني: التعيين المهني في الأجهزة والمؤسسات.

التشكيل الحكومي في أي دولة لابد أن يشمل كل المهن والصناعات بكافة أنواعها وتخصصاتها، لتلبي بذلك كافة الاحتياجات البشرية من خدمات وسلع، ذلك أن الحكومات إنما تقوم لتلبية طلبات واحتياجات السكان، ولا بد أن تكون هناك أولويات في الميزانيات تراعي الاحتياجات العامة والخاصة، كل بحسبه، ومن هنا فإن بناء الجهاز الحكومي للدولة ينبغي أن يتبع الاحتياجات البشرية بحسب أولوياتها، وتكون درجة الاهتمام بقدر سعة الاحتياجات وضيقها، وحتى لا تقع الحكومات في الفشل الإداري أو الفساد الإداري عليها أن تتبع جملة من الإجراءات المبدئية في بناء الجهاز الحكومي على أساس مهني، ومن تلك الإجراءات:

١. التعيين وفق معايير مهنية، تعتمد على القدرات والخبرات المناسبة.

ويتم هذا الأمر وفق الخطوات التالية:

- توصيف تام ودقيق للمهن والوظائف بحيث يتم التأهل لها وفق معايير واضحة وشفافة.

- اختيار الإنسان المناسب ووضعه في مكان المناسب، ومن أهم الأمور التي يتم الاختيار وفقها: الكفاءة والنزاهة، أو ما يمكن التعبير عنه بتعبير القرآن: الحفظ والعلم، ﴿ قَالَ اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ ۗ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ۝٥٥ ﴾ يوسف: ٥٥.

عبر بالحفظ على الأمانة وعدم التعدي أو الخيانة وبالعلم عن التخصص والخبرة والدراية في المجال الذي طلب العمل به.

. فالأمانة أول هذه الأسس، ثم الكفاءة الناتجة عن التعلم والممارسة (الخبرة).

ومما يدفع إلى هذا المستوى، أمور، منها:

أ - حب العمل واعتباره من القربات إلى الله سبحانه وتعالى.

ب - الضمير الحي الذي لا يجعل للمراقبة البشرية وزنا بجانب ما يجده من المراقبة الذاتية التي قال عنها رسول الله ((والإثم ما حاك في صدرك وكرهت أن يطلع عليه الناس))^(١).

فقد وضع المصطفى في هذا الحديث الجهاز الذاتي للمراقبة وهو (الضمير) والذي يتحرك حال الإثم فيولد الانزعاج وعدم الارتياح والقلق، وهو أهم من مراقبة الناس، ولذلك قدمه على كراهية الاطلاع منهم.

ج - الرقابة والتفتيش، فالضمير الحي لا بد من وجود ما يسنده في الجانب المحسوس، وهو الرقابة من الأعلى على الأدنى، فذلك يعطي المؤسسات درجة من الشفافية في تعاملها بعيدا عن المحسوبية والتمييز.

د - الحوافز والمكافآت، وتحصيل بعض من الوظائف والمهام والرتب الإدارية، بحيث يتم تعليق الترقيات والمكافآت بمدى القدرات والالتزام بالمهام وإجادتها، من غير تعسف.

٢- تفعيل دور اللوائح والأنظمة التي تقوم على أساس مدروس وعادل وغير متحيز، سواء كان ذلك في التوظيف أو في الترقيات أو في المكافآت أو في العقوبات.

(١) جزء من حديث رواه مسلم في صحيحه، كتاب: البر والصلة والآداب، باب: تفسير البر والإثم (١٩٨٠/٤) رقم: ٢٥٥٣ .

المبدأ الثالث: هيكله المرافق الحكومية على أساس مهني.

يتكون الهيكل الحكومي من مجلس الوزراء الذي يديره رئيس الحكومة وينوبه نائب أو نائبان بحسب الحاجة وعلى رأس كل وزارة من الوزارات وزيراً للحكومة على مستوى البلد ويكون مقر رئاسة الوزراء وبقية الوزارات في عاصمة البلد ولا بد من مكاتب لكل وزارة في كل محافظة ومديرية وهكذا.

وهذه الوزارات أقسام:

القسم الأول: الوزارات السيادية: وتختلف هذه الوزارات من دولة لأخرى ففي حين تكون وزارة في بلد معين من الوزارات السيادية لا ينسحب هذا التقسيم على دولة أخرى، وقد يجمع الجميع على أن وزارة الدفاع والخارجية والداخلية والمالية من الوزارات السيادية.

القسم الثاني: الوزارات التعليمية: وهي مجموعة من الوزارات التي تعنى بالتعليم بأنواعه العام والمهني والفني والأولي والمتوسط والعالي. والوزارات التابعة لهذا المجال هي:

. وزارة التربية والتعليم.

. وزارة التعليم الفني والمهني.

. وزارة التعليم العالي.

القسم الثالث: الوزارات الخدمية: وهي مجموعة من الوزارات تعنى بإيجاد ومتابعة الخدمات التي تنفع السكان بصورة مباشرة، والتي توفر لهم الخدمات والسلع في المجالات المختلفة، وهذه الوزارات هي:

. وزارة الصحة السكان .

- . وزارة الزراعة والري.
- . وزارة الصناعة والتجارة.
- . وزارة النقل البري والبحري والجوي.
- . وزارة النفط المعادن.
- . وزارة الأوقاف والإرشاد وخدمات الحج.
- . وزارة العدل.
- . وزارة الإعلام.
- . وزارة الشباب والرياضة.
- . وزارة الأشغال.
- . وزارة الكهرباء.
- . وزارة الاتصالات.
- القسم الرابع: وزارات ذات وظائف محددة:
- . وزارة الخدمة المدنية.
- . وزارة الشؤون الاجتماعية والعمل.
- . وزارة الإدارة المحلية...
- . وزارة الشؤون القانونية.
- . وزارة حقوق الإنسان.

هيكلة الوزارات

تتكون كل وزارة من هذه الوزارات من:

. الوزير، ويرأس الوزارة.

. نائب الوزير، وينوب الوزير عند غيابه أو يوقع عنه فيما يعطيه من مساحة.

. وكلاء الوزير، وغالبا وما تقسم الوزارة إلى قطاعات على رأس كل قطاع من هذه القطاعات وكيلاً للوزير.

. مدراء العموم، وفي كل قطاع لابد من مجموعة من مدراء العموم على حسب الاختصاصات والمهام قلة وكثرة .

. ولكن لابد في كل قطاع من:

. المدير المالي والإداري.

. مدير عام القطاع .

. مدراء الإدارات: ويتبع كل إدارة إدارات معينة، على كل إدارة مديراً لها.

. مدراء الأقسام: وكل إدارة فيه مجموعة من الأقسام يرأس كل قسم مديراً خاصاً.

. المختصين: هم الذين يديرونهم مدراء الأقسام (غالبا هم المهنيون).

. الفراشين والمراسلين والسواقين: من يقومون بنظافة المكان وتوصيل المعاملات بين المكاتب والإدارات.

المميزات والمآخذ على هذا التقسيم

أ- المميزات:

١. تسهيل الإجراءات الإدارية وبساطة الإشراف على الأقسام والوحدات التابعة.
٢. توصيف المهام والأعمال وتجميعها في إدارات وأقسام متخصصة.
٣. هذا التقسيم يستوعب أكبر عدد من الموظفين والعمال والمهنيين ويقضي جزئياً على البطالة لوقت محدود.

ب - المآخذ:

ورغم المميزات المذكورة إلا أن عليه مآخذ عدة، ومن ذلك:

١. أن هذا التقسيم والهيكل مضخم إلى حد يُحمّل الدولة أعباءً كثيرة ومصاريف باهظة إذا قيست بالمرود والنتائج التي يحققها للفرد والمجتمع والأمة.
٢. أن هذا الهيكل يستوعب الكفاءات العالية والخبرات المتخصصة في رأس هذا الهيكل فقط، وهي أعمال إدارية بحتة وتحرم المواقع الإنتاجية منهم، ونجد أن هذا الطاقم الكبير يدير هذه المؤسسات والوزارات الكبيرة والتي يقع في الأخير عبئ الإنتاج فيها على الموظف الصغير (الفني والمهني) والذي لا يصرف له إلا نسبة بسيطة جداً من الرواتب والمستحقات.

وعند التمثيل بوزارة من الوزارات كالشباب والرياضة مثلاً يعرف الفرق واليون الشاسع بين المصروفات الإدارية وبين ما يصل إلى أي لا عب من اللاعبين في أي لعبة.

ومن هنا كان لا بد من إعادة هيكلة الوزارات في الدولة على أساس مهني، تراعى فيه المعايير المهنية في توظيف المهارات والخبرات والكفاءات وتوزيع الإدارات

والمناصب، وتوزيع الرواتب والمكافآت بصورة متوازنة لا تضيق على المهنيين والوظائف الدنيا، ولا تتضخم في الوظائف العليا.

ويكون الاهتمام الأكبر فيها على الجوانب الأساسية في توفير حاجات الناس ومتطلباتهم، بحيث تزداد الوظائف الخدمية والعملية، ووظائف المتابعة والرقابة، ويخفف من الوظائف الإدارية العليا؛ فالحاجة اليوم إلى الخدمات والسلع والأعمال المباشرة أكثر من غيرها، مع مراعاة جوانب التحديث والتطوير المستمر، ومواكبة مستجدات العصر.

الفرع الثاني: دور المهن في تحقيق بعض الوظائف الاقتصادية للدولة

للدولة وظائف كثيرة تجاه المجتمع، وهي تتنوع إلى وظائف اقتصادية ووظائف ثقافية وتعليمية ووظائف خدمية وغيرها، وهذه الوظائف والأعمال لا تقوم بها الدولة إلا بواسطة أبناء المجتمع وأفراده، وهم الذين يؤديون هذه المهام والوظائف خدمة لأنفسهم وللمجتمع، ولكن الدولة تتظمها وتشرف على تنفيذها وتوجيهها.

وأهم هذه الوظائف هي الوظائف الاقتصادية التي تظهر مدى تقدم المجتمع، ولذلك فعند قياس التطور الاقتصادي في أي مجتمع ينظر إلى عدة معايير لقياس ذلك، على مستوى الفرد والمجتمع، ومن تلك المعايير: متوسط دخل الفرد، وتوفر الخدمات العامة، مثل: الكهرباء والماء والخدمات الصحية والطرق.. والمعايير الاقتصادية: كمقدار التضخم ومستوى الإنتاج ومستويات البطالة وكثرة الموارد وتنوعها والاستقلال الاقتصادي.. وهذه الخدمات والمعايير لا تتوفر إلا بالمهن والحرف، وبالتالي توفر المهن والحرف بصورة مناسبة وملائمة يجعل الوظائف أكثر فاعلية وإثمارا. وسنعرض لجانب من هذه الوظائف لمعرفة كيف تساعد المهن والحرف في تحقيقها:

١- تحقيق الاستقلال الاقتصادي. وهو يعني أن يعتمد المجتمع على نفسه في كل الجوانب الاقتصادية، من حيث الموارد والإنتاج الكافي، وتوفير كافة أو أغلب وأهم المستلزمات الحياتية من إنتاج محلي وبخبرات محلية وموارد محلية أو يكون الحصول عليها سهلا وميسورا.

وهذا يعني أن المجتمع لديه ما يكفي من الخبرات والكفاءات للقيام بتلك المهام وتلك الواجبات التي تؤدي إلى الاستقلال في هذا الجانب؛ وخاصة الجانب الغذائي؛ إذ لا

شك أن من لا يملك قوته لا يملك قراره، والاستقلال الاقتصادي سبيل الاستقلال السياسي والاجتماعي^(١).

٢- تحقيق العدالة الاجتماعية والاقتصادية. وهذا معناه إيجاد الفرص الكافية، وتوفير الموارد التي تستوعب كافة الاحتياجات المجتمعية، وحماية الملكية الفردية والجماعية وتنظيمها، بحيث لا يتضرر البعض ويقع بسببها في العنت والحر^(٢)! ومن خلال المهن والحرف نستطيع تحقيق العدالة الاقتصادية، كما يتضح ذلك من خلال ما يلي:

أ- توزيع الثروة:

فإنه تعالى خلق الإنسان بقدرات ومهارات ذهنية ومهارية مختلفة تقوم على العلم والخبرة، كما قال تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَلْبُ مَنْ أَعَانَ الْإِنْسَانَ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٩﴾ الزمر: ٩، وبهذا يتعاون الناس في إنتاجهم قلة وكثرة جودة ورياءة، وقد سلكت الشريعة السلوك العادل في توزيع الثروة، ومن المؤشرات الدالة على ذلك:

١. أن الشريعة الإسلامية مع احترامها للملكية الفردية للعقار إلا أنها جعلت لهذا الاحترام حداً يقتضي أن يتبع المالك لهذا العقار أو الأرض خطة انتاجية وإذا توقف عن الإنتاج مدة من الزمن حكمت عليه بأخذها، نظراً لأنها لا تناسب قدراته ومهاراته على استخدامها الاستخدام المنتج.

(١) انظر: بناء المجتمع الإسلامي ص: ٢٦١.

(٢) انظر: المرجع السابق ص ٢٤٥.

ومن ذلك: أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أباح أخذ الأرض إذا عطلها أصحابها ثلاث سنوات وقال: "من كان له أرض فعطلها ثلاث سنين ف جاء قوم فعمروها فهم أحق بها"^(١) .

ولم يوافق رضي الله عنه على إعطاء الصديق طلحة بن عبيد الله أرضاً وكان قد كتب له كتاباً بذلك، فلما جاء إلى عمر ليختمه رفض ذلك، لأنه اختصه بها من دون الناس^(٢). وقد تكررت هذه المواقف، وهذا معناه توزيع الثروات بعدالة على الناس، وبحسب مصلحة الأمة.

٢. ما يحصل عليه العامل من أجر مقابل عمله لا بد أن يكون مُجْزٍ، ولا مانع من أن يصل في بعض الأحوال إلى نسبة كبيرة من الأرباح، كما في شركة المضاربة، وبقدر حاجة رب المال إلى عمل العامل ومهارته يكون العطاء، وبهذا يحصل العامل على الجزء الكبير من الربح والفائدة، ومعلوم حاجة أرباب المال إلى العمال وأصحاب المهن، كما قال تعالى:

﴿ أَهْمٌ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحِمْتُ رِبَّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴾

الزخرف: ٣٢ .

(١) المغني لابن قدامة، أبو محمد موفق الدين ابن قدامة المقدسي، مكتبة القاهرة، بدون طبعة (٥ / ٤٢٠).
(٢) الأموال، أبو عبيد القاسم بن سلام، تحقيق: خليل محمد هراس، دار الفكر - بيروت. ص: ٣٥١. وانظر مثله مع عبيدة بن حصن فقد تكرر معه نفس الموقف من عمر. نفس المرجع ص ٣٥٢. وقد أخذ عمر بن الخطاب من بلال بن الحارث ما عجز عن عمارته من أرضه ووزعه بين المسلمين. انظر: موسوعة فقه عمر بن الخطاب، مادة: إحياء الموات، ص: ٤. أقطعه النبي صلى الله عليه وسلم بلال بن الحارث المزني المعادن القبلية من مناطق المدينة المنورة. انظر: انظر: معجم الصحابة، أبو القاسم عبد الله بن محمد البغدادي، تحقيق: محمد الأمين بن محمد الجكني، مكتبة دار البيان - الكويت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م (١/ ٢٧٨).

فمثل هذه المواقف والنظر تتوزع الثروة بين أبناء الأمة بصورة عادلة، فصاحب المال يستخدم المهنيين والحرفيين وهم يحصلون على العائد المادي وبالتالي تتحقق مكانتهم في المجتمع مادياً ومعنوياً، وسبب هذا التوزيع وجود الحرف والمهن مع الاحتياج إليها.

ب - تحقيق الإنتاج الأوفر:

ونعني بالإنتاج إيجاد سلعة أو خدمة معينة، باستخدام مزيج من عناصر الإنتاج ضمن إطار زمني محدد^(١).

وقد حث الإسلام على العمل، كما أسلفنا القول في أكثر من موضع من البحث، وذلك يؤدي إلى زيادة الإنتاج وبالتالي الإسهام في حل المشكلة الاقتصادية بصورة عامة.

والغاية من الإنتاج في نظر الاقتصاد الإسلامي إضافة إلى تحقيق الاستقلال والكفاية العامة، أن تتحقق منافع وأرباح على المستوى الفردي، وأن تتحقق السعة في العيش على المستوى الفردي والجماعي.

وبهذا يهدف الاقتصاد الإسلامي إلى غرس السعادة في قلوب الناس بتأمين احتياجاتهم الضرورية وانتشالهم من بؤرة الحرمان بزيادة عدد العاملين في مجتمعات كثرت فيها البطالة.

ولكن الإنتاج في الاقتصاد الإسلامي مرتبط بالتوزيع ارتباطاً وثيقاً، فلا يمكن أن يكون الإنتاج عشوائياً من غير دراسة ولا منفعة واضحة، وكذلك لا يمكن إنتاج الأشياء الضارة مهما كان وضعها في الميزان الاقتصادي المادي، فالإسلام وضع

(١) مدخل للفكر الاقتصادي في الإسلام، ط/ مؤسسة الرسالة، ص: ٧٧، بتصرف.

قواعد وضوابط لكل ذلك، فما حرم توزيعه حرم إنتاجه كبيع الخمر والأصنام وغيرها، وفي القواعد الفقهية: "ما حرم فعله حرم بيعه". "وما حرم فعله حرم طلبه"^(١). الفعل المحرم ينتج أشياء تحرم بحرمة، وبالتالي يحرم طلبها والبحث حتى لا يكون طلبها مدعاة لإنتاجها، فهاتان قاعدتان أساسيتان في العرض والطلب، والعرض والطلب هما أساس من أسس الاقتصاد، واعتمادهما على الإنتاج.

وقد حدد الباحثون في الاقتصاد الإسلامي عناصر الإنتاج بأربعة عناصر، هي: (الموارد الطبيعية، رأس المال، العمل، التنظيم لتلك الموارد الثلاث).

وفي كل تلك الجوانب الأربعة نرى أن وجود المهني المتخصص لازم لها جميعا. فالموارد الطبيعية ورأس المال يحتاجان إلى أصحاب المهارات والقدرات المهنية في استكشافها واستخراجها وتوجيهها والعمل على استثمارها وتصنيعها.

وعلاقة الموارد الطبيعية بالمشكلة الاقتصادية تتمثل في مدى الاستفادة مما في الأرض من خيرات، وتحريك بقية عناصر الإنتاج لاستغلال هذه الموارد بأسلوب اقتصادي سليم يحقق النفع العام، وإهمال الموارد الطبيعية وعدم استغلالها يؤدي إلى تعطل بقية عناصر الإنتاج، كما أن أسلوب الاستغلال للموارد الطبيعية وعدم مراعاة التوازن عند الاستغلال يؤدي إلى استنزاف الموارد أو إهدارها. ويقر الإسلام لرأس المال بأحقية الحصول على جزء من الناتج القومي باعتبار أن رأس المال عنصرا من عناصر الإنتاج، وبالتالي فإن لرأس المال حق في الحصول على جزء من الناتج

(١) القواعد الفقهية وتطبيقاتها في المذاهب الأربعة، . محمد مصطفى الزحيلي، دار الفكر - دمشق، الطبعة: الأولى، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م (١ / ٤٠١) و (١ / ٦٣٦).

على شكل ربح أو ما شابه، بشرط أن لا يقوم ذلك على الاستغلال في أي صورة من الصور^(١).

كما راعى الإسلام أهمية عنصر العمل باعتباره عاملاً منتجاً أو مستهلكاً في الدورة الاقتصادية، فوضع قواعد وأسس ينبغي الاسترشاد بها عند تحديد مقدار الأجر الذي يعطى للعامل، وقد ارتكزت هذه الأسس على قاعدة ضرورة كفاية الأجر في توفير الضروريات الأساسية لحاجات الفرد بحيث لا يقل الحد الأدنى للأجر عن توفير هذه الضروريات، وبالتالي فإن هذا الحد يتغير بتغير الظروف، وقد ذكرنا ذلك فيما مضى^(٢).

والمقصود بالعمل هنا: كل مجهود بدني أو ذهني مقصود ومنظم يبذله الإنسان لإيجاد زيادة مادية أو منفعة ذاتية أو متعدية، وعنصر العمل أدواتهم المهنيون والفنيون وأصحاب الصنائع وسواء كانت الصنائع استخراجية أو تحويلية أو أعمال وخدمات.

وقد ربط الإسلام حلية الربح بشرط العمل أي أن يكون هذا الربح وهذه الزيادة في المال ناتجة عن عمل مهني معين وبذلك تكون علة الربا في نظري هي تحقق الزيادة في المال (الربح) بدون عمل لأن النقد لا يخلق النقد كما يقول الفقهاء لأن في ذلك ظلم بأخذ أحد الطرفين زيادة بدون عمل وبحق المجتمع الذي يحرم كثير من أبناء المهنيين أجوراً ومكافآت إذا تم استثمار المال كما أمر الله سبحانه ويقدر ما يحقق هذا العمل من ربح أو منفعة تكون قيمته وأهميته في المجتمع.

(١) انظر: مجلة البيان. من مقال بعنوان: المشكلة الاقتصادية وعلاجها ٤. العدد: ٨٠ ص ٢٤.

(٢) انظر: مجلة البيان، من مقال: المشكلة الاقتصادية وعلاجها ٦. العدد: ٨٣ ص ٢٩.

وأمر التنظيم لعناصر الإنتاج يعتمد في قيامه اعتمادا أساسيا على العمل والعمال ولذلك فهو جزء من العمل لا ينفك عنه في جميع صورته ووجوهه.

وبهذا ندرك أن الكفاية في الأعمال والعمال والمهن أمر مطلوب ومهم، وحيث إن الإنتاج متنوع فإنه يحتاج إلى جميع التخصصات المهنية، ويستمر وجوب ملاءمة جميع الفراغات المهنية حتى يتم تحقيق هذه الكفاية في جميع مناحي الحياة، بما يحقق الرفاه والعدالة الاجتماعية والاقتصادية وفق قاعدة المشاركة الفعلية في عملية الإنتاج والتوزيع، بين جميع مكونات المجتمع والأمة.

٣- القضاء على المشاكل الاقتصادية أو تقليلها. فكما أن للاعتراف دور في تحقيق العدالة الاجتماعية والتنمية الاقتصادية من خلال دور الحرفيين والمهنيين وأهل الصنائع، حيث إنهم من صلب العميلة الاقتصادية. فإن للاعتراف أيضا الدور الأبرز في حل المشكلات الاقتصادية، فهو يخفف منها ويقلل من آثارها على المجتمع والحياة، ومن هذه المشكلات ثلاث مشكلات أساسية تؤثر في العملية الاقتصادية، هي: البطالة والندرة والتضخم، وسوف نبين دور الحرف والمهن في حلها من خلال السطور التالية:

أولاً: البطالة:

البطالة مأخوذة من إبطال الشيء أي إهداره وعدم الاستفادة منه^(١)، ومن هنا فإن البطالة بالمعنى الاقتصادي تعني: وجود عمالة بدون عمل، أو عمالة بدون إنتاج، لعدم وجود استفادة من الطاقات الموجودة في هذه العمالة.

والواقع أن هناك طاقات متعددة هائلة في شتى المجالات، لكنها غير مستثمرة ولا موظفة التوظيف المناسب، ولذلك يقال: إن ٢٠% من الطاقات فقط هي التي

(١) انظر: المعجم الوسيط (٦١/١) مادة: بطل.

تتجز ٨٠% من الإنجازات، وهذا يعني: أن نسبة كبيرة جداً من الطاقات الموجودة
تعد طاقات معطلة غلبت عليها البطالة.

ويمكن تقسيم هذه الطاقات المعطلة إلى أربعة أقسام:

الأول: طاقات عاملة أقل من طاقاتها الإبداعية.

الثاني: طاقات عاملة، لكنها لم تدرّب ولم تصقل قدراتها، فتوقفت عند حد معين.

الثالث: طاقات مستهلكة في الأعمال المفضولة.

الرابع: طاقات مهملة، بدون رعاية أو استثمار، أصابها الوهن، وتردّت وتآكلت^(١).

وتعطيل هذه الطاقات له أسباب، من أهمها:

أ. عدم وجود فرص كافية للعمل.

ب. عدم القدرة على ممارسة العمل، لسبب العجز المهني أو العجز الخُلقي.

ب. الكسل والخمول الذي قد يصيب بعض الناس نتيجة الثقافة الدينية المغلوطة عن
العمل والإنتاج .

وإذا نظرنا إلى هذه الأسباب نجدها تعود إلى جهتين:

الأولى: الحكومات والمؤسسات.

الثانية: الإنسان العاطل نفسه.

(١) انظر: مجلة البيان، العدد: ١٧٥ ص ٤. موضوع المشكلة الاقتصادية وعلاجها.

وفي كلا الحالتين نستطيع أن نجد حلولاً تخرج الناس من حالة البطالة، من خلال الاحتراف والامتهان، وذلك بوضع خطط تنموية تعمل على إيجاد حلول جذرية للمشكلة، ومن موجّهات تلك الخطة، الأمور التالية:

١. توزيع العمالة على المجالات المختلفة، بحسب ضوابط معينة، مثل الرغبة والقدرة.

٢. الحث على العمل وتشجيعه وعمل الحوافز اللازمة لذلك.

٣. القيام بإجراء التدريب والتأهيل الذي يوصل إلى الاحتراف والتميز والكفاءة الحرفية، ثم توزيع هذه العمالة المؤهلة على سوق العمل سواء كان هذا السوق داخلياً أم خارجياً.

٤. إطلاق الطاقات الاستثمارية وتشجيع النشاط الاقتصادي المنتج، فالناس ينطلقون عندما تلبى رغبة التملك والربح.

وهنا نقول: إن الله فطر الإنسان على حب التملك فلا يصح إغفال هذا الجانب في الخطط الاقتصادية؛ حتى ينطلق الناس ويبدعوا في الأعمال، والإسلام نظر لهذا الأمر بصورة واضحة لا لبس فيها، فنجد - مثلاً - يدعو إلى إحياء الأرض الموات، ويبيّن أن من أحيا أرضاً مواتاً تصبح ملكاً له، فقد قال صلى الله عليه وسلم: ((من أحيا أرضاً ميتة، فهي له))^(١). ولم تكن الدولة الإسلامية بذلك بل اعتمدت أسلوب إقطاع الأراضي العامة لمن يقدر على زراعتها واستثمارها، كما أسلفنا القول، كما ينطبق نفس الشيء على العمل الصناعي والتجاري حيث يشجع الإسلام على بذل الجهد في هذه الميادين أيضاً ويضمن الربح والملكية، وهذا

(١) الحديث صححه الترمذي من حديث وهب بن كيسان، عن جابر، انظر: تنقيح التحقيق في أحاديث التعليق للذهبي، تحقيق: مصطفى أبو الغيط عبد الحي عجيب، : دار الوطن - الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م (٢ / ١٣٩) .

الأسلوب يؤدي إلى زيادة الدخل القومي بما ينعكس على أعضاء المجتمع رخاء وسعة عيش، كما يقلل من البطالة ويشجع على العمل والسعي^(١).

٥. إيجاد فرص عمل بصورة مواكبة للزيادات السكانية، وذلك أمر طبيعي، فلا يمكن أن يزيد عدد السكان وتبقى خدماتهم على ما هي عليه، ولكن ذلك يحتاج إلى تخطيط دقيق ومتابعة مستمرة وتصنيف للمهارات والقدرات وتوظيفها، بحيث لا يبقى عاطل، كل بما يجيده من مهارات وقدرات.

وأخير يصعب تصور وجود مهني مجيد للمهنة متابع للأسباب يمتلك القيم المهنية والشرعية والمواصفات والقدرات والمهارات، مثل هذا يصعب أن يبقى دون عمل، وذلك لأن سوق العمل محتاج لمثل هؤلاء، إلا في ظل فساد في البلاد والعباد.

ثانياً: ندرة الموارد:

وهذه المشكلة من المشاكل الاقتصادية الكبيرة التي يتحدث عنها العالم اليوم، والمراد بها قلة^(٢) الموارد الطبيعية ومحدوديتها، بالنسبة لعدد السكان وزيادتهم.

ومن وجهة نظري أن هذه المشكلة غير حقيقية فما أوجده الله سبحانه وتعالى في هذه الأرض يكفي الإنسانية جمعاء إلى يوم القيامة ولم نجد في أيِّ من مصادر الشريعة الإسلامية ما يدل على غير ذلك، وقد قال الله سبحانه وتعالى ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾﴾ الأعراف: ٩٦، فبين القرآن أن هناك مغاليق على كثير من النعم والبركات ولا تفك هذه المغاليق إلا بمفاتيح الإيمان والتقوى، والذي من أهم أسباب تحصيلها العمل الصالح في الدنيا والآخرة، والقيام بالواجبات الكفائية في ذلك. بل

(١) انظر: بناء المجتمع الإسلامي ص: ١٩٧. باختصار وتصرف.

(٢) انظر: المعجم الوسيط (٩١١/٢) مادة: ندر. ومعجم لغة الفقهاء ص ٤٧٧.

ربط القرآن الكريم زرق الناس بالله سبحانه بقوله: ﴿ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴾ (٢٢) الذاريات: ٢٢، فإذا ضاقت الأرض على الناس فالسمااء هي مصدر الرزق ومخزنه، ولا يخفى ما في الآية من إيماءات توحى بأن الرزق محفوظ ولا يصل إليه أحد من الناس ليمنعه عن غيره، فقدرتهم في الصعود إلى أماكنه ومخازنه في السماء غير ممكنة، فهي مختصة بالله وحده.

وأرض الله مليئة بالأرزاق وما ينقصها سوى التخصصات الاستكشافية لما فيها من خيرات وبركات ومعادن، وأما ما يشاع من أمر الندرة فيرده ما يتم استكشافه يوما بعد يوم من المعادن والبتروال والغاز وغيرها، في البلدان التي سبق أن قيل أنها لا توجد بها مثل هذه المعادن، والقصور يكمن في قدرة الإنسان في الوصول إلى هذه الخيرات ومعرفة أماكنها وسبل استخراجها والاستفادة منها. وفي الحديث: ((اطلبوا الرزق في خبايا الأرض))^(١).

وإذا نظرنا إلى سبب الندرة الاقتصادية نجد أن سبب ذلك يعود إلى:

- عدم استغلال جميع الموارد الطبيعية من قبل المجتمع.
- عدم بذل الجهد الكافي للحصول على الموارد والاستفادة منها.
- قلة الإمكانيات التي تعود إلى ضعف التدريب والتأهيل، وقلة الآلات المساعدة.
- ضعف التخطيط للاستفادة من الموارد المتاحة.

لهذا فإن معالجة واقع الندرة للموارد الطبيعية يأتي من كيفية استغلال هذه الموارد وبذل الجهد لاكتشافها، واستصلاح الأرض والعمل على استغلالها وخلق الحافز

(١) الحديث رواه أبو يعلى والطبراني والبيهقي بسند ضعيف عن عائشة. انظر: كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، إسماعيل بن محمد العجلوني، مكتبة القدسي، لصاحبها حسام الدين القدسي - القاهرة، ط: ١٣٥١ هـ ص ١٣٨ رقم: ٣٩٦، وفي رواية: التمسوا، بدل: اطلبوا.

للإنسان لتحقيق ذلك، ودفع عوامل الإنتاج في التفاعل وتوفير المناخ المساعد على استغلال المتاح من الموارد الطبيعية، وإصلاح التشريعات التي تعيق الحافز على العمل، وتنويع مصادر الدخل والكسب، وتأهيل القدرات واستغلال الموجود منها. وبهذا يمكن التغلب على مشكلة الندرة في الموارد الطبيعية، فالندرة نسبية وليست مطلقة، أي أنها تحدث إذا عطل الإنسان ملكاته وقدراته ولم يعمل على استغلال طاقاته الذهنية والجسدية^(١).

ثالثاً: التضخم :

(التضخم)(في الاقتصاد) زيادة النقود أو وسائل الدفع الأخرى على حاجة المعاملات^(٢).

فقد تكثر النقود في أيدي الناس مع قلة السلع المعروضة في الأسواق، فيرتبك الاقتصاد، وقد تكثر السلع المعروضة في الأسواق مع قلة النقود في أيدي الناس فتبور السلع، فالحالة الأولى تضخم والثانية كساد، ويعتبر الاقتصاديون كلا هاتين الحالتين الاقتصاديتين غير صحيحتين^(٣). ففي الحالة الأولى تفقد العملة قدرتها الشرائية، وفي الثانية تفقد السلعة قدرتها التنافسية.

ومن مضار التضخم:

- عدم وفاء الأجور التي يتعاطاها العمال والمهنيون بحاجاتهم الأساسية بسبب نقص القيمة الشرائية للنقود التي يأخذونها كأجور مستحقة مقابل ما يعملون وينتجون، وذلك يتسبب في انسحاب كثير من المهنيين والحرفيين من سوق العمل وخاصة أصحاب

(١) انظر: مجلة البيان، العدد ٨٧ ص ٢٨، من مقال: المشكلة الاقتصادية وعلاجها ٢. باختصار وتصرف.

(٢) المعجم الوسيط (١ / ٥٣٦) مادة: ضخم.

(٣) مجلة البيان ١٤٨ ص ٨، من مقال بعنوان: حقيقة شركات التأمين.

- الإبداعات والابتكارات ويحرم الناس خير هذه المهارات والقدرات، وربما استوردوا بدلاً عنهم عمالات خارجية (كما هو حاصل في دول الخليج) ويتم استيرادها مع ما تحمل من قيم مغايرة لقيم البلد وأبنائه ولا يخفى عواقب هذه الخطوات ونتائجها الوخيمة.
- فقدان العملة لقيمتها يغيب الاستثمار وبالتالي تخف الأعمال وتحصل البطالة.
- قلة الاستثمارات وغياب التطور والتقدم في البلد مما يسبب ركوداً اقتصادياً.
- تفشي كثير من صور الفساد الاجتماعية والخُلقية.
- التخلف الذي يصيب الأمة، ولا يمكن التعافي منه إلا بجهد كبير ومضاعف إذا توفرت النيات.

أسباب التضخم:

ومن أسباب التضخم الاقتصادي:

- غياب السياسة الاقتصادية الرشيدة للدولة.
- الفساد في كافة مرافقها وكذا المحسوبة والمجاملات، وغياب العدل والمساواة.
- نظام الفائدة الربوية.
- ويمكن علاج مسألة التضخم، من خلال خطة تتضمن النقاط التالية:
- وضع سياسة اقتصادية عامة شاملة وواضحة.
- إلغاء الفوائد الربوية.
- توزيع عناصر إنتاج الدخل القومي وفق حصص متكافئة، وذلك على جهتين:
- ١- التوزيع الشخصي، أي توزيع ملكية عناصر الإنتاج على أفراد المجتمع.

٢- التوزيع الوظيفي، ويقصد به تحديد أنصبة عناصر الإنتاج في الدخل القومي على أساس الوظيفة التي أداها كل عنصر في تحقيق هذا الدخل^(١).

- الموازنة بين العرض والطلب، وذلك بسحب الأموال من أيدي الناس بصور التأمينات وغيرها، وزيادة مخصصات الفئات الاجتماعية التي لا تملك مخصصات مالية بسبب التعطل أو عدم القدرة^(٢).

- تنمية الثروات بالوسائل المشروعة، وهي التي تراعي القيم وتلتزم الضوابط الشرعية، ومنها:

أ. العمل والكسب البعيد عن الاستغلال أو إضرار الغير.

ب. لا يصح توظيف الثروة الخاصة في خدمة تحقيق مصالح أناس على حساب الآخرين بأي شكل من الأشكال كالرشوة أو الاحتكار.

ج. أداء حق الله في الثروة من خلال إخراج فرض الزكاة والتي فرضت لتحقيق أهدافا منها ردم الفجوة النفسية بين التاجر (البائع) والمستهلك والتي تسببت فيها الثقافة التي تجعل التاجر فاجرا في جميع أحواله ، وعند ما يعرف أصحاب الحي والبلدة أن لهم في مال الغني والتاجر ما نسبته (٢,٥ %) تخف هذه الفجوة كثيرا إضافة إلى واجبات التكافل الأخرى.

د- تطبيق نظام الميراث الإسلامي الذي يضمن عدم تركز الثروة، وتوزيعها على المستحقين بشكل عادل^(٣).

(١) انظر: مجلة البيان العدد ٧٩ ص ٣٤، من مقال بعنوان: المشكلة الاقتصادية وعلاجها ٣. باختصار.

(٢) انظر: مجلة البيان العدد ١٤٨ ص ٨، من مقال بعنوان: حقيقة شركات التأمين.

(٣) انظر: بناء المجتمع الإسلامي ص: ١٩٧.

هذه بعض ضوابط تكوين الثروة في الإسلام، وهي تسهم في علاج ظاهرة التضخم والبطالة والندرة كذلك.

فإذا استطاع شخص أن ينمي ثروته المشروعة وأن يوفي حقوق الله فيها فلا مانع من ذلك، وذلك من تمام القيام بدور الاستخلاف الذي منحه الله له في هذه الأرض، ولكن تبقى القيم والأخلاق هي أهم ما يميز هذا الخليفة عن غيره من المخلوقات؛ إذ هو مخلوق مكرم مسؤول ينبغي أن يقوم بمهمته وفق قانون إلهي يحترم الإنسانية ويعلي شأنها، فالإنسان مطالب بأن يتفاعل مع الحياة ويصنع أشياء تمكنه من أداء مهمته في الخلافة، ولكن لا يمكن له النجاح إلا بالقيم الإلهية الشاملة التي تراعي كل متطلبات الإنسان وإمكاناته، كما تراعي طبائعه وصفاته.

الختامة

الخاتمة

وفيها أهم النتائج والتوصيات والمقترحات.

أولاً: النتائج: وقد قمت بتقسيمها إلى محاور، كما يلي:

المحور الاول: نتائج عامة.

وقد خرجت في هذا المحور بالنتائج التالية:

- العمل المهني هو وسيلة تحقيق التقدم والرقي والتحضر والازدهار، ويبنى عليه أن كل خدمة أو سلعة لا بد لإيجادها من مهني وحرفي، وبقدر كفاءته وتميزه تتميز السلعة أو الخدمة التي ينتجها وتأخذ مكانها في السوق ولدى العملاء والمستهلكين، وبالتالي تتولد السيطرة والقوة، ولذا فإن الصراع والتنافس العالمي اليوم أساسه تنافس مهني، والمتقدم مهنيا هو المتقدم في السيادة والقوة، ولا يختلف اثنان بأن الفارق الحضاري المادي بين الأمم اليوم سببه الفارق المهني.

- البشر متساوون في القدرات التسخيرية الخلقية، وذلك أن الله خلق إمكانات في الكون والإنسان يمكن لأي واحد أن يستفيد منها إذا سار على الطريق السوي الذي يمكن من ذلك، كما أنه خلق دوافع وغرائز محفزة في جميع البشر، وهذا يفسر ما عليه الدول المتقدمة اليوم من تطور وتسخير لإمكانات الكون، حيث إن التطور المادي لا يتوقف على إيمان وكفر، ولكن على مدى استعمال السنن المناسبة والأخذ بها.

- المهمة التي وجد الإنسان من أجلها هي: مهمة الاستخلاف في الأرض بكل ما تعني الكلمة من معاني التكريم والقيادة والإدارة والسيادة والحكم، ليتحقق مراد الله ويحكم شرع الله بما يحمل من نفع قطعي للبشرية.

- خلق الله الخلق في إطار هدف تحقيق مهمة الإنسان المذكورة (الاستخلاف) و لكن لا يتم الاستخلاف على وجهه الصحيح إلا بإعمال جانب الخلق (القدرات والإمكانات المخلوقة) وجانب الأمر (النص الشرعي الثابت) بشكل كامل وصحيح ومتوازن، وأي خلل في تحقيق هذا التوازن يحدث خلافاً في الأمة بقدر الخلل في هذا التوازن.

- تحقق وظيفة الإنسان ومهمته في الأرض تأتي عليها الاحتمالات التالية:

الاحتمال الأول: إعمال معطيات الخلق وفقاً للأمر: وفي هذه الحالة تتحقق المهمة والوظيفة في أعلى صورها، كما تحقق أعلى درجات الرفاهية، وهي المرتبة العليا للمقاصد الشرعية، وتجعل ما تحقق من مقاصد قطعي المصلحة ومأمون العواقب، مع الحفاظ على القيم الأساسية اللازمة والمتمثلة - في نظري - في قيمتين هما: العدل والإحسان.

الاحتمال الثاني: إعمال بعض معطيات الخلق وفق الأمر، إعمالاً جزئياً، وهذا قد يحقق جزءاً من المهمة، ولكن ذلك يتسبب في آثار سلبية، كثيرة، ومنها:

- تعرض الإنسان للهلاك الكلي أو الجزئي يكون له احتمال كبير، بحسب معطيات الإعمال والإهمال.

- التعرض لسخط الله تعالى بسبب التقريط في أداء المهمة الأساسية المرادة من خلق الإنسان.

- التبعية للغير في الجوانب التي لم يُعمل فيها الإنسان معطيات الخلق وفق الأمر، لأن ذلك سنة كونية ثابتة.

الاحتمال الثالث: عدم إعمال معطيات جانب الخلق وفق معطيات الأمر، أو إعمال معطيات الخلق بعيدا عن الأمر، وهذا قد يحقق جزءا من المهمة أو جانبا منها - كذلك - ولكن له آثار سيئة كثيرة قد تؤدي إلى تحطيم البشرية كلها، ومن تلك الآثار:

- تسلط مجموعة من البشر على المجموعات الأخرى، والتحكم فيهم وتصدير أخلاق وقيم المتحكم إلى من هم دونه وفرضها فرضا.

- تسودُ المادية المفرطة، كما هي اليوم في صورتها الواقعية المتمثلة في المجتمع الغربي الرأسمالي التي أعملت القدرات والطاقات بقيمها الأساسية في صورها العليا من أجل إشباع الغرائز والشهوات وتحقيق الرفاهية فقط، بعيدا عن توجيهات الأمر وموجهاته.

- في عدم إعمال معطيات جانب الخلق وفقا للأمر تعدُّ على الخلق الذي خلقه المستخلف سبحانه، وجعله سببا لتحقيق الغاية والهدف المراد منه.

- عدم إعمال معطيات الخلق وفقا للأمر يؤدي إلى الوقوع في أخطاء (مخاطر) سعى الأمر لإلغائها أو تخفيفها، وهذه المخاطر لا بد أن تظهر في أي وقت، مهما بدى للناس من محاسن وجمال هذه المناهج، وربما تكون هذه المخاطر كوارث تقضي على كل شيء، ولعل الأزمة المالية العالمية -التي هوت ولا تزال تهوي بأكبر الدول- خير شاهد على ذلك.

- وفي أعمال معطيات الخلق بعيدا عن الأمر يقيم الحياة بعيدة عن القيم الأساسية كالعدل والإحسان، فتقوم الحياة ولكنها تبقى معوجة ومهددة. ومن هنا جعل الفقهاء علة تحريم الأموال والمنافع أمرين، هما:

١- الظلم الموجود في الربا، كونه يناقض العدل، حيث إن رب المال حقق ربحا بدون عمل (وهذه هي العلة الأساسية لتحريم الربا في نظري) إذ العمل في المال وتقليبه شرط أساسي لحليّة الربح فيه. فالربا ظلم في حق نفس الآخذ وفي حق المأخوذ منه، وهو ظلم في حق المجتمع كونه تسبب في حرمان جهات وأشخاص من منافع ومصالح أساسية يحصلون عليها عند دوران المال الدورة الكاملة.

٢- الجهل، أو عدم الإحسان في الأداء المهني وفقا للعلم والمعرفة، فالإحسان ينتج عن التدريب والتأهيل اللازم لتعلم هذه المهن. وقد يسمى الجهل: غررا، كما في اصطلاح الفقهاء، والمخاطرة هنا تتمثل في تسليم المال لإجراءات وعمليات استثمارية لا يغلب على الظن تحقيقها للربح، كالميسر والقمار وغيرها، فلا يحوز تسليم المال في مثل هذه الحالة وإلا كان تعريضا له للمهالك.

- من أسباب التقصير في تفعيل الخلق وفقا للأمر في المجتمع المسلم، الأمور التالية:

١- عدم التفريق الواضح بين الدين والشرع المحض المتمثل ب(النص) من قرآن وسنة وبين التدين والفهم المتمثل في ممارسة المسلم لتنفيذ هذه التشريعات والتعليمات، وهذا يشمل القيام بواجب الاجتهاد في هذه النصوص واستنباط الأحكام الفقهية للنوازل والوقائع المختلفة، كما يشمل الأعمال والممارسات الفردية والجماعية الناتجة عن هذه الاجتهادات.

فالدين معصوم قطعا والتدين والفهم غير معصوم.

٢- سوء تعامل الدارسين والباحثين مع التراث الفقهي المبارك الذي يمثل مدارس ومذاهب فقهية مختلفة وراء واجتهادات فردية وجماعية، حيث أصبح التعامل مع جميع ما دُون على أنه الدين والصواب المحض.

٣- ترتيب الموضوعات الفقهية في كتب التراث، مما أحدث فهما خاطئا انعكس على الاهتمام العام لدى المسلمين، حيث جعلت موضوعات الشعائر التعبدية وما يتعلق بها في صدارة كتب الفقه فربما فهم البعض أنها الدين كله وساهم في ذلك كثرة التأليف والتدوين في نفس السياق، وما تعج به المكتبة الاسلامية خير دليل. وفي ذلك كله تم إهمال بيان الأبعاد الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والأمنية في جوانب العبادات التي أخذت بشكل فقهي مجرد.

٤- تقسيم الأعمال إلى أعمال دنيوية وأعمال أخروية، بحيث فهم من ذلك أن أعمال الحياة لا تهم غير الدنيويين، فأضعف ذلك جانبها، وبالتالي ضعف دور المهن والانشغال بها، وضعف تحصيل السلع والخدمات (أي أمور الدنيا كلها) وهذه الأمور هي كلها من فروض الكفاية (الواجب الجماعي).

ومرجع ذلك: الضعف في استقصاء النصوص التي تحدثت عن هذه الأعمال والضعف في تخريج مقاصدها، والاكتفاء بالظاهر من ذلك.

٥- تقسيم أحكام الفقه الإسلامي إلى عبادات ومعاملات بتمييز شديد، مما أفهم أن المعاملات ليست عبادة وأن الالتزام فيها ليس عبادة.

ومما عمق ذلك الفهم: قلة التمثيل بمفردات المعاملات عند الحديث عن الحلال والحرام، والاكتفاء بالتمثيل بمفردات الشعائر، من صلاة وصوم وزكاة وحج وجنائز.

وكان بالإمكان تقسيم العبادات والمعاملات على أساس أنها كلها عبادات، مع نسبتها إلى النوع: العبادات المالية والعبادات الشعائرية والعبادات الفردية والعبادات الجماعية.. وهكذا.

واحتفاظ مجموعة من الشعائر أو الواجبات بمسمى العبادات دون سواها يضعف ما عداها من الواجبات والأعمال، بل ويهملها لدى عوام الناس الذين يقف مستواهم العلمي عائقا أمام إدراك للكثير من الحثيات والتفاصيل التي يحتفظ بها أولو العلم.

٦- التقدير الخاطئ لمدى أهمية الفرض الكفائي في الإسلام مقارنة بفرض العين. والذي سبب ذلك - في تقديري - أمور، منها:

أ. تسميته كفائيا، فذلك أوهم فيه ضعفا، وإن كان غير مراد لواضعه، إلا أنه أثر سلبا على القيام به، ويمكن أن يسمى (واجبا جماعيا) بمعنى أن ابتداء التكليف به على جماعة وليس على فرد.

ب. التمثيل له بأمثلة توهي بتضعيفه، مع إمكان أن يمثل له بأمور عظيمة لا تقوم بها إلا أمة.

ج. عدم أخذه حضا وافيا من البحث والدراسة والتوضيح.

٧- مما يقوي جانب الفرض الكفائي ويعزز مكانته، عدة أمور، منها:

أ. مطالبة الشارع بأدائه بغض النظر عن فاعله.

ب. لا يوجد عذر يُسقط المطالبة به بحال من الأحوال.

ج. لا يخضع للقدرة والاستطاعة.

د. الأمة كلها مخاطبة بأدائه.

هـ. ليس له وقت أداء ووقت قضاء، فوقته مطلق.

و. أدائه بشكل ناقص يجعله غير مقبول.

ز. لا يُسقط الإثم المنوط بعدم قيامه إلا بتحقيقه على أكمل وجه.

ح . هو في حقيقته وجوبه عيني حتى يوجد القدر الكافي من القائمين به على وجه الكمال. ولذلك فيمكن تسميته في هذه المرحلة: (الواجب العيني الجماعي)، فتكون النسبة هنا إلى أصل كيفية وجوبه، حيث إنه متعين على الجماعة، وبعد حصوله على وجه الكفاية من الكفاية فيمكن تسميته: (الواجب الكفائي الجماعي)، فالجماعة منوط بها الخطاب في الحالين، والدرجة المخاطب بها تتفاوت بحسب الوقت المخاطب فيه.

المحور الثاني : حول الكليات.

بما أن الإنسان خليفة الله في الأرض فحفظ مصالحه الأساسية المتمثلة في الكليات الخمس من أهم المقاصد الشرعية، لما لها من ارتباط بتحقيق سبل الاستخلاف، وتلك الكليات المطلوب الحفاظ عليها، هي:

- الحفاظ على تدينه وفق دين الله القيم الذي اختاره منها لهذه المهمة. ولأن الإنسان لا يستطيع الاستغناء بقدراته المتواضعة عن إرشادات وتعليمات من أوجده واستخلفه فبالحفاظ على الدين حفاظ على بقية الكليات وحماية لها، ولذلك كان الدين أهم تلك الكليات وأسَّها.

- الحفاظ على حياة الإنسان، وذلك يكون بتوفير ما تستمر به الحياة من غذاء ودواء وكساء، وبعدم إهدار النفس بحال، وبعدم تعريضها للهلاك كذلك.

- الحفاظ على العقل آلة التفكير والتدبر، بما يصلح حال الانسان ويحقق مصالحه. ولأهمية العقل فقد جعله الله مناطا للتكليف، ينتزل عند وجوده ويرتفع عند ارتفاعه ويخف عند عجزه .

- الحفاظ على المال، ذلك أن الوفاء بالحاجات السابق ذكرها يتطلب مالا ونفقة، فقد ومن هنا أعطي هذا المال حصانة كاملة تحفظه من سوء الاستخدام والاستخدام، من قبل المالك أو من قبل غيره .

- الحفاظ على العرض والنسل، فذلك أوفق للدين وأرفق للبشر أجمعين، وقد بين الله آثار ذلك سلبا وإيجابا.

ثانيا: التوصيات والمقترحات:

أولا: التوصيات:

وهي تأتي في باب الأفكار والثقافات، ومن خلال بحثي في موضوع الحرف والمهن أوصي بالتالي:

١- الاهتمام والارتقاء بالخطاب الديني في مجال المهن والحرف، وحبذا أن يتصف بما يلي:

- العمل على إزالة الآثار السلبية للتقسيمات والترتيبات الفقهية، وتوضيح أن ذلك من قبيل العمل الفني فقط ولا علاقة للتفضيل والتكريم الديني به.

- الانطلاق في مخاطبة أصحاب المهن والأعمال التخصصية من البعد العبادي لها كأفضل وسيلة لتحقيق الإخلاص الذي رُبط بالشعائر فقط، وتوضيح أن المهن والحرف من الواجبات والفروض الكفائية، وبيان فضلها والأجر والثواب المرصود لأصحابها. ليسهل بعد ذلك دعوة المهنيين والحرفيين إلى إقامة الشعائر التعبدية ونهيبهم عن الصفات السيئة في التعاملات، كونها مواصفات ضارة للعملية التجارية وتخرجها عن مسمى العبودية، وبها يحرم المسلم كثيرا من الأجور والثواب التي قد تفوق أجر العبادات والشعائر الأخرى.

- بيان الحاجة الماسة للأحكام والقيم الإسلامية التي أمر بها الشرع وبيان فوائدها للعملية الاستثمارية، وعدم الاكتفاء بالبعد الأخروي فقط، فالتاجر الصادق الأمين الذي يبيع السلعة للمشتري مبيناً أوصافها بأمانة ونزاهة لا يحتاج كثيراً لخطة التسويق وتحمل أجور المسوقين؛ لأن كل عميل سيصبح موظف تسويق مجاني له، والمهني المحترف صاحب القدرات، المحسن في عمله المتقن لوظيفته ومهنته الصادق في مواعيده الأمين على حاجات الناس وممتلكاتهم، يصنع سمعة طيبة وشهرة واسعة، فيقصد به بعد ذلك من يحتاج لصنعتة ومهنته وتزدحم لديه الأعمال دون سواه.

- بيان المصالح والمنافع التي تتحقق على أيدي العمال والمهنيين والتجار وأرباب الصنائع، وبيان أن ما يحصل عليه العاملون من الأموال والأرباح إنما هو فضل من الله ومنحة منه تعالى. ومادام العامل يشعر بأن ما يحصل عليه هو من فضل الله، فهو على خير ورشاد، وتعرضه لفضل الله وعطائه ومنحته نعمة أخرى وتوفيق عظيم.

- الابتعاد عن الخطاب المعارض للفطرة السوية، وغير الواقعي، والبعيد عن روح الإسلام ومقاصد الشرع الحنيف. فبعض الخطاب يحمل في طياته روح العلمانية المقنعة التي تجعل الإسلام شعائر وممارسات وطقوس تعبدية وتغفل مهمة الاستخلاف لهذا الإنسان، وعند التدقيق في أدلة هذا الخطاب نجدتها قاصرة أو لا أصل لها، إن لم تكن صادرة عن تشويشات وتشوهات حصلت في عصور التخلف.

٢- مراجعة النصوص الشرعية التي تكرم العمل وتجعله من الواجب الكفائي (الجماعي) الذي لا يسقط مطلقاً، وإظهارها للناس توعية تثقيفاً.

٣- إعادة عرض السيرة النبوية وسيرة الصحابة الكرام، فقد كان ثمانية من العشرة المبشرين بالجنة تجارا وحرفيين.

٤- مراجعة الأعراف والتقاليد، وخاصة تلك التي تجرّم مزاوله المهن أو بعض منها، بدافع مخالفتها للأعراف، كالجزارة والحلاقة وغيرها.

٥- الاهتمام بالبحث في الجانب المهني وتطويره وتفعيله.

ثانياً: المقترحات:

وهي تأتي في باب التنمية المهنية، وأقترح في هذا الإطار القيام بالأمور التالية:

١- إنشاء مراكز البحوث والدراسات المهنية المتخصصة والمتنوعة والاستفادة من دور الفنيين والاكاديميين وإشراكهم في إعداد وتقديم الدراسات الأكاديمية والعملية.

٢- إعداد معايير التقييم والتوجيه لكل مهنة وتخصص، ونشر ثقافة التقييم الإيجابي وتحويل نتائج التقييم إلى قرارات وإجراءات يتم من خلالها إسناد المهام إلى من يقوم بها كما خطط لها، ووضع الإنسان المناسب في المكان المناسب.

٣- إعداد معايير الاحتياج المهني في كافة التخصصات ليتم فرز طلاب الجامعات والمعاهد المهنية وتوجيههم إلى هذه التخصصات بما يتناسب وقدراتهم الذهنية والعضلية وبما يلبي تلك الاحتياجات.

٤- إنشاء معاهد التدريب والتأهيل المهني ورفدها بكل جديد والسعي لتطويرها بما يلائم الواقع ويلبي الطموحات وبفي بكل الاحتياجات .

٥- في الهيكل الحكومي ينبغي تحديد المهام المطلوب إنجازها من كل وزارة ومؤسسة رسمية، مع تحديد أنواع المهن والوظائف اللازمة للعمل في كل قطاع ثم

يصب الجهد بعد ذلك على المهن والوظائف الرئيسية رعاية واهتماما وتطويرا وارتقاء.

٦- تبني سياسة العرض والطلب في توفير وإنتاج السلع والخدمات، ومحاوية كل وسيلة أو أسلوب يقف أمام حصول الناس عليها.

هذه بعض النتائج والتوصيات والمقترحات التي توصلت إليها من خلال البحث، والله أسأل التوفيق والسداد والرشاد. صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه.

الفهارس

فهرس الآيات القرآنية

فهرس الأحاديث النبوية

فهرس الآثار

فهرس الأعلام

فهرس المصادر المراجع

فهرس الموضوعات

فهرس الآيات

م	الآية	اسم السورة	رقم الآية	رقم الصفحة
١	هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا	البقرة	٢٩	٢٠٧
٢	وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً	البقرة	٣٠	٣٢٣-٣٢٢-٢٠٢-٤
٣	وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَأِكَةِ	البقرة	٣١	٣٤٠
٤	قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ	البقرة	٣٣	٣٤١
٥	يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ	البقرة	٧٥	٢٣
٦	يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ	البقرة	١٠٢	١٤٤
٧	رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ	البقرة	١٢٩	٢٩٤
٨	وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ	البقرة	١٤٣	٧
٩	كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا	البقرة	١٥١	٢٩٤
١٠	يَتَأْتِيهَا النَّاسُ كُلُّوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا	البقرة	١٦٨	٢٣٧
١١	يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُّوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ	البقرة	١٧٢	١٣٣
١٢	وَأَقِمِ الصَّلَاةَ وَءَاتِ الزَّكَاةَ وَالمُؤْفِقَ بِعَهْدِهِمْ	البقرة	١٧٧	٢٣١
١٣	كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا	البقرة	١٨٠	٢٠٨
١٤	لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن	البقرة	١٩٨	٢٠٩
١٥	يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ	البقرة	٢١٩	٢٤٠

١١٤	٢٥١	البقرة	فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ	١٦
١٣٤	٢٧٣	البقرة	لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أَحْصَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ	١٧
١٣٩-١٢٩	٢٧٥	البقرة	وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا	١٨
٢٣٧	٢٧٦	البقرة	يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ	١٩
١٣٨-٩٢	٢٨٢	البقرة	إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ	٢٠
١٣٣-١١٢-٦	١٤	آل عمران	زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ	٢١
٣٢٧	-٤١ ٤٣	آل عمران	إِلَّا رَمَزًا ^٥ وَأَذْكَرَ رَبِّكَ كَثِيرًا وَسَبَّحَ بِالْعِشِيِّ وَالْإِبْكَرِ	٢٢
١٤٢	٤٩	آل عمران	وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَاتٍ مِّن رَّبِّكُمْ ^٦	٢٣
١٩٣	١٣٣	آل عمران	وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ	٢٤
٢٩٤	١٦٤	آل عمران	لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنْفُسِهِمْ	٢٥
١٠١	١٩٥	آل عمران	فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَمَلٍ مِّنْكُمْ	٢٦
٣٢٧	٢٨	النساء	يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ ^٧ وَخَلَقَ الْإِنْسَانَ ضَعِيفًا	٢٧
١٣٩	٢٩	النساء	يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ	٢٨
٢٣	٤٦	النساء	مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ	٢٩
٢٥٨-٨	٥٨	النساء	إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا	٣٠
٣٣٣	١٦٥	النساء	رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ	٣١

٢٥٧-٢٤٠-١٤٠-٤٩	١	المائدة	يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ	٣٢
٣٣١-٣٣٠	٢	المائدة	وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ	٣٣
٢٣٧	٤	المائدة	قُلْ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ	٣٤
٢٣٢	٨	المائدة	يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ	٣٥
٥٧-٩	٤٨	المائدة	لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شُرَعَةً وَمِنْهَا جَاءَ	٣٦
٣٣٠	٥٠	المائدة	أَفْحَكُمُ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ	٣٧
٢٦٩	٧٩	المائدة	كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ	٣٨
١٧٧	٩٤	المائدة	يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِيَبْلُوكُمْ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِّنَ الصَّيْدِ	٣٩
١٢٧	٣٨	الأنعام	وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمٌّ أَمْثَلُكُمْ	٤٠
١٠٠	١٣٢	الأنعام	وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ مِمَّا عَمِلُوا	٤١
١٦٧-١٣٨	١٤١	الأنعام	وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ	٤٢
٧٨	١٤٢	الأنعام	وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةً وَفَرْشًا كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ	٤٣
١٣١-١٠٣	١٦٢	الأنعام	قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ	٤٤
٩	١٦٥	الأنعام	وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ خَلْقَ الْأَرْضِ	٤٥
١٤٧	١٠	الأعراف	وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعِيشًا	٤٦

١٢٩-١٠٠	٣٢	الأعراف	٤٧ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ^٤
٧	٥٤	الأعراف	٤٨ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ^٥
٣٢١	٦٩	الأعراف	٤٩ وَأذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ
٣٢١	٧٤	الأعراف	٥٠ وَأذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ
٢١٤	٨٥	الأعراف	٥١ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ
٣٦٨	٩٦	الأعراف	٥٢ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَنَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ
٣٢١	١٤٢	الأعراف	٥٣ وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَارُونَ أَخْطِفْنِي فِي قَوْمِي
٢٣٧	١٥٧	الأعراف	٥٤ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ
١٤٤	١٦٣	الأعراف	٥٥ وَسَأَلَهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ
١٠٠	١٠٥	التوبة	٥٦ وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسِرِّي اللَّهُ عَمَلِكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ^٦
١٣٢	١١١	التوبة	٥٧ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ
٢٣٣	١٣	يونس	٥٨ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا ^٧
٢٣٠	١٠٩	يونس	٥٩ وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَأَصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ ^٨
٣٢٩	١١	هود	٦٠ إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ

٢١٢	٣٧	هود	وَأَصْنَعُ الْفُلَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحِّينَا وَلَا تَخْطِبَنَّ فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا ^٤	٦١
١٤٠	٣٨	هود	وَيَصْنَعُ الْفُلَّكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأَ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ ^٤	٦٢
١٨٧ - ٢٠٢ - ٣٢٢ - ٣٣٣	٦١	هود	هُوَ أَنشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا	٦٣
٢١٥	٨٤	هود	وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ ^٤	٦٤
٢٣٣	١١٧	هود	كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلِهَا مُصَلِحُونَ	٦٥
٣٤٢	٢١	يوسف	وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ	٦٦
٣٤١	٤٧	يوسف	قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَابًّا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ ^٤	٦٧
١٤٥ - ١٤١ - ٤٧ - ٣٥٢ - ٢٥٧	٥٥	يوسف	قَالَ اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ ^٥ إِنِّي حَفِيظٌ عَلَيْمْ	٦٨
١٤٧	٥٦	يوسف	وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُونَ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ	٦٩
١٤١	٨٨	يوسف	يَتَأْتِيهَا الْعَزِيزُ مَسْنًا وَأَهْلُنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضْعَةٍ مُرَجَلَةٍ	٧٠
١٣٤	٣٢ - ٣٤	إبراهيم	اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً	٧١
٧٨	٥	النحل	وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنْفَعٌ	٧٢
٢٠٣	١٤	النحل	وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا	٧٣
١٤٧	٤٣	النحل	وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ ^٤	٧٤
١٧١ - ٧٩	٨٠	النحل	وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا	٧٥

١٢٧	٨٩	النحل	وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَيِّدًا لِّكُلِّ شَيْءٍ ۗ	٧٦
١٧٣	١٠٣	النحل	وَلَقَدْ نَعَلِمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ ۗ	٧٧
٢٤٠-٤٩	٣٤	الإسراء	وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ ۗ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا	٧٨
١١٤	٣٦	الإسراء	وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ۗ	٧٩
٣٢٦-٤	٧٠	الإسراء	وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ	٨٠
٣٢٨	٨٣	الإسراء	وَإِذَا أَعْمَنَّا عَلَى الْإِنْسَانِ آعْرَضَ وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِ ۗ	٨١
٣٢٨	١٠٠	الإسراء	قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ	٨٢
٢٣٩	٢٨	الكهف	وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدْوَةِ وَالْعَشِيِّ	٨٣
١٣٩	٤٦	الكهف	أَلْمَالِ وَالْبَنُونَ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۗ	٨٤
٣٢٧	٥٤	الكهف	وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ ۗ	٨٥
٣٤٢	٨٤	الكهف	إِنَّا مَكِّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَءَانِيئَهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا	٨٦
١٠١	٨٨	الكهف	وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءٌ الْحَسَنَىٰ ۗ	٨٧
١٤٢	٩٦-٩٤	الكهف	قَالُوا يَنْذِرُ الْفَرِيقَ إِنَّا نَاجُوجٌ وَمَاجُوجٌ مُّفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ	٨٨
٣٤١-١٤٧	٩٦	الكهف	ءَأْتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ ۗ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا ۗ	٨٩
٣٢١	٥٩	مريم	فَخَلَفَ مِنْ بَٰعِثِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ ۗ	٩٠

١٤١	١٨	طه	قَالَ هِيَ عَصَايَ أَنْوَكُوا عَلَيَّهَا وَأَهْشُ بِهَا عَلَى غَنَمِي	٩١
٢٩	٤١	طه	وَأَصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي	٩٢
٧٨	٥٤	طه	كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى	٩٣
٣٢٩	١٢٤	طه	وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا	٩٤
١٤٧	٧	الأنبياء	وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ	٩٥
٣٢٧	٣٧	الأنبياء	خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُورِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ	٩٦
١٣٨	٨٠	الأنبياء	وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِنُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ	٩٧
٢٣-٢٢	١١	الحج	وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ	٩٨
١٣٢-١٠٤	٢٨	الحج	لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ	٩٩
١٧٣	٤	الفرقان	وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ	١٠٠
٣٢	١٢٩	الشعراء	وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ	١٠١
٢٤٧-١٤٥-٤٧ ٢٧٥-٢٥٧	٢٦	القصص	قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا تَابِتِ اسْتَعْجِرِي	١٠٢
١٤٦-١٤١	٢٧	القصص	قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ بِكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ	١٠٣
١٤٦	٢٨	القصص	قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلِينَ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ	١٠٤
١٦٦-١٤٣	٥٧	القصص	وَقَالُوا إِنْ نَتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ نُنْخَطِفُ مِنْ أَرْضِنَا	١٠٥

١٤٤	٧٦	القصص	١٠٦ إِنَّ قَرُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ
٢١١-١٣٣	٧٧	القصص	١٠٧ وَأَبْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ
١٤٤	٧٨	القصص	١٠٨ قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتهُ، عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي
٢٣١	٣٤٥	العنكبوت	١٠٩ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ
١٣٨	٢٧	السجدة	١١٠ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا
٣٢٧	٧٢	الأحزاب	١١١ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا
١٤٠	-١٠ ١١	سبأ	١١٢ وَالنَّالَةَ الْحَدِيدَ
١٢٩	١٣	سبأ	١١٣ يَعْمَلُونَ لَهُ، مَا يَشَاءُ مِنْ مَحْرِبٍ وَتَمَثِيلٍ وَحِفَانٍ كَالْجَوَابِ
٢٦٥-٥	٢٨	فاطر	١١٤ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ
٢١٢	٣٥	يس	١١٥ لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ، وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ
٣٢٨	٧٧	يس	١١٦ أَوْلَقِرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ
١٤٠	٢٠	ص	١١٧ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ، وَءَاتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخُطَابِ
٣٢١	٢٦	ص	١١٨ يٰنَادُواؤُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ
١٤١	٣٥	ص	١١٩ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي
٣٢٦	٧١	ص	١٢٠ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلٰٓئِكَةِ إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِّنْ طِينٍ

٣٦٠	٩	الزمر	أَمْ نَ هُوَ قَنْتِ ءَانَاءَ الْيَلِّ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ ^ط	١٢١
٣٢٨	٤٩	فصلت	لَا يَسْتَعْمُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَكُوفُ قَنُوطًا	١٢٢
٣٢٧	٤٨	الشورى	فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ^ط	١٢٣
٢٥٨-٢٠٢	١٣	الجاثية	وَسَخَّرْنَاكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ ^ع	١٢٤
٥٨	١٨	الجاثية	ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا	١٢٥
٣٦١	٣٢	الزخرف	أَهْمٌ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ^ع	١٢٦
٣٥١	١٩	الأحقاف	وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ مِّمَّا عَمِلُوا وَيُوفِّيهِمْ أَعْمَالَهُمْ ^ط	١٢٧
١٣٨	٢٩	الفتح	كَرَّرِجْ أَخْرَجَ شَطَطَهُ، فَفَازَرَهُ، فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوْقِهِ،	١٢٨
٣٦٩	٢٢	الذاريات	وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ	١٢٩
٣٣٢	٥٦	الذاريات	وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ	١٣٠
١٠٠	٣٩ - ٤١	النجم	وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى	١٣١
٢٣١	١٠	الرحمن	وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ	١٣٢
١٣٨	٦٤	الواقعة	ءَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ	١٣٣
٣٣٨	٧	الحديد	ءَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفَقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَحْلِفِينَ فِيهِ ^ط	١٣٤
١١٩	٧	الحشر	كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةٌ بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ ^ع	١٣٥

١٣٢	١٠	الصف	يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَذُكُمُ عَلَىٰ تَجْرَقٍ يُتَّجِرُ مِنَ عَذَابِ آلِيمٍ	١٣٦
٢٩٤	٢	الجمعة:	هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمَمِ مَن رَّسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ ءَايَاتِهِ	١٣٧
١٩٤-١٩١-١٣٠	٩	الجمعة	يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ	١٣٨
-١٣٠-١٠٥-١٠٤ ١٩٧-١٩١-١٣١	١٠	الجمعة	فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ	١٣٩
٣٢٧	٨	المنافقون	وَاللَّهُ الْعَزِيزُ الرَّسُولُ وَلِلْمُؤْمِنِينَ	١٤٠
٥٥-٩	٢	الملك	الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا	١٤١
-١٩٣-١٨٨-١٠٥ ٢٥٨-٢٠٢	١٥	الملك	هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا	١٤٢
٢٠٧	١٧	الملك	أَمْ أَمِنْتُمْ مَن فِي السَّمَاءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا	١٤٣
٢٢٨	٤	القلم	وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ	١٤٤
٣٢٩	- ٢٢ ٢٣	المعارج	إِلَّا الْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ	١٤٥
-١٣١-١٢٩-١٠٥ ٢٥٨	٢٠	المزمل	فَاقْرَأْ وَ مَا يَسَّرَ مِنَ الْقُرْءَانِ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضًى	١٤٦
٢٣٥	- ١٤ ١٥	القيامة	بَلِ الْإِنسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ	١٤٧
٣٢٦	٣ - ٢	الإنسان	إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا	١٤٨
٣٢٧	٢	الإنسان	إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ	١٤٩

١٥٠	أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ	المرسلات	٢٠	١٠٣-٤١
١٥١	فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ	عبس	٢٤	٣٢٧
١٥٢	قُلِ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ	عبس	١٧	٣٢٧
١٥٣	الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّنَكَ فَعَدَلَكَ	الانفطار	٧	٣٢٧-٧
١٥٤	وَيَلِّمُ لِلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ الَّذِينَ إِذَا أَكَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ	المطففين	١ - ٤	٢١٥
١٥٥	يَتَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ	الانشقاق	٦	١١٠
١٥٦	وَيُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا	الفجر	٢٠	١٣٩
١٥٧	لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ	البلد	٤	١١٠
١٥٨	وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا	الشمس	٧ - ١٠	٢٣٥
١٥٩	لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ	التين	٤	٣٢٦
١٦٠	إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ	التين	٥ - ٦	٣٢٩
١٦١	اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ	العلق	١	٣٤٠-٩٤
١٦٢	عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمَ	العلق	٥	٣٢٧
١٦٣	كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ	العلق	٦	٣٢٧
١٦٤	إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ	العاديات	٦	٣٢٧
١٦٥	وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ	العاديات	٨	٢٠٨-٦

٣٢٩	٣	العصر	١٦٦ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالْحَقِّ
٣٣٦-١٦٥-١٤٣	٤ - ١	قريش	١٦٧ لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ إِذْ لَفِيهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ

فهرس الأحادس

م	طرف الحدس	الصفحة
١	الإبل عز لأهلها، والغنم بركة،	٧٩
٢	أحب الناس إلى الله أنفعهم	٢٤٩
٣	إخوانكم حولكم جعلهم الله تحت أيديكم،	٢٥١
٤	إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة،	٢٤٨
٥	إذا قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة	٢١١
٦	اذهب فاحتطب وبع ولا أرينك خمسة عشر يوماً .	١٥٨-١٥٢
٧	أصدق الأسماء : حارث وهمام	١١١
٨	اصطنع خاتماً من ذهب كان يجعل فصّه في باطن كفه	٣٠
٩	اطلبوا الرزق في خبايا الأرض	٣٦٩
١٠	اعملوا فكل ميسر لما خلق له	١٨٦
١١	أما يكفيكم رخص هذا الطعام بغلاء هذا التمر	١٥٨
١٢	إن أطيب ما أكلتم من كسبكم... .	١٥١
١٣	إن الحلال بيّن وإن الحرام بيّن، وبينهما مشتبهات	٢٣٨
١٤	إن الله تعالى يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه	١٠١-١٠٨- ٢٤١-٢٤٦- ٢٥٨-٢٧٥

٢٥٨	إن الله كتب الإحسان على كل شيء... .	١٥
١٦٢	إن الله ورسوله حرم بيع الخمر والميتة والخنزير والأصنام	١٦
٢١٣	إن خير الكسب كسب يدي عامل إذا نصح	١٧
٢٦٠-٩٩	إن قامت الساعة وبيد أحدكم فسيلة	١٨
١٨٠	إن كان في شيء من أدويتكم شفاء ففي شرطة محجم	١٩
١٥٦	إن كان يداً بيد فلا بأس، وإن كان نسيئاً فلا يصلح .	٢٠
١٥٤	إن هذا قد تبعنا، فإن شئت أن تأذن له فأذن له،	٢١
٢٢	أنزل القرآن على سبعة أحرف	٢٢
٢٧٠	انطلق إلى أرض كذا وكذا، فإن بها أناسا يعبدون الله	٢٣
٢٥٦-٢٣٠	إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق	٢٤
٣١	أو تصنع لأخرق	٢٥
٤١	أو تعمل لأخرق	٢٦
١٥٧	إياك أن تخون امرأة غاز ، فذهب بيكي، فقام ثلاثة أيام	٢٧
١٦٣	بعنيها بعين في الجنة	٢٨
٢٥٧	البيعان بالخيار ما لم يتفرقا، - أو قال: حتى يتفرقا -	٢٩
٢٤٦	التاجر الصدوق الأمين مع النبيين والصديقين والشهداء.	٣٠
٢٣١	تعبد الله لا تشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة	٣١

٢١٠	تَعَسَّ عَبْدُ الدِّينَارِ وَالدَّرْهَمِ وَالْقَطِيفَةِ وَالْحَمِيصَةِ	٣٢
٢٥٦	ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا ينظر إليهم	٣٣
١٦٨	جاءت امرأة ببردة منسوجة،	٣٤
٢١٤	جَعَلَ اللَّهُ رِزْقِي تَحْتَ ظِلِّ رُمْحِي	٣٥
١٩٦	جعلت لي الارض مسجدا وطهوا	
١٦٠	حرم الله مكة فلم تحل لأحد قبلي، ولا لأحد بعدي،	٣٦
١٠٧	خير الكسب كسب العامل إذا نصح	٣٧
١٠٦	دينار أنفقته في سبيل الله، ودينار أنفقته في رقبة	٣٨
١٠٦	الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله،	٣٩
٢١١	سَتَحْرِصُونَ عَلَى الإِمَارَةِ وَسَتَكُونُ نَدَامَةً يَوْمَ القِيَامَةِ	٤٠
١٢١	شرف المؤمن قيام الليل وعزه في استغنائه عن الناس .	٤١
١٠٦	العامل على الصدقة بالحق كالغازي في سبيل الله حتى يرجع .	٤٢
١٦٨	عمل الأبرار من الرجال الخياطة وعمل الأبرار من النساء الغزل	٤٣
١٥٠	عملُ الرَّجُلِ بيده، وكلُّ بيعٍ مبرور	٤٤
١٦١	فأمره النبي - صلى الله عليه وسلم - فاتخذ أنفا من ذهب .	٤٥
١٥٣	فرايتُ رسولَ الله - ﷺ - يتتبعُ الدُّبَّاءَ من حولِ القصعة،	٤٦
٢٤١-١٨٢	قال الله تعالى : ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة	٤٧

١٥٥	قَدِّمُوا الْيَمَامِيَّ مِنَ الطَّيِّبِينَ؛ فَإِنَّهُ مِنْ أَحْسَنِكُمْ لَهُ مَسًّا	٤٨
١٦٤	قلت يا رسول الله أي الأعمال أفضل؟ قال: الإيمان بالله	٤٩
١٤٠	كان داودُ لا يأكلُ إلاَّ من عملِ يده .	٥٠
١٥٩-١٤٩	كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم- يأمرنا بالصدقة	٥١
١٤٩	كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يَخْصِفُ نَعْلَهُ	٥٢
١٦٨	كان صلى الله عليه وسلم يعمل عمل البيت	٥٣
٢٥١-٢٤٩	كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته	٥٤
٢٤٤-٢١٥	لا تصروا الإبل والغنم فمن ابتاعها فهو بخير النظرين	٥٥
١٠٥	لا تقولوا هذا فإنه إن كان خرج يسعى على ولده صغاراً فهو في سبيل الله	٥٦
٢٤٣-٢١٥	لا تتاجشوا، ولا يبيع المرء على بيع أخيه، ولا يبيع حاضر لباد..	٥٧
٣٠	لا تُوقِدُوا بَلِيلَ ناراً- ثم قال- أَوْقِدُوا واصْطَنِعُوا	٥٨
٢٣٩-٢٤٣-	لا ضرر ولا ضرار	٥٩
٢٨٥		
١٦٠	لا يبيع حاضر لباد	٦٠
٢٤٤-٢١٥	لا يحل لامرئ باع من أخيه بيعاً وفيه عيب إلا بينه له	٦١
٢١٣	لَا يَفْتَحُ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَابَ مَسْأَلَةٍ	٦٢
١٥١-١٠٨	لأن يأخذ أحدكم حبله فيأتي بحزمة الحطب على ظهره	٦٣

٢٣٨	لعن الله اليهود، حرم الله عليهم الشحوم، فجملوها فباعوها	٦٤
١٥٧	اللهم بارك له في بيعه أو صفقته	٦٥
١١٢	لو كان لابن آدم واديان من مال لابتغى واديا ثالثا	٦٦
١٠٣	ما أكل ابن آدم طعاماً خيراً من عمل يده	٦٧
١٥٠	ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده	٦٨
١٤٢-٧٩	ما بعث الله نبياً إلا رعى الغنم	٦٩
٢٥١	مَا خَابَ مَنْ اسْتَحَارَ، وَلَا نَدِمَ مَنْ اسْتَشَارَ، وَلَا عَالَ مَنْ اقْتَصَدَ	٧٠
٤٠	ما على أحدكم لو اشترى ثوبين ليوم جمعته	٧١
١٥١	ما كسب الرجل كسباً أطيب من عمل يديه .	٧٢
١٠٧	ما من رجل يغرس غرساً إلا كتب الله عز وجل له من الأجر	٧٣
١٠٧-٩٩	ما من مسلم يغرس غرساً، أو يزرع زرعاً فيأكل منه طير	٧٤
١٥٥	مثل الجليس الصالح والجليس السوء	٧٥
٢٤٠	المسلمون عند شروطهم	٧٦
٣٦٧-٩٩	من أحيا أرضاً ميتة فهي له	٧٧
١٥٦	من اشترى طعاماً فلا يبيعه حتى يكتاله	٧٨
١٠٦	من بات كالأمان من طلب الحلال بات مغفوراً له .	٧٩
١٠٦	مَنْ بَاتَ مِنْ طَلَبِ الْحَلَالِ بَاتَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَنْهُ رَاضٍ	٨٠

١٥١	من سأل من غير فقر فكأنما يأكل الجمر	٨١
١٦٢	من صور صورة فإن الله معذبه حتى ينفخ فيها الروح	٨٢
٢٣٩	من ضارّ ضارّ الله به	٨٣
٢٣٢	من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره	٨٤
٢٣١	من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة بأن يدع طعامه وشرابه.	٨٥
٢٨٦	من ولي لنا عملا وليس له منزل فليتخذ منزلا،	٨٦
١٦٩	هلا أخذتم إهابها فدبغتموه فانتفعتم به. قالوا: إنها ميتة.	٨٧
٣٥٣	والإثم ما حاك في صدرك وكرهت أن يطلع عليه الناس.	٨٨
١٥٩	يا معشر التجار إن هذا البيع يحضره الحلف والكذب فشوبوا ببيعكم بالصدقة	٨٩
		٩٠

فهرس الآثار

م	طرف الأثر	الصفحة
١	أخفي علي هذا من أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم؟	٢١٨
٢	إعلموا أن الراحة واللذة والسلامة والعز والأجر في أصحاب فلاحه الأرض،	٢١٧
٣	أقطع بلال بن الحارث المزني معادن القبلية.	١٧٤
٤	إِنَّ الْإِيمَانَ لَيْسَ بِالتَّحَلِّي وَلَا بِالتَّمَنِّي،	١٨٨
٥	إِنِّي لَأَرَى الرَّجُلَ فَيُعْجِبُنِي، فَأَقُولُ : هل له حِرْفَةٌ	٢١٧-٢٥
٦	فقد كان عمُرُ رضي الله عنه يَأْمُرُ أصحابه بأن يشتركوا في العمل اثنين وثلاثة،	٢١٤
٧	قد رأيت الناس في عهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم- إذا ابتاعوا الطعام جزافاً يضرّبون أن يبيعهوه في مكانهم ذلك حتى يؤووه إلى رحالهم".	١٥٦
٨	قيمة كل امرئ ما يحسن .	١٨٦
٩	كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم نسقي ونداوي الجرحى	١٧٨-١٨٦
١٠	لَأَنَّ أَخْلَفَ عَشْرَةَ آلَافٍ دِرْهَمٍ يُحَاسِبُنِي اللَّهُ عَلَيْهَا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أحتَاجَ إِلَى النَّاسِ	٢١٤-٢٢٢
١١	اللهم إني أجبْتُ دعوتَكَ، وصليتُ فريضتَكَ،	١٣٠
١٢	من اتجر في شيء ثلاث مرات فلم يصب فيه شيئاً، فليتحول إلى غيره".	٢١٤
١٣	مَنْ تَرَكَ السُّوقَ ذَهَبَتْ مُرُوعَتُهُ وَسَاءَ خُلْفُهُ.	٢١٧

٣٦١	من كان له أرض فعطلها ثلاث سنين فجاء قوم فعمروها فهم أحق بها	١٤
١٨٦	يا بني استعن بالكسب الحلال على الفقر، فإنه ما افتقر أحد قط،	١٥
٢١٣	يا معشر الفقراء ارفعوا رؤوسكم، فقد وضح الطريق،	١٦

فهرس الأعلام

الصفحة	اسم العلم	م
٦٠	إبراهيم بن موسى بن الشاطبي	١
١٧٤	أبو الحصين السلمي	٢
١٥٤	أبو شعيب الأنصاري	٣
١٥٩	أبو مسعود: عقبة بن عمرو بن ثعلبة	٤
١٦٣	أبو معشر الأسلمي	٥
٥٩	أبوهريرة عبد الرحمن بن صخر الدوسي	٦
١٥٤	أحمد بن علي بن محمد العسقلاني ابن حَجَر	٧
١٧٤	بلال بن الحارث المزني	٨
٣٠	حسان بن ثابت الأنصاري	٩
١٨٨	الحسن بن أبي الحسن البصري	١٠
١٧٨	الزبيح بنت معوذ بن عفراء	١١
١٨٠	سالم الحجام	١٢
١٦١	سعيد بن أبي الحسن	١٣
١٥٨	سيمويه البلقاوي	١٤

١٦١	عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ طَرْفَةَ الْعَطَارِدِيِّ	١٥
٦٨	عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون	١٦
١٥٧	عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ	١٧
٦٠	عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني	١٨
١٣٠	عراك بن مالك الغفاري	١٩
١٦١	عرفجة بن أسعد بن كرب التيمي	٢٠
٥٩	علي بن محمد بن سالم التغلبي	٢١
١٥٩	قيس بن أبي غرزة بن عمير بن وهب الغفاري	٢٢
١٥٥	قيس بن طلق	٢٣
٣٢	ليبيد بن ربيعة بن مالك	٢٤
٦١	محمد الطاهر بن محمد بن عاشور	٢٥
٥٩	محمد بن عمر فخر الدين الرازي	٢٦
٦٠	محمد بن محمد بن محمد الغزالي	٢٧
١٥٤	محمود بن أحمد بدر الدين العيني	٢٨
١٥٣	محي الدين يحيى بن شرف النووي	٢٩
١٥٧	نبهان التمار	٣٠

فهرس المصادر والمراجع

- ١- القرآن الكريم
- ٢- الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، لمحمد بن حبان البُستي، ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.
- ٣- إحياء علوم الدين، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، دار المعرفة، بيروت (٨٣/٣).
- ٤- الأخلاق الفاضلة قواعد ومنطلقات لاكتسابها، عبد الله بن ضيف الله الرحيلي، مطبعة سفير، .
- ٥- أخلاقيات المهنة، محمد عبد الغني المصري، مكتبة الرسالة الحديثة، الطبعة الأولى ١٩٨٦ م.
- ٦- الآداب الشرعية والمنح المرعية، تأليف: الإمام أبي عبد الله محمد بن مفلح المقدسي، دار النشر: مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م، الطبعة: الثانية، تحقيق: شعيب الأرنؤوط / عمر القيام.
- ٧- الإدارة الإسلامية: المنهج والممارسة. حزام بن ماطر المطيري، توزيع دار الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الرياض، مطابع الفرزدق، ط١، ١٤١٧ هـ / ١٩٩٧ م.
- ٨- الإدارة في عصر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم حمد عجاج كرمي، دار السلام - القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٧ هـ.
- ٩- الأدب المفرد، تأليف: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، دار النشر: دار البشائر الإسلامية - بيروت - ١٤٠٩ - ١٩٨٩، الطبعة: الثالثة، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي.
- ١٠- الاستيعاب في معرفة الأصحاب، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر، تحقيق: علي محمد الجاوي، دار الجيل، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م، .

- ١١- أسد الغابة في معرفة الصحابة، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض - عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م.
- ١٢- الأسس الإسلامية للتربية المهنية، لعبد العزيز بن عبد الرحمن المحميد، مجلة جامعة الملك سعود، العلوم التربوية والإسلامية، تاريخ النشر ٢١/٨/١٤٢٢ هـ.
- ١٣- أسواق العرب في الجاهلية والإسلام، سعيد الأفغاني (د. ت).
- ١٤- الإشارة إلى محاسن التجارة، لأبي الفضل جعفر الدمشقي تحقيق: الشوربجي، مكتبة الكليات الأزهرية ١٣٩٧ هـ / ١٩٧٧ م .
- ١٥- الإصابة في تمييز الصحابة، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٥ هـ .
- ١٦- إصلاح المال، أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغدادي الأموي القرشي المعروف بابن أبي الدنيا، تحقيق: محمد عبد القادر عطا: مؤسسة الكتب الثقافية - بيروت - لبنان ، الطبعة: الأولى، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م.
- ١٧- أصول الفقه على منهج أهل الحديث، زكريا بن غلام قادر الباكستاني، دار الخراز، الطبعة الأولى ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م .
- ١٨- أصول الفقه، محمد أبو النور زهير، ط دار البصائر، القاهرة، ٢٠٠٧ م .
- ١٩- الأعلام، لخير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي ، دار العلم للملايين، الطبعة: الخامسة عشر ، أيار / مايو ٢٠٠٢ م ، .
- ٢٠- اقتصادنا، محمد باقر الصدر ، دار التعارف للمطبوعات، ط: ٢٠، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧ م.
- ٢١- الأمن في حياة الناس وأهميته في الإسلام، الكتاب منشور على موقع وزارة الأوقاف السعودية بدون بيانات .

- ٢٢- الأموال، أبو عبّيد القاسم بن سلام، تحقيق: خليل محمد هراس، دار الفكر. - بيروت.
- ٢٣- البحر المحيط في أصول الفقه، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي دار الكتبي، الطبعة: الأولى، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م.
- ٢٤- بدائع السلك في طبائع الملك، لمحمد بن علي بن محمد الأصبحي الأندلسي، تحقيق: د. علي سامي النشار، وزارة الإعلام - العراق، الطبعة الأولى.
- ٢٥- بناء المجتمع الإسلامي، د نبييل السمالوطي، دار الشروق للنشر والتوزيع والطباعة، الطبعة: الثالثة ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م.
- ٢٦- تاج العروس من جواهر القاموس، لمحمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزبيدي، تحقيق مجموعة من المحققين، ط/ دار الهداية، .
- ٢٧- تأريخ ابن خلدون المؤلف: عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون أبو زيد، تحقيق: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت الطبعة: الثانية، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م .
- ٢٨- تاريخ العرب القديم: توفيق برو، دار الفكر، الطبعة الثانية ١٤٢٢ هـ / ٢٠٠١ م، ص ٢٣٦.
- ٢٩- التبصرة بالتجارة في وصف ما يستظرف في البلدان من الأمتعة الرفيعة والأعلاق النفيسة والجواهر الثمينة، عمرو بن بحر بن محبوب الكناي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ، تحقيق: حسن حسني عبد الوهاب التونسي.
- ٣٠- التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد» محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤ هـ .
- ٣١- التراتيب الإدارية والعمالات والصناعات والمتاجر والحالة العلمية التي كانت على عهد تأسيس المدنية الإسلامية في المدينة المنورة العلمية، محمد عبّد الحّي بن عبد الكبير ابن محمد الحسني الإدريسي، المعروف بعبد الحي الكتاني (المتوفى: ١٣٨٢ هـ)، تحقيق: عبد الله الخالدي، دار الأرقم - بيروت، الطبعة: الثانية.

- ٣٢- التربية الحياتية في المرحلة الابتدائية، سعد الهاشل، مجلة العلوم الاجتماعية ج ١٣ العدد ١، الكويت، ١٩٨٥م.
- ٣٣- التشريع الجنائي الإسلامي مقارناً بالقانون الوضعي، عبد القادر عودة، دار الكاتب العربي، بيروت .
- ٣٤- التعريفات لعلي بن محمد بن علي الجرجاني، دار الكتاب العربي، بيروت ط١/ ١٤٠٥هـ، تحقيق: إبراهيم الأبياري.
- ٣٥- تفسير الراغب الأصفهاني، تحقيق ودراسة: د. محمد عبد العزيز بسيوني، كلية الآداب - جامعة طنطا، الطبعة الأولى: ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م .،
- ٣٦- تفسير الشعراوي، محمد متولي الشعراوي (المتوفى: ١٤١٨هـ) طبعة مطابع أخبار اليوم (١٩٩٧ م).
- ٣٧- تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.
- ٣٨- التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم يونس الخطيب، دار الفكر العربي، القاهرة.
- ٣٩- التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج ، د وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر المعاصر، دمشق ، الطبعة الثانية، ١٤١٨ هـ.
- ٤٠- تقريب التهذيب، تأليف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، دار النشر: دار الرشيد - سوريا - ١٤٠٦ - ١٩٨٦، الطبعة: الأولى، تحقيق: محمد عوامة.
- ٤١- تلبيس إبليس لابن الجوزي جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي ، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة: الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م .
- ٤٢- تلقيح فهوم أهل الأثر في عيون التاريخ والسير، جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٩٧ .

- ٤٣- تنبيه الغافلين بأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين، أبو الليث السمرقندي، حققه وعلق عليه: يوسف علي بدوي، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م.
- ٤٤- تنشئة الطفل وسبل الوالدين في معاملته ومواجهة مشكلاته، دكتور زكريا الشريبي - دكتورة يسرية صادق
- ٤٥- تنقيح التحقيق في أحاديث التعليق للذهبي، تحقيق: مصطفى أبو الغيط عبد الحي عجيب، : دار الوطن - الرياض، الطبعة : الأولى ، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م .
- ٤٦- تهذيب التهذيب، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند، الطبعة الأولى، ١٣٢٦ هـ .
- ٤٧- تهذيب اللغة، لمحمد بن أحمد بن الأزهر الهروي، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١ م .
- ٤٨- التوجيه والإرشاد النفسي، الدكتور حامد عبد السلام زهران، عالم الكتب، الطبعة: الثالثة .
- ٤٩- التوقيف على مهمات التعاريف لمحمد عبد الرؤوف المناوي، دار الفكر المعاصر، دار الفكر- بيروت، دمشق ط١/ ١٤١٠ هـ تحقيق د. محمد رضوان الداية.
- ٥٠- تيسير علم أصول الفقه، عبد الله بن يوسف بن عيسى بن يعقوب اليعقوب الجديع العنزى، مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م.
- ٥١- جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير، أبو جعفر الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م .
- ٥٢- الجامع الصحيح سنن الترمذي، تأليف: محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر ومحمد فؤاد عبد الباقي وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر، الطبعة: الثانية، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م .

- ٥٣- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه (صحيح البخاري) تأليف: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ: .
- ٥٤- الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، تحقيق: هشام سمير البخاري، طبعة: دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية. ١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٣ م
- ٥٥- جغرافية الصناعة، د/ علي أحمد هارون، دار الفكر العربي، القاهرة: ٢٠٠٢م.
- ٥٦- حاشية قليوبي وعميرة، أحمد سلامة القليوبي وأحمد البرلسي عميرة، دار الفكر، بيروت طبعة: ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.
- ٥٧- الحسبة في الإسلام، أو وظيفة الحكومة الإسلامية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم ابن تيمية ، دار الكتب العلمية.
- ٥٨- الحضارة العربية، جاك ريلر، ترجمة: غنيم عبدون، الدار المصرية للتأليف والنشر . دار الفكر العربي .
- ٥٩- دائرة المعارف الإسلامية، الترجمة العربية (٦/٤٥٤).
- ٦٠- دستور الأخلاق في القرآن محمد بن عبد الله دراز (المتوفى: ١٣٧٧هـ)، مؤسسة الرسالة، الطبعة: العاشرة ١٤١٨ هـ / ١٩٩٨ م.
- ٦١- دستور العلماء جامع العلوم في اصطلاحات الفنون، للقاظمي عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد نكري، عرب عباراته الفارسية: حسن هاني فحص، دار الكتب العلمية، لبنان / بيروت. الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م.
- ٦٢- دور الإعلام في التضامن الإسلامي، إبراهيم إمام، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة: السنة السادسة عشرة، العدد الواحد والستون محرم - صفر - ربيع الأول ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م.
- ٦٣- الرسالة، للإمام الشافعي أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلبي القرشي المكي، تحقيق: أحمد

- شاكراً، مكتبة الحلبي، مصر، الطبعة: الأولى، ١٣٥٨هـ/١٩٤٠م. وقواعد الأحكام في مصالح الأنام، أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي، الملقب بسلطان العلماء (المتوفى: ٦٦٠هـ)، راجعه وعلق عليه: طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية - القاهرة، طبعة: ١٤١٤ هـ - ١٩٩١ م.
- ٦٤- رعاية المصلحة والحكمة في تشريع نبي الرحمة (صلى الله عليه وسلم) محمد طاهر حكيم، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة: العدد ١١٦، السنة ٣٤، ١٤٢٢هـم ٢٠٠٢م.
- ٦٥- زاد المسير في علم التفسير جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة: الأولى ١٤٢٢ هـ .
- ٦٦- زاد المعاد في هدي خير العباد، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، مؤسسة الرسالة، بيروت، مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، الطبعة: السابعة والعشرون، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م.
- ٦٧- الزراعة والتجارة " الكتاب المرجع في تاريخ الأمة العربية" ، تأليف : عبدالله العسكر، (المنظمة العربي للتربية والثقافة والعلوم، ط٢ ، تونس، ٢٠٠٥م)
- ٦٨- سلسلة الأحاديث الصحيحة. تأليف: محمد ناصر الألباني، بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤٠٥هـ.
- ٦٩- سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين الألباني، دار المعارف، الرياض -المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م.
- ٧٠- سنن ابن ماجة ، لأبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني ابن ماجة، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي.
- ٧١- سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني. تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا ، بيروت .

- ٧٢- السنن الصغرى، تأليف: أحمد بن الحسين بن علي البيهقي أبو بكر، دار النشر: مكتبة الدار - المدينة المنورة - ١٤١٠ - ١٩٨٩، الطبعة: الأولى، تحقيق: د. محمد ضياء الرحمن الأعظمي.
- ٧٣- السياسة الاقتصادية في إطار النظام الإسلامي، من إصدارات المعهد الإسلامي للبحوث والتدريب، ندوة رقم ٣٦، ١٩٩١ م.
- ٧٤- السياسة الاقتصادية في إطار النظام الإسلامي، من إصدارات البنك الإسلامي للتنمية، المعهد الإسلامي للبحوث والتدريب، ندوة رقم (٣٦) مايو ١٩٩١ م،
- ٧٥- السياسة الشرعية في الشئون الدستورية والخارجية والمالية، عبد الوهاب خلاف، دار القلم، طبعة: ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.
- ٧٦- شرح سنن أبي داود، أبو محمد محمود بن أحمد بدر الدين العيني، تحقيق: أبو المنذر خالد بن إبراهيم المصري، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.
- ٧٧- شروط النهضة، مالك بن الحاج عمر بن الخضر بن نبي، دار الفكر - دمشق سورية، الطبعة: ١٩٨٦ م.
- ٧٨- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، تأليف: محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، دار النشر: مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤١٤ - ١٩٩٣، الطبعة: الثانية، تحقيق: شعيب الأرنؤوط.
- ٧٩- صحيح الترغيب والترهيب لمحمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة: الخامسة.
- ٨٠- صحيح مسلم، تأليف: مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، دار النشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. الطبعة: الأولى - ١٤١٨ هـ.
- ٨١- طبقات الفقهاء، أبو اسحاق إبراهيم بن علي الشيرازي، هذبه: محمد بن مكرم ابن منظور، تحقيق: إحسان عباس، دار الرائد العربي، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٩٧٠ م.

- ٨٢- الطبقات الكبرى، لعبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري،
البغدادي المعروف بابن سعد، تحقيق: زياد محمد منصور، مكتبة العلوم والحكم،
المدينة المنورة، الطبعة الثانية، ١٤٠٨ هـ.
- ٨٣- العبادات في الإسلام وأثرها في تضامن المسلمين، علي عبد اللطيف منصور،
الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ط: ١٤٠٤ هـ .
- ٨٤- العبودية لتقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم ابن تيمية الحراني، تحقيق:
محمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة السابعة المجددة
١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م .
- ٨٥- عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس
الدين ابن قيم الجوزية ، دار ابن كثير، دمشق، بيروت/مكتبة دار التراث، المدينة
المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٩ هـ/ ١٩٨٩ م.
- ٨٦- العرب في العصور القديمة، لطفي عبد الوهاب، دار المعرفة الجامعية، الطبعة:
الثانية.
- ٨٧- العلاقة والتأثير بين قيم الفرد والمنظمات في بناء أخلاقيات المهنة من منظور
الفكر المعاصر والإسلامي، د. إبراهيم فهد الغفيلي، ورقة مقدمة إلى الملتقى
الثالث لتطوير الموارد البشرية "استراتيجيات تنمية الموارد البشرية - الرؤى
والتحديات" أكتوبر ٢٠٠١ م.
- ٨٨- علم الأخلاق الإسلامية، مقداد يالجن محمد علي، دار عالم الكتب للطباعة
والنشر - الرياض، الطبعة الثانية ١٤٢٤ هـ-٢٠٠٣ م .
- ٨٩- علم المقاصد الشرعية، نور الدين بن مختار الخادمي، مكتبة العبيكان، الطبعة:
الأولى ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م .
- ٩٠- عمدة القاري شرح صحيح البخاري، لأبي محمد محمود بن أحمد بن موسى بدر
الدين العيني، دار إحياء التراث العربي، بيروت .
- ٩١- العملية الإرشادية، محمد محروس الشناويدار، غريب للطباعة والنشر والتوزيع،
الطبعة: الأولى ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م.

- ٩٢- العين، لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري، تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.
- ٩٣- الفتاوى الكبرى لابن تيمية، دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧ م .
- ٩٤- الفتاوى الهندية، للجنة علماء برئاسة نظام الدين البلخي، دار الفكر، الطبعة: الثانية، ١٣١٠ هـ.
- ٩٥- فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩ هـ، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، .
- ٩٦- فتح القدير لمحمد بن علي الشوكاني، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٤ هـ .
- ٩٧- الفروق اللغوية، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري، تحقيق: الشيخ بيت الله بيات، ومؤسسة النشر الإسلامي، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بـ «قم»، الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ .
- ٩٨- فقه العبادات على المذهب المالكي، الحاجة كوكب عبيد، مطبعة الإنشاء، دمشق - سوريا، الطبعة: الأولى ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م .
- ٩٩- فقه المصلحة وتطبيقاتها المعاصرة، للدكتور: حسين حامد حسان، من أبحاث المعهد الإسلامي للبحوث والتدريب، التابع للبنك الإسلامي للتنمية.
- ١٠٠- فلسفة التربية الإسلامية (دراسة مقارنة بالفلسفات التربوية المعاصر)، ماجد عرسان الكيلاني، ط٢٠٠٩م، دار الفتح للدراسات والنشر، عمان الأردن.
- ١٠١- فوات الوفيات، محمد بن شاکر بن أحمد بن عبد الرحمن بن شاکر بن هارون بن شاکر الملقب بصلاح الدين (المتوفى: ٧٦٤هـ)، تحقق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، الطبعة: الأولى ١٩٧٣ م .

- ١٠٢- في الاجتهاد التنزيلى، د: بشير بن مولود جحيش، كتاب الأمة العدد: ٩٣، السنة الثالثة والعشرون، المحرم ١٤٢٤هـ..
- ١٠٣- في ظلال القرآن، سيد قطب إبراهيم، دار الشروق، بيروت، القاهرة، الطبعة السابعة عشر، ١٤١٢ هـ.
- ١٠٤- القاموس المحيط لمحمد بن يعقوب الفيروز آبادي .
- ١٠٥- القواعد الفقهية وتطبيقاتها في المذاهب الأربعة قواعد الفقهية وتطبيقاتها في المذاهب الأربعة، د. محمد مصطفى الزحيلي، دار الفكر - دمشق الطبعة: الأولى، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م.
- ١٠٦- الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، أبو بكر بن أبي شيبة، تحقيق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد - الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٠٩ هـ.
- ١٠٧- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤٠٧ هـ .
- ١٠٨- كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، إسماعيل بن محمد العجلوني ، مكتبة القدسي، لصاحبها حسام الدين القدسي - القاهرة، ط : ١٣٥١ هـ .
- ١٠٩- الكليات، لأبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، طبعة: مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.، تحقيق: عدنان درويش - محمد المصري .،
- ١١٠- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، لعلاء الدين علي بن حسام الدين ابن قاضي خان القادري الشهير بالمتقي الهندي، تحقيق: بكري حياني - صفوة السقا، مؤسسة الرسالة، الطبعة الخامسة، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.
- ١١١- الكنى لمن لا يعرف له اسم من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، أبو الفتح محمد بن الحسين بن أحمد بن عبد الله بن بريدة الموصلي الأزدي (المتوفى: ٣٧٤هـ) تحقيق: أبو عبد الرحمن إقبال أحمد بن محمد إسحاق بسكوبري، الدار السلفية / بومباي - الهند، الطبعة: الأولى ١٤١٠ هـ - ١٩٨٩ م.
- ١١٢- كواشف زيوف، عبد الرحمن بن حسن حَبَنَكَة الميداني، دار القلم، دمشق، الطبعة الثانية، ١٤١٢ هـ - ١٩٩١ م.

- ١١٣- لباب التأويل في معاني التنزيل، لعلاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن، طبعة: دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م .
- ١١٤- لباب النقول في أسباب النزول، للسيوطي، ضبطه وصححه: الاستاذ أحمد عبد الشافي، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان.
- ١١٥- لسان العرب، لمحمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، دار صادر - بيروت، الطبعة الأولى،
- ١١٦- لمحات في الثقافة الإسلامية، عمر عودة الخطيب، مؤسسة الرسالة، الطبعة الخامسة عشرة ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.
- ١١٧- ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، علي أبو الحسن الندوي، مكتبة الإيمان، المنصورة - مصر.
- ١١٨- مباحث في الاقتصاد الإسلامي من أصوله الفقهية، د: محمد رواس قلعة جي، دار النفائس، بيروت، لبنان، الطبعة السادسة ٢٠٠٥م.
- ١١٩- المبسوط، محمد بن أحمد بن أبي سهل شمس الأئمة السرخسي، دار المعرفة، بيروت، ١٤١٤هـ، ١٩٩٣م .
- ١٢٠- المجالسة وجواهر العلم، أبو بكر أحمد بن مروان الدينوري المالكي، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، نشر: جمعية التربية الإسلامية (البحرين - أم الحصم) ، دار ابن حزم (بيروت - لبنان)، ١٤١٩هـ.
- ١٢١- المجتبى من السنن (السنن الصغرى للنسائي)، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، الطبعة: الثانية، ١٤٠٦ - ١٩٨٦.
- ١٢٢- المجتمع والأسرة في الإسلام، محمد طاهر الجوابي، دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثالثة ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠م.
- ١٢٣- مجلة البحوث الإسلامية - مقال بعنوان العمل وأحكامه / للدكتور: سليمان بن إبراهيم بن ثنيان .

- ١٢٤- مجلة البيان. العدد: ٨٠.
- ١٢٥- مجلة البيان، ٨٣.
- ١٢٦- مجلة البيان، العدد: ١٧٥.
- ١٢٧- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، تحقيق: حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة، ١٤١٤ هـ، ١٩٩٤ م.
- ١٢٨- مجموع الفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، تأليف: أحمد عبد الحلیم بن تيمية الحراني أبو العباس، دار النشر: مكتبة ابن تيمية، الطبعة: الثانية، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي
- ١٢٩- محاسن التأويل لمحمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ.
- ١٣٠- المحرر الوجيز لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ.
- ١٣١- المحصول، لأبي عبد الله محمد بن عمر، فخر الدين الرازي، تحقيق: الدكتور طه جابر العلواني، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الثالثة، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م
- ١٣٢- المحكم والمحيط الأعظم لأبي الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي، تحقيق عبد الحميد هندراوي، دار الكتب العلمية، ط/ ٢٠٠٠م، بيروت.
- ١٣٣- مختار الصحاح زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، الدار النموذجية، بيروت، صيدا، الطبعة: الخامسة، ١٤٢٠ هـ / ١٩٩٩ م.
- ١٣٤- مختصر شعب الإيمان للبيهقي، تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط، دار ابن كثير - دمشق، الطبعة: الثانية، ١٤٠٥ هـ.
- ١٣٥- مدخل للفكر الاقتصادي في الإسلام، ط/ مؤسسة الرسالة.

- ١٣٦- المستدرك على الصحيحين، تأليف: محمد بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم النيسابوري، دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م، الطبعة: الأولى، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا.
- ١٣٧- المستصفي في علم الأصول لأبي حامد الغزالي، لمستصفي، تحقيق: محمد عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م.
- ١٣٨- المستقصى في أمثال العرب لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري، طبعة: دار الكتب العلمية، بيروت ٢ / ١٩٨٧ م.
- ١٣٩- مسند الإمام أحمد بن حنبل، لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م
- ١٤٠- مشارق الأنوار على صحاح الآثار، عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن اليحصبي السبتي، المكتبة العتيقة ودار التراث .
- ١٤١- مصباح الزجاجاة في زوائد ابن ماجه، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن أبي بكر البوصيري الكناني، تحقيق: محمد المنتقى الكشناوي، دار العربية - بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٣ هـ.
- ١٤٢- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي طبعة: المكتبة العلمية، بيروت .
- ١٤٣- معاني القرآن وإعرابه، لإبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م .
- ١٤٤- معجم أعلام شعراء المدح النبوي، لمحمد أحمد درنيقة ، تقديم: ياسين الأيوبي، دار ومكتبة الهلال، الطبعة: الأولى ص: ٣١٥. والبيت من البحر الطويل وهو في ديوان لبيد.

- ١٤٥- المعجم الأوسط، تأليف: أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، دار النشر: دار الحرمين - القاهرة - ١٤١٥، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني.
- ١٤٦- معجم البلدان، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، دار صادر، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٩٩٥ م .
- ١٤٧- معجم الصحابة أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز بن المرزبان البغوي، تحقيق: محمد الأمين بن محمد الجكني مكتبة دار البيان، الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م.
- ١٤٨- المعجم الكبير، تأليف: سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني، دار النشر: مكتبة الزهراء - الموصل - ١٤٠٤ - ١٩٨٣، الطبعة: الثانية، تحقيق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي.
- ١٤٩- المعجم الوسيط لإبراهيم مصطفى . أحمد الزيات . حامد عبد القادر . محمد النجار طبعة: دار الدعوة، تحقيق : مجمع اللغة العربية.
- ١٥٠- المعجم الوسيط ، تأليف: إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار، دار النشر: دار الدعوة، تحقيق: مجمع اللغة العربية.
- ١٥١- معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، لعمر بن رضا بن محمد راغب بن عبد الغني كحالة، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: السابعة، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م .
- ١٥٢- معجم لغة الفقهاء، لمحمد رواس قلنجي - حامد صادق قنبي، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع الطبعة: الثانية، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م .
- ١٥٣- معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٣ هـ .
- ١٥٤- معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، طبعة دار الفكر ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م.
- ١٥٥- معرفة الصحابة لابن منده، أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى بن مَنذَه العبدِي (المتوفى: ٣٩٥هـ)، حققه وقدم له وعلق عليه: الأستاذ الدكتور/

- عامر حسن صبري، مطبوعات جامعة الإمارات العربية المتحدة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.
- ١٥٦- معرفة الصحابة، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني، تحقيق: عادل بن يوسف العزازي، دار الوطن للنشر، الرياض، الطبعة: الأولى ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م .
- ١٥٧- المغني عن حمل الأسفار في الأسفار، في تخريج ما في الإحياء من الأخبار (مطبوع بهامش إحياء علوم الدين)، أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن إبراهيم العراقي ، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.
- ١٥٨- المغني لابن قدامة، أبو محمد موفق الدين ابن قدامة المقدسي ، مكتبة القاهرة، بدون طبعة.
- ١٥٩- مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤٢٠ هـ .
- ١٦٠- مفتاح الأفكار للتأهب لدار القرار، أبو محمد عبد العزيز بن محمد بن عبد الرحمن بن عبد المحسن السلطان .
- ١٦١- المفردات في غريب القرآن، تأليف: أبو القاسم الحسين بن محمد ، دار النشر: دار المعرفة - لبنان، تحقيق: محمد سيد كيلاني.
- ١٦٢- المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، الدكتور جواد علي (المتوفى، دار الساقى، الطبعة الرابعة ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م.
- ١٦٣- مقاصد الشريعة الإسلامية دراسة أصولية وتطبيقات فقهية، د/ زياد محمد أميدان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١، ٢٠٠٨م.
- ١٦٤- مقاصد الشريعة الإسلامية، محمد الطاهر بن عاشور، تحقيق محمد الطاهر الميساوي. ط ٢، دار النفائس، الأردن، ٢٠٠١م.

- ١٦٥- مقدمة ابن خلدون الدار التونسية العربية والمؤسسة الوطنية الجزائرية ، ط ١٩٨٤م (٤١/١).
- ١٦٦- مناهج التربية أسسها وتطبيقاتها، على أحمد مدكور، دار الفكر العربي، الطبعة: ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.
- ١٦٧- المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا. دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م .
- ١٦٨- المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م .
- ١٦٩- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، دار إحياء التراث العربي، بيروت الطبعة: الثانية، ١٣٩٢هـ.
- ١٧٠- المَهْدَبُ فِي عِلْمِ أَصُولِ الْفِقْهِ الْمُقَارِنِ (تحريرٌ لمسائله ودراستها دراسةً نظريَّةً تطبيقيةً)، عبد الكريم بن علي بن محمد النملة، دار النشر: مكتبة الرشد - الرياض، الطبعة الأولى: ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م .
- ١٧١- الموافقات، لإبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م.
- ١٧٢- مواهب الجليل في شرح مختصر خليل، شمس الدين أبو عبد الله محمد الطرابلسي المغربي، المعروف بالحطاب الرعيني، دار الفكر، الطبعة: الثالثة، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
- ١٧٣- الموسوعة الفقهية الكويتية، صادر عن: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية - الكويت، طبعة: ١٤٢٧ هـ.
- ١٧٤- موسوعة اليهود و اليهودية و الصهيونية .
- ١٧٥- نحو تفعيل مقاصد الشريعة، جمال الدين محمد عطية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط٢، ٢٠٠٨م.

- ١٧٦- نشوء الأصناف والحرف في الإسلام، عبد العزيز الدوري: مقال مجلة كلية الآداب بغداد عدد لسنة ١٩٥٩م .
- ١٧٧- نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، تأليف عدد من المختصين بإشراف الشيخ/ صالح بن عبد الله بن حميد إمام وخطيب الحرم المكي، دار الوسيلة للنشر والتوزيع، جدة، الطبعة : الرابعة.
- ١٧٨- نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي دراسة أصولية فقهية، أحمد الريسوني، الدار العالمية للكتاب الإسلامي، الطبعة: الثانية - ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢م.
- ١٧٩- النكت والعيون، تفسير الماوردي، علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان .
- ١٨٠- نمو الإنسان من مرحلة الجنين إلى مرحلة المسنين، آمال صادق - فؤاد أبو حطب، مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة الرابعة.
- ١٨١- نهاية الأرب في فنون الأدب، أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي النيمي البكري، شهاب الدين النويري، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ.
- ١٨٢- نهاية الرتبة الظرفية في طلب الحسبة الشريفة، عبد الرحمن بن نصر بن عبد الله، جلال الدين العدوي الشيزري، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر.
- ١٨٣- الهداية والإرشاد في معرفة أهل الثقة والسداد، أحمد بن محمد بن الحسين بن الحسن، أبو نصر البخاري الكلاباذي، تحقيق: عبد الله الليثي، دار المعرفة - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٧ .

مواقع الانترنت

موقع مفكرة الإسلام في الانترنت في ٢ صفر ١٤٢٧ هـ الموافق ٢ مارس ٢٠٠٦ م.

الموسوعة العربية موقع

vBulletin® v3.8.4, Copyright ©2000-2010, Jelsoft Enterprises Ltd.

المسارات المهنية، أحمد سعد الدين 13-01-2005 لموقع منتديات العز الثقافية.
www.al3ez.net/vb/showthread.php?1244-

موضوع: بحث عن التجارة الجمعة ١٩ فبراير، ٢٠١٠م موقع ملتقى جامعة الازهر
alazhar.ahlamuntada.com/t9209-page⁽

فهرس الموضوعات

م	الموضوع	الصفحة
١	الإهداء	١
٢	شكر وعرقان	٢
٣	المقدمة	٤
٤	أهمية البحث	١١
٥	أهداف البحث	١١
٦	مشكلة البحث	١٢
٧	الدراسات السابقة	١٣
٨	منهجي في البحث	١٥
٩	خطة البحث	١٦
١٠	الفصل الأول : تعاريف	٢٠
١١	المبحث الأول: تعريف الحرفة لغة واصطلاحا	٢١
١٢	المطلب الأول: تعريف الحرف في اللغة	٢٢
١٣	المطلب الثاني: تعريف الحرف في الاصطلاح	٢٥
١٤	المطلب الثالث: تعريف الحرفي ومواصفاته	٢٧

٢٨	المبحث الثاني: تعريف الصناعات في اللغة والاصطلاح	١٥
٢٩	المطلب الأول: تعريف الصناعة في اللغة	١٦
٣٤	المطلب الثاني: تعريف الصناعة في الاصطلاح	١٧
٣٦	المطلب الثالث: تعريف الصانع ومواصفاته	١٨
٣٨	المبحث الثالث: تعريف المهنة لغة واصطلاحا	١٩
٣٩	المطلب الأول: تعريف المهنة في اللغة	٢٠
٤٢	المطلب الثاني: تعريف المهنة في الاصطلاح	٢١
٤٣	المطلب الثالث: تعريف المهني ومواصفاته	٢٢
٤٤	المبحث الرابع: تعريف الوظيفة لغة واصطلاحا	٢٣
٤٥	المطلب الأول: تعريف الوظيفة في اللغة	٢٤
٤٦	المطلب الثاني: تعريف الوظيفة في الاصطلاح	٢٥
٤٧	المطلب الثالث: صفات الموظف الناجح	٢٦
٥٠	المبحث الخامس: العلاقة بين المصطلحات الأربع	٢٧
٥٢	المبحث السادس: تعريف مقاصد الشريعة لغة واصطلاحا	٢٨
٥٣	المطلب الأول: المقاصد في اللغة	٢٩
٥٤	المطلب الثاني: المقاصد في الاصطلاح	٣٠
٥٧	المطلب الثالث: الشريعة في اللغة	٣١

٥٨	المطلب الرابع: الشريعة في الاصطلاح	٣٢
٥٩	المطلب الخامس: مقاصد الشريعة عند الفقهاء والأصوليين وأئمة المقاصد الشرعية	٣٣
٥٩	أولاً: نشوء المقاصد وتطورها	٣٤
٦٢	ثانياً: كليات المقاصد الشرعية	٣٥
٦٤	الفصل الثاني: تطور الحرف والصناعات	٣٦
٦٦	المبحث الأول: نشأة الحرف والصناعات وتطورها	٣٧
٦٧	المطلب الأول: نشأة الحرف في المجتمعات البشرية	٣٨
٦٧	كيف تنشأ الحرف في المجتمعات؟	٣٩
٧٠	المطلب الثاني: الحرف والصناعات في العصور الأولى	٤٠
٧١	الفرع الأول: عند غير العرب	٤١
٧٢	الفرع الثاني: عند العرب	٤٢
٧٤	المطلب الثالث: تطور الحرف والصناعات	٤٣
٧٥	المبحث الثاني: أمهات الحرف والصناعات في الجملة وبعض ما يلحق بها من المهن	٤٤
٧٦	المطلب الأول: حرفة الزراعة وما يلحقها من المهن	٤٥
٧٨	المطلب الثاني: حرفة الرعي وتربية الحيوان وما يلحقها من المهن	٤٦
٨١	المطلب الثالث: حرفة الصناعة وما يلحقها من المهن	٤٧
٨٤	المطلب الرابع: حرفة التجارة وما يلحقها من المهن	٤٨

٤٩	المطلب الخامس: حرفة البناء والإعمار وما يلحقها من المهن	٨٦
٥٠	المطلب السادس: المهن الالكترونية والتكنولوجية	٨٨
٥١	المطلب السابع: المهن الطبية	٩٠
٥٢	المطلب الثامن: المهن والوظائف الإدارية	٩٢
٥٣	المطلب التاسع: المهن التعليمية	٩٤
٥٤	المطلب العاشر: العلاقة بين المهن والحرف والصناعات	٩٥
٥٥	المبحث الثالث: أهمية الحرف والصناعات وخصائصها	٩٧
٥٦	المطلب الأول: الحافز الديني على الحرف والمهن	٩٨
٥٧	الوجه الأول: استعمال الحافز ببيان الجزاء الأخروي والمالي	٩٩
٥٨	الوجه الثاني: استعمال الحافز ببيان النفع الدنيوي القريب	٩٩
٥٩	الوجه الثالث: التحفيز العام	١٠٠
٦٠	المطلب الثاني: الحاجة البشرية للمهن وتوجيه الإسلام لها	١٠٩
٦١	المطلب الثالث: التسابق الحضاري	١١٣
٦٢	المطلب الرابع: الازدهار الاقتصادي والعمراني	١١٨
٦٣	المطلب الخامس: خصائص الحرف والصناعات	١٢٠
٦٤	الفصل الثالث: المصادر الإسلامية وموقفها من الحرف والمهن والصناعات	١٢٤
٦٥	المبحث الأول: موقف القرآن الكريم من الحرف والصناعات	١٢٦

١٢٧	المطلب الأول: المظاهر العامة لاهتمام القران بالحرف والمهن	٦٦
١٢٩	الفرع الاول : التعميم في الخطاب	٦٧
١٣٣	الفرع الثاني: الإشادة بالعمل والكسب والتعفف	٦٨
١٣٥	المطلب الثاني: المظاهر الخاصة لاهتمام القران بالحرف والمهن	٦٩
١٣٦	الفرع الأول: مسميات المهن والأعمال	٧٠
١٤٠	الفرع الثاني: أمثلة من الممارسات المهنية	٧١
١٤٠	النوع الأول: أمثلة صالحة للممارسات المهنية	٧٢
١٤٤	النوع الثاني: أمثلة سيئة من الممارسات المهنية	٧٣
١٤٥	الفرع الثالث: من أصول الكفايات المهنية	٧٤
١٤٥	أولاً: الكفايات الذاتية (فطرية أو مكتسبة)	٧٥
١٤٦	ثانياً: الكفايات المساعدة (خارجية)	٧٦
١٤٨	المبحث الثاني: موقف السنة والسيرة من الحرف والصناعات	٧٧
١٤٩	المطلب الأول: اهتمام السنة بالحرف والصناعات عامةً ودلالات ذلك	٧٨
١٦٤	المطلب الثاني: صور من الحرف والصناعات في وقت النبي صلى الله عليه وسلم	٧٩
١٦٥	أولاً : المهن التجارية	٨٠
١٦٦	ثانياً: المهن الزراعية	٨١
١٦٧	ثالثاً: المهن الصناعية	٨٢
١٦٧	صناعة الغزل والأقمشة	٨٣
١٦٨	صناعة الجلود ودباغتها	٨٤

١٧٠	مهنة وصناعة الخزارة	٨٥
١٧١	صناعة الأخشاب والنجارة	٨٦
١٧٢	صناعة الحديد والمعادن	٨٧
١٧٥	صناعة الصياغة والنقش	٨٨
١٧٦	صناعة الخوص والقفاف	٨٩
١٧٦	الصباغة	٩٠
١٧٧	الصناعات الحربية	٩١
١٧٨	رابعاً: المهن الطبية:	٩٢
١٧٨	التمريض والتطبيب:	٩٣
١٧٩	الختانة:	٩٤
١٧٩	التوليد:	٩٥
١٨٠	الحجامة:	٩٦
١٨٠	العطارة والصيدلة:	٩٧
١٨١	رابعاً: المهن التعليمية:	٩٨
١٨١	خامساً: مهن عامة:	٩٩
١٨١	مهنة بيع اللحوم:	١٠٠
١٨١	الإجارة	١٠١
١٨٢	المهن الحكومية ووظائفها:	١٠٢
١٨٣	مهنة الرعي وملحقاتها:	١٠٣
١٨٤	المبحث الثالث: الاحتراف في الفقه الإسلامي	١٠٤
١٨٥	المطلب الأول: الأدلة العامة على احترام المهن والحرف وأهميتها	١٠٥

١٩٠	المطلب الثاني: موقع الاحتراف المهني في الأحكام التكاليفية	١٠٦
١٩٠	الفرع الأول: بين العبادات والمعاملات	١٠٧
١٩٩	الفرع الثاني الواجب العيني حده ونسبته من الأعمال	١٠٨
٢٠١	الفرع الثالث الواجب الكفائي حده ونسبته من الأعمال	١٠٩
٢٠٩	المبحث الرابع: من فقه المهن عند السلف الصالح	١١٠
٢١٠	المطلب الأول: مفهوم الاحتراف والتكسب والعمل	١١١
٢١٦	المطلب الثاني: ممارسات السلف لبعض المهن	١١٢
٢١٧	أولاً: دفعهم للمهنة بصورة عامة	١١٣
٢١٨	ثانياً: من المهن التي امتنها السلف الصالح	١١٤
٢٢١	ثالثاً: ممارسات تدل على فقه العمل والمهنة	١١٥
٢٢٣	الفصل الرابع : قيم وأخلاق المهنة	١١٦
٢٢٥	المبحث الأول: مفهوم الأخلاق والقيم المهنية وأهميتها	١١٧
٢٢٦	المطلب الأول: مفهوم الأخلاق والقيم المهنية	١١٨
٢٢٦	الفرع الأول: مفهوم الأخلاق	١١٩
٢٢٨	الفرع الثاني: مفهوم القيم	١٢٠
٢٢٩	المطلب الثاني: أهمية الأخلاق والقيم المهنية	١٢١
٢٣٦	المبحث الثاني: أنواع القيم والأخلاق	١٢٢
٢٣٧	المطلب الأول: شروط أخلاقية في المهنة	١٢٣
٢٤٥	المطلب الثاني: أخلاق وقيم مهنية	١٢٤

٢٤٥	أولاً: أخلاق وقيم عامة (معيارية)	١٢٥
٢٤٩	ثانياً: أخلاق وقيم مهنية خاصة	١٢٦
٢٤٩	ما يختص بالعاملين	١٢٧
٢٥٠	أخلاق خاصة بالرؤساء والمدراء.	١٢٨
٢٥٤	المبحث الثالث: أثر القيم والأخلاق في الواقع	١٢٩
٢٥٥	المطلب الأول: آثار عامة	١٣٠
٢٥٩	المطلب الثاني: آثار خاصة	١٣١
٢٦٠	على المستوى الفردي	١٣٢
٢٦١	على المستوى الاجتماعي	١٣٣
٢٦١	على مستوى المؤسسات	١٣٤
٢٦٣	المبحث الرابع: ضمانات أخلاقية في إطار المهن	١٣٥
٢٦٤	المطلب الأول: مؤثرات على القيم والأخلاق المهنية	١٣٦
٢٦٥	التعلم والتعليم	١٣٧
٢٦٧	الأسرة	١٣٨
٢٦٨	المجتمع والبيئة العامة	١٣٩
٢٧١	الأنظمة والقوانين واللوائح.	١٤٠
٢٧٣	المطلب الثاني: ميثاق شرف المهنة	١٤١
٢٧٣	أولاً: مبادئ مهنية عامة:	١٤٢
٢٧٥	المبدأ الأول: نشر ثقافة مهنية سليمة.	١٤٣
٢٧٦	المبدأ الثاني: تبني أخلاق وقيم المهنة بصورة مدروسة ومخططة.	١٤٤

٢٧٦	المبدأ الثالث: تفعيل الأنظمة واللوائح.	١٤٥
٢٧٦	المبدأ الرابع: اعتماد مبدأ التوافق المهني.	١٤٦
٢٧٧	ثانياً: ضمانات مهنية	١٤٧
٢٧٨	ثالثاً: تفعيل القيم والأخلاق المهنية وآليات ذلك	١٤٨
٢٧٩	الأمر الأول: التقيد بمتطلبات المهنة	١٤٩
٢٨٠	الأمر الثاني: ضوابط إتقان المهنة	١٥٠
٢٨١	الأمر الثالث: الوعي بالمسؤولية الأخلاقية والقانونية	١٥١
٢٨٧	الفصل الخامس: علاقة الاحتراف بالمقاصد	١٥٢
٢٨٩	المبحث الأول: أنواع المقاصد الشرعية	١٥٣
٢٩٠	المطلب الأول: المقاصد العامة للشريعة وعلاقتها بالاحتراف	١٥٤
٢٩٢	أولاً: مهمات المقاصد العامة للشريعة	١٥٥
٢٩٥	ثانياً: علاقة المقاصد الشرعية العامة بالاحتراف	١٥٦
٢٩٨	المطلب الثاني: المقاصد الإنسانية وعلاقتها بالاحتراف	١٥٧
٣٠٢	المبحث الثاني: تحديد المصالح الإنسانية	١٥٨
٣٠٣	المطلب الأول: تحديد الحاجات والمصالح الإنسانية وتوفيرها	١٥٩
٣٠٣	أولاً: تمهيد	١٦٠
٣٠٤	ثانياً: تحديد الحاجات والمصالح الإنسانية	١٦١
٣٠٥	ثالثاً: توفير الحاجات والمصالح الإنسانية	١٦٢

٣٠٩	المطلب الثاني: علاقة المهن بالمصالح وأثرها عليها	١٦٣
٣١٠	أولاً: الوظائف والمهن الضرورية	١٦٤
٣١٤	ثانياً: الوظائف والمهن الحاجية	١٦٥
٣١٨	ثالثاً: الوظائف والمهن التحسينية	١٦٦
٣٢٠	المبحث الثالث: الحرف والصناعات ودورها في تحقيق الاستخلاف	١٦٧
٣٢١	المطلب الأول: مفهوم الاستخلاف	١٦٨
٣٢١	أولاً: الاستخلاف لغة	١٦٩
٣٢٢	ثانياً: الاستخلاف اصطلاحاً	١٧٠
٣٢٤	المطلب الثاني: من أسس ومقومات تحقيق الاستخلاف	١٧١
٣٢٥	أولاً: أسس الاستخلاف:	١٧٢
٣٢٥	الأساس الأول: الإيمان بالمستخلف سبحانه وتعالى	١٧٣
٣٢٦	الأساس الثاني: تحميل عبئ القيام بأمانة الاستخلاف للإنسان	١٧٤
٣٣٣	الأساس الثالث: الإعلاء من شأن العمل	١٧٥
٣٣٤	الأساس الرابع: إعادة بناء التعليم على قواعد تنموية	١٧٦
٣٣٥	الأساس الخامس: إعادة البناء الإداري على أسس سليمة	١٧٧
٣٣٦	الأساس السادس: هو تحقيق الأمن الغذائي والأمن العام	١٧٨
٣٣٧	الأساس السابع: التقييم المستمر لكل الخطوات والأهداف	١٧٩

٣٣٧	١٨٠	ثانياً: مقومات الاستخلاف
٣٣٧	١٨١	الجانب الأول: جانب التصورات النظرية.
٣٤٢	١٨٢	الجانب الثاني: المعطيات المادية.
٣٤٨	١٨٣	المطلب الثالث: الحرف والصناعات وأثرها على الاستخلاف
٣٤٨	١٨٤	الفرع الأول: أسس البناء المهني
٣٤٨	١٨٥	المبدأ الأول: التخطيط والتأهيل.
٣٥٢	١٨٦	المبدأ الثاني: التعيين المهني في الأجهزة والمؤسسات.
٣٥٤	١٨٧	المبدأ الثالث: هيكله المرافق الحكومية على أساس مهني.
٣٥٤	١٨٨	هذه الوزارات أقسام
٣٥٧	١٨٩	المميزات والمآخذ على هذا التقسيم
٣٥٩	١٩٠	الفرع الثاني: دور المهن في تحقيق بعض الوظائف الاقتصادية للدولة
٣٧٤	١٩١	الخاتمة
٣٧٥	١٩٢	أولاً: النتائج
٣٨٢	١٩٣	ثانياً: التوصيات والمقترحات
٣٨٦	١٩٤	الفهارس
٣٨٧	١٩٥	فهارس الآيات القرآنية
٣٩٩	١٩٦	فهارس الأحاديث النبوية

٤٠٥	فهارس الآثار	١٩٧
٤٠٧	فهارس الأعلام	١٩٨
٤٠٩	فهارس المصادر المراجع	١٩٩
٤٢٨	فهارس الموضوعات	٢٠٠